الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب و اللغات الأجنبية
قسم: اللغة و الأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

تخصص: نقد قديم

النقد الأدبي في التوابع و الزوابع و رسالة الغفران دراسة موازنة

إعداد الطالبة:

صابة فاطمة زهرة

إشـــــراف :

أ.د. كروم بومدين

لجنة المناقشة

- أ.د. محمد زمري	أستاذ التعليم العالي	جامعـــــة تلمســـــان	رئيسا
- أ.د. بومدين كروم	أستاذ التعليم العالي	جامعـــــة تلمســـــان	مشرفا
- أ.د. جيلالي سلطاني	أستاذ التعليم العالي	جامعـــــة وهـــــران	عضوا
- أ.د سمية حطري	أستاذة التعليم العالي	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا
- د. عبد القادر بن عزة	أستاذ محاضر"أ"	جامعـــــة تلمســـــان	عضوا
- أ.د. آمنة بن منصور	أستاذة التعليم العالي	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا

السنة الجامعية

2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

إلى من علماني أن الحياة مثابرة و اجتهاد

أمي و أبي

إلى أغلى ما في حياتي

ابنتي وصال و ماريا

إلى سندي في الحياة

زوجي العزيز

أهديكم هذا العمل المتواضع

المُقـــــدمـــــة:

يتنـــاول هـــذا البحـــث موضـــوع المُوازنـــة الفنيّـــة و التَّاريخيـــة و النَّقديـــة فـــي رســـالتي التَّوابـــع و الزَّوابـــع و الغُفـــران، و هـــو موضـــوع يكتســـي أهميّـــة كبيـــرة كونـــه يتنـــاول ناقـــدين همـــا المعـــرّي و ابـــن شُـــهيد اللـــذين لهمـــا بـــاع طويـــل فـــي إثـــراء الأدب العربـــي بقضـــايا نقديـــة و فنيـــة و لغويـــة مهمـــة، فأنتجـــا لنـــا مخزونـــاً معرفيـــاً أغنـــى التـــراث العربي.

فالنَّاقدان سـافرا بنـا فـي رسـالتيهما إلـى عـالم خيـالي ملـيء بالصُّـور فـي قالـب تهكمـي سـاخر بأسـلوب مختلـف ،و علـى ضـوء ذلـك ارتـاد بعـض القضـايا النقديـة التـي أعطـت للرسالتين قيمة علمية.

و قـد اسـتخدمت آليـة الموازنـة لا للمفاضـلة بينهمـا لإبـراز شخصـيتيهما الأدبيـة والنّقدية؛ و كونهما ناقدين من بيئتين مختلفتين "الأندلس والمشرق ".

فشـدَّني ذلـك التنـوع فـي الرِّسـالتين، كونهمـا يشـتملان علـى الخيـال والفكاهـة والنقـد والشـعر و النثـر؛ و حفّزنـي علـى طـرح سـؤال مركـزي هـو: مـا الفـرق بـين التوابـع لابن شُهيد و الغفران؟

و محاولـةُ الإجابـة عـن هـذا السـؤال قـادتني إلـى موضـوع بحـث هـذه الرسـالة التـي عنونتها بـ:" النّقد الأدبي في التوابع و الزوابع و رسالة الغُفران – دراسة موازنة-.

و هـذا العنـوان يحمـل فـي طيّاتـه مـــــادّة الرسـالة و موضـوعها ومنهجهـا: فالمـادة فـي أغلبهـا مـادة نقـدية أدبـية؛ و قـد استعنـت فـي بحثـــــي بمجموعـة مـن الدّراسـات مـن

الواجـــب الإحالــة إليهــا لأنهــا كانــت مسـعفة لـــي الإحاطــة بمــوضوع بحثــي، أولـــى هــذه الدراســات هـــي لعمـــر موســى باشــا فــي كتابــه:" نظـرات جديـدة فــي غفـران أبــي العـــلاء" و"فـــي الأدب الأندلســـي" لمحمـــد رضـــوان الدايـــة، و الأدب الأندلســـي" لمصطفى الشكعة، و كتاب " النقد و اللغة في رسالة الغفران" لأمجد طرابلسي.

و تأتي أهميّة هذا الموضوع من خلال الجوانب الآتية:

1- مكانة النّاقدين(ابن شُهيد و المعرّي) في المشهد الأدبي (الأندلس والمشرق).

2- ارتياد النّاقدين بعض القضايا النّقدية الجديدة على النّقد العربي.

أمــا عــن الــدوافع التــي دفعتنــي لاختيــار هــذا الموضــوع، فيمكننــي القــول إنهــا دوافــع ذاتيــة، كــوني تحيــرت فــي قراءاتــي، و فــي بدايــة دراســتي الأكاديميــة لــلأدب الأندلســي و نقَّــاده، كمــا تعاطفــت جــداً بأفكــار المعــري الفلســفية وشخصــيته الانطوائيــة المتناقضــة وهــذا التنــاقض بــين شخصــية ابــن شــهيد المنطلقــة و شخصــية المعــري المنطويــة، كــان لي حافزا على البحث في هذا الموضوع.

أما عن منهج البحث فقد حددت عناصر المنهج في النقاط الآتية:

- لقـد اعتمـدت المـنهج التحليلـي و خاصــة فــي دراســة القضــايا النقديــة التــي جــاءت بهــا الرسالتين.

- كنــت أقــرأ، الرِّســالتين، فــأقف عنــد المصــطلحات والأعــلام والمصــادر والمراجــع وأهــتم بســياق ورودهــا و أســرد الآراء النقديــة مــع التحليــل وأحيانــاً أخــرى أســتعين بالمؤلفات الأخرى.

- كما اعتمدت المنهج التاريخي و الوصفي في الموازنة التاريخية في الفصل الثاني.

و يتشكل هذا البحث من مقدمة و مدخل:

مقدمة تحدثت فيها عن موضوع البحث، و دوافعه، و أهدافه وخطته المنهجية والصعوبات التي واجهته.

و مدخل خصص لتحديد مفهوم الموازنة لغة و اصطلاحا، و فعل الموازنة في تاريخ النقد الأدبي من العصر الجاهلي ثم الأموي، ثم القرن الثالث والرابع الهجريين؛ إلى الأندلس و المغرب.

و الفصل الأول: عبارة عن موازنة فنية بين الرسالتين فعرفت في المبحث الأول عن الرسالتين من حيث النوع الأدبي و اسم الرسالة وشخصياتها وتاريخها ومصادرها.

ثم المبحث الثاني: بين التوابع و الغفران أو عملية التأثير و التأثر فتناولت فيه آراء النقاد حول الاختلاف و التقارب و الأخذ بين الرسالتين ومبحث ثالث، عن الأبعاد الجمالية في الرسالتين و هي السخرية والتهكم و الخيال واللغة و الأسلوب ثم ختمت هذا الفصل بموازنة بين الرسالتين ضمن حدود المحتوى.

أما الفصل الثاني؛ كان الموازنة التاريخية و تحدثت في المبحث الأول عن أثر البيئة و العصر في إنتاج الناقدين، و كيف أن الأحداث السياسية قد أثرت سلباً على أدبهما و شخصيتيهما.

و المبحث الثاني عن صفات و أخلاق كل منهما، و مبحث ثالث، عن عامل الوراثة و يتضمن الأسرة و التربية و التعليم مع الموازنة في كل محور.

أما الفصل الثالث، فكان موازنة نقدية بين الرسالتين، اشتمل كل مبحث على قضية نقدية، فكان الأول في ثنائية اللفظ و المعنى والثاني في الشعر بين الوعي والإلهام والثالث في السرقات الشعرية و الرابع في القديم والمحدث.
والخامس في الطبع و الصّنعة و السادس في دور معلم اللغة والسابع في القضايا النقدية التي تفرد بها كل من ابن شُهيد والمَعري وأنهيتها بموازنة عامة.
و أنهيت بحثي بخاتمة ذكرتُ فيها أبرز نتائج البحث التي تم التوصل إليها.
و لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات، ترتد إما إلى البحث وموضوعه ومادته العلمية، و إما إلى سياقه الثقافي و العلمي المحيط به، و إما إليهما معاً. وصعوبات هذا البحث كثيرة و متنوعة غير أن ما يستحق الذكر هنا ، قلة المصادر و المراجع و بخاصة التي تناولت ابن شهيد الأندلسي بالدراسة قديما و حديثا.
و لا أزعم أنني قد بلغت الكمال في هذا البحث، غير أنني أقر بذل الوسع في الوصول به إلى ما وصلت إليه، و لست أعلم من الراغب الأصفهاني الذي اعترف قائلا:" إني رأيت أنه لا يكتب أي إنسان كتابا في يوم إلا قال في غده لو غُير هذا لكان أحسن، و لو زيد كذا لكان يستحسن، و لو قدم هذا لكان أفضل، و لو ترك هذا لكان أجمل، و هذا دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

تلمسان في: 20 سبتمبر 2015

صابة فاطمة زهرة

المُوازنة لُغةً و اصطلاحاً

تُعْتَبر المُوازنة عملية حسابية على المستوى الأدبي، تجمع بين النّقد الأدبي ومحاولة تفسير النّص و تحليله.

و يكون النَّاقد المُوازن فيها أشبهَ بالقاضي يَحْكُم لهذا الشَّاعر أو ذَاكَ ولكن بمنطقِ النَّاقد المُنصِف المدقّق.

و قد تجلّت هذه المُوازنة أَكثرَ بظُهور الشِّعر و تَبَاري الشّعراء في قَرضِه فكانت آلية أساسيّة للتَّمييزِ بين قُوّة الشُّعراء في أساليبِ البيانِ والبَديع والمَعاني.

وقد مرّت هذه الموازنة بأطوار مختلفة، فقد بدأت بسيطة ساذَجَة ثم تطوّرت فأصبحت أكثر عُمقا و تَحليلا.

تعريفُ المُوازَنَة:

لُغَةً: " وَزِن الشيءَ – يَزِنُ وَزْنًا و زِنَةً : رَجَحَ ، فهو وَازِنٌ والشَّيءُ: رَازَ ثِقَلُهُ و خِفَّتُهُ وامتحنه بما يُعادِلُه و قَدَّرَهُ بِوَسَاطَةِ المِيزَان – وخرصه وحزره.

وَازَنَ بين الشّيْئينِ مُوَازنَةً وَوِزَانًا : نظر أيهما أَوْزَن – و بينهما: ساوى وعادل، و الشيء: ساواه في الوَزْنِ و عَادَلَهُ و قابله وحَاذاهُ وفُلانًا كافأه على فِعاله ."[1]

[1]- معجم النفائس الوسيط، أحمد أبو حاقة، ط1، دار النفائس، 1428هـ- 2007م، بيروت – لبنان: 1363.

و تَوَازُنًـــا:" اتَّزَنَـــا و اســـتقام مِيـــزَانُ النهـــار: انتصـــف و هـــو وَزِيـــنُ الـــرأي: أصيله و قد وَزَنَ ككرم وراجح الوَزْنَ، كامل العقل و الرأي."[1]

" وَوَازَنْـــتُ بـــين الشـــيئين مُوَازَنَـــةً و وِزَانًـــا. وهـــذا يُـــوَازِنُ هـــذا إذا كـــان علـــى زِنَتِـــهِ أو كـــان محاذيـــه . و يقـــال: وُزِنَ المعطـــي و اتَّـــزَنَ الآخـــذ، كمـــا تقـــول نقـــد المعطي و انتقد الآخذ ، و هو افتعل قلبوا الواو تاء فأدغموا "[2]

" و امـــرأة مَوْزُونَـــةٌ: قصـــيرة عاقلـــة، و الـــوَزْنُ : المـــرأة القصـــيرة جاريـــة مُوزَنَـــةٌ فيهـــا قِصـــر وقـــال أبـــو زيـــد : أكـــل فـــلان وزمـــة ووِزْنَـــةً أي وجبـــة وأَوْزَانُ العـــرب : مـــا بنـــت عليـــه أشـــعارها وأحـــدها وزن، و قـــد وَزَنَ الشـــعر وَزْناً فَاتَّزَنَ، كل ذلك عن أبي إسحاق .

و هـــذا القـــول أَوْزَنُ مـــن هـــذا، أي أقـــوى و أمكـــن. قـــال أبـــو العبـــاس: كـــان عمـــارة يقـــرأ: "ولا اللَّيـــل ســـابق النهـــار " بالنصـــب، قـــال أبـــو العبـــاس: مـــا أردت ؟ فقال سابق النهار فقلت: فهلا قلته: قال لو قلته لكان أَوْزَن.

و الميـــزان: العـــدل، و وَازَنَـــهُ: عادلـــه و قابلـــه. و هـــو وَزْنُـــهُ وزِنَتُـــهَ ووَازَنَـــهُ وبِوِزَانِهِ :أي قبالته.

و قولهم: هو وَزْنُ الجبل ، أي ناصية منه، و هو زِنَةُ الجبل أي حذاءه ، قال سيبويه: نُصبَا على الظرف. قال بن سيده : وهو وَزْنُ الجبل و زِنَتُهُ أي حذاءه وهي أحد الفروق التي عدلها سيبويه ليفسر معانيها و لأنها غرائب قال: وَزْنُ الجبل قال: وقياس ما كان من هذا

1- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، إعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ،ط1، 1417هـ-1997م ، بيروت – لبنان /2 : 1626

2- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف /6 : 4828.

النحو أن يكون منصوبا كما ذكرناه بدليل ما أومأ إليه سيبويه هنا، و أما أبو عبيد فقال هو وزانه بالرفع"[1]

و المُوَازَنَــةُ : " مصــدر وازن و عنــد أهــل البــديع هــو تســاوي الفاصــلتين مــن الفقــرتين أو المصــراعين فــي الــوَزْنِ و التقفيــة نحــو قولــه تعــالى: «ونمــارق مصفوفة و زرابي مبثوثة.*» [2]

و المُوَازَنَــةُ فــي "النقــد الأدبــي ، المقارنــة النقديــة بــين أديبــين و منــه المُوازنَــةُ بَين أبي تمام والبُحتري للآَمِدي " [3]

اصطلاحـًا:

أمــا اصــطلاحا: فهــي نقــد مركــبٌ لنصــين أدبيــين أو لموضــوعين بينهمــا شــبه قريب أو بعيد، عن طريق التأثر أو من غير تأثر.

و تُبنــى علــى قــراءة أدبيــة للنصــين مبنيــة علــى قواعــد النقــد و عناصــر الأدب وبواعث الإنتاج لدى كل أديب.

ثــم تكــون الموازنــة بينهمــا مــن حيــث فكــرة الموضــوع و عناصــره وشــكله ولا بــأس فــي أن يكــون أحــد النصــين شــعرا و الآخــر نثــرا كمــا لا مــانع أن يختلــف النصان زمانيا أو يكونا لشاعر واحد [4]

---

[1]- المصدر السابق /6: 4828-4829.

*- سورة ، الأية:

[2]- محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) بطرس البستاني، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1998 م : 968.

[3]- معجم النفائس الوسيط: 1363.

[4]- ينظـر المعجـم المفصـل فـي الأدب ، إعـداد محمـد التـونجي ، ج2،ط2 ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، لبنـان 1419هـ - 1999م : 833-834 .

و تأتي أهمية الموازنة كقضية نقدية، من حقيقة أن ما من قارئ للشعر إلا ويقوم بعملية المفاضلة و الموازنة بين ما يقرأه و بين ما تختزنه ذاكرته الأدبية. [1]

و يعد فعل الموازنة قديماً ، فقد عرفها العصر الجاهلي ساذجة لا تحتكم إلى تعليل واضح في الغالب فكانت مجرد تعبير عن إعجاب أحد المتذوقين لشاعر دون آخر ، و إذا كانت الموازنة غير معللة فإنها ستكون محصورة في الذوق الشخصي للمتذوق لا تتعداه إلى الفكر التحليلي .

غير أننا قد نجد بعض الموازنات في العصر الجاهلي قد احتكمت إلى التعليل – و إن كانت بسيطة – كالتي جاءت بها أم جندب حين وازنت بين علقمة بن عبدة و امرئ القيس في أيهما أشعر ، و قد قارنت بين صورتين شعريتين (صورة الفرس) و قد اشترطت أن يكون الموضوع واحداً والروي واحدا و القافية واحدة. [2]

فقد حرصت أم جندب على توفير موازنة عادلة بتوحيد عوامل الاتفاق لتتكشف لديها جوانب الاختلاف و التمايز، فهي موازنة بسيطة إلا أنها تعد في ذلك الوقت نقلة نوعية لارتكازها على التحليل و التعليل.

كما وازن النابغة بين الشعراء، و كانت له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ يأتيه الشعراء ليعرضوا عليه أشعارهم و يحتكمون إليه دون غيره

---

[1]- **مقال بعنوان :" الموازنة في النقد العربي" ، مراد فطوم شرفات – جريدة ثقافية فنية – نصف شهرية تصدر عن وزارة الثقافة ، سوريا ، دمشق ، العدد 71 .**

[2]- **ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت، لبنان 1974: 22-23.**

، لمنزلتـــه النقديـــة عنـــد معاصـــريه ، بالإضـــافة إلـــى علمـــه بصـــناعة الشـــعر ناهيك عن شاعريته. [1]

و بـــالرغم مـــن أن موازناتـــه لـــم تحـــتكم إلـــى تعلـــيلات دقيقـــة إلا أنهـــا أثـــرت النقـــد العربـــي، كـــون ملاحظاتـــه جـــاءت لصـــيقة بنســـيج الـــنص و مســـتوى الإبـــداع فـــي ذلك الزمن.

و علـــى المســـتوى الجمـــاعي نجـــد المعلقـــات مـــثلا مـــن أهـــم إفـــرازات فعـــل الموازنـــة بصـــورة أكثـــر وضـــوحا وتحديـــدا، فهـــي نتيجـــة لموازنـــة عـــدة نصـــوص فيمـــا بينهـــا فكانـــت أكثرهـــا جـــودة فاســـتحقت أن تعلـــق علـــى أســـتار الكعبة دون سواها. [2]

مـــن هنـــا نقـــول إن الموازنـــات فـــي العصـــر الجـــاهلي ظهـــرت فـــي صـــورة مفاضلات عامة تصدر عنها أحكام ساذجة غير معللة في الغالب.

و شـــهدت الموازنـــات شـــيئا مـــن التطـــور فـــي العصـــر الأمـــوي ، حـــين توجـــه النقـــاد إلـــى جوانـــب مـــن الشـــعر لـــم يكـــن النقـــاد الســـابقون ينظـــرون إليهـــا كالميـــل إلـــى الأغـــراض التـــي طرقهـــا الشـــعراء قلـــة أو كثـــرة ، أو الموازنـــة بـــين قصـــيدتين اتحـــدتا فـــي الـــوزن والـــروي ، أو بيتـــين يجمعهمـــا غـــرض شـــعري واحد. [3]

---

[1]- ينظر المرجع السابق : 28-29

[2]- يُنظر معالجة النص في كتب الموازنات التراثية –منهج و تطبيق-، سعد أبو الرضا، منشأة المعارف، الإسكندرية: 82.

[3]- يُنظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه أحمد ابراهيم ،ط2 بيروت ، 1972م :47 .

أمـــا الـــرواة و العلمـــاء فـــي العصـــر العباســـي فنجـــدهم يحكمـــون علـــى الشـــعراء ويختلفـــون فـــي أفضـــلية بعضـــهم علـــى بعـــض، و إذا رجعنـــا إلـــى أســـباب الاخـــتلاف فـــي التفضـــيل وجـــدناها ناشـــئة مـــن اخـــتلاف العلمـــاء والـــرواة فـــي أذواقهم و مفهومهم للشعر. [1]

أمـــا القـــرن الثالـــث الهجـــري، فتطـــورت فيـــه الموازنـــة عـــن طريـــق مســـاهمة علمـــاء اللُّغـــة و الأدب فـــي النّقـــد وقـــد اتخـــذوا مـــن جـــودة الشّـــعر وكثرتـــه مقياســـاً إضافيًا في المُوازنة. [2]

و من كتب النقد المتقدمة التي تدل على نمو الموازنة و تكاملها كتاب "طَبَقَاتُ فُحُول الشُّعراء" لمحمد بن سلام الجمحي (ت231هـ) الذي اعتمد في موازنته على آليات ترتبط بالفحص والنظر في النصوص والاعتماد على الرواية والاستناد إلى الرأي والحجة في إقامة المفاضلة. [3]

و قـــد اعتمـــد فـــي تصـــنيفه الشـــعراء إلـــى طبقـــات علـــى مفهومـــه القيمـــي فقـــد قســـمهم إلـــى مجموعـــات وطوائـــف بحســـب تفـــاوتهم فـــي كثـــرة الإنتـــاج الأدبـــي وجودتـــه وحســـب مقـــدرتهم علـــى التصـــرف فـــي فنـــون الشـــعر وأغراضـــه وبحسب الزمان و المكان و البيئة التي نشأوا فيها. [4]

و إذا كـــان ابـــن ســـلام (ت231هـــ) قـــد حصـــر نطـــاق الموازنـــة بـــين شـــواهد مـــن القصـــائد لتحديـــد طبقـــات الشـــعراء فـــإن ابـــن طباطبـــا (ت322هـــ) لجـــأ إلـــى

---

[1]- ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق: 274.

[2]- ينظر تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، عليان عبد الرحيم ،ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1404هـ،1984م:235 .

[3]- يمكن الرجوع إلى " طبقات فحول الشعراء " لمحمد بن سلام الجمحي: 49-50 .

[4]- ينظر النقد في العصر الوسيط و المصطلح في طبقات بن سلام ، حسن عبد الله شرف ، ط1،دار الحداثة ، بيروت لبنان ، 1984م:115 .

الموازنة بين النصوص كآلية يكشف بها عن تصوره لماهية الشعر ومعاييره الفنية التي هي من الأشكال "المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني الحسنة الوصف السلسة الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاما، فلا استكراه في قوافيها، و تكلفاً في معانيها ولا عِيَّ لأصحابها فيها ". [1]

و قد التزم ابن المعتز المنهج ذاته في معالجة قضايا البديع و تابعه قدامة بن جعفر في كتابه " نقد الشعر" فجعل المزايا بابا مستقلا هو الباب الثاني وجعل الباب الثالث بابا مستقلا للعيوب. [2]

أما في القرن الرابع فقد اتسمت الموازنة بالإحاطة بالنص من جوانبه اللغوية والنحوية والبلاغية و الفلسفية و الذوقية، كما تميزت بعرض آراء نقدية تخص جودة الشعر ورداءته. [3]

و أهم ناقدين جسدا الموازنة بين النصوص منهجا نقديا أساسا هما الآمدي(370هـ) في كتاب الموازنة و الجرجاني (ت392هـ) في كتاب "الوساطة " .

فالآمدي (ت370هـ) نأى بالمُوازنة عن سذاجة النّقد القائم على المفاضلة غير المعللة و غير الواضحة إلى موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات الملمة بالمعاني والألفاظ و الموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة. [1]

---

[1]- عيار الشعر ، ابن طباطبا :89 .

[2]- ينظر نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ط1 ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1398هـ-1978م:73-171 .

[3]- ينظر ، تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، عليان عبد الرحيم :235 .

و قد بين منهجه بقوله: " و أنا أبتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين لأختم محاسنهما وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام و إحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوئ البحتري في أخذ ما أخذه من أبي تمام و غير ذلك من غلطه في بعض معانيه ، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن و القافية وإعراب القافية ثم بين معنى ومعنى ، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك. و تنكشف ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه و لم يسلكه صاحبه و أفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه، وبابا للأمثال أختم بهما الرسالة ، ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما و أجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب تناوله و يسهل حفظه و تقع الإحاطة به إن شاء الله تعالى ". [2]

و مما لاشك فيه أن الآمدي" كان يؤثر طريقة البحتري و يميل إليها ومن أجل ذلك جعلها "عمود الشعر" و نسبها إلى الأوائل و صرح بأنه من هذا الفريق دون مواربة ". [3]

و منه فإن الآمدي حاول في اتجاهه النقدي الاحتياط لنفسه بالابتعاد عن الذاتية التي هي نتاج التورط في الميل مع الهوى ،و حاول أن يرجع الأحكام النقدية المستخلصة إلى أسباب تتصل بما في الأثر الذي أمامه من

---

[1]- ينظر ، تاريخ النقد الأدبي ، إحسان عباس ، ط1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1391هـ، 1971م :157

[2]- الموازنة /1 : 54 .

[3]- تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس:162.

علاقات، و تجنب الأفكار التي تأتي من خارج الأثر ، إلا أنه وقع في النهاية في الميل الذي تحكمه طبيعة الذوق الذي مهما حاول التخلص منه فإنه تجلى في أرائه.

يضاف إلى هذا، أن الموازنة كانت أشبه بالعملية الإحصائية، و ذلك حين قام بتجزئة القصائد و الموازنة بين شاعرين متباعدين في تصورهما لطبيعة الشعر.

أما القاضي الجرجاني (ت392هـ) فكانت المُقَايَسَةُ * عنده هي المبدأ الأساس في نقده مثلما كانت الموازنة هي مهمة الناقد الكبرى عند الآَمدي ، فالنّاقد الذي يتحرَّى الإنصاف قبل أن يُفرد عيوب شاعر أو حسناته بالتّمييز، عليه أن يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء، فلا يستهجن خطأه في اللَّفظِ لأنه قلما تجد شاعرا سلم من هذا الخطأ، و لا ينكر خطأه في المعنى فكم عدد العلماء من صنوف هذا الخطأ في شعر الأقدمين [1] ، و لا يسقطه بسبب التفاوت في شعره و لينظر إلى أكابر الشعراء مثل أبِي نَواس وأبي تَمَّام ولِيحكم هل خَلاَ شِعرهم من تَفاوت. [2]

---

*- المقايسة هي تمهيد للحكم أما الموازنة فإنها تدخل في طبيعة للحكم نفسه. (تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس 322).

1- ينظر الوساطة:4-15.

2- ينظر المصدر نفسه :55-81 .

و هـذا مـا جعلـه يختـار الوَسـاطة دون المُوازنـة لأنـه لا يريـد أن ينتهـي النقـد الأدبـي عنـده إلـى حكـم، و مـن أجـل ذلـك فهـو لـم يعلـن فـي نهايـة وسـاطته عـن نتيجة حاسمة توصل إليها وتفصح عن مَيله. [1]

علـى حـين نجـد ابـن الأَثيـر (ت637هـ) قـد أَبَـاحَ المُفاضـلة لا بـين شـاعرين متعاصـرين فقـط ، بـل بـين الشّـعر الـذي تتباعـد موضـوعاته فالمفاضـلة بـين المعـاني المتُفقـة أمـر سـهل ، غيـر أن المُفاضـلة بـين المعـاني المختلفـة و إن أنكرهـا بعـض النّقـاد فإنهـا ممكنـة كـذلك ولكنهـا أَعْسَـرُ و أدق مَطلبـاً [2] فقـد نـزع ابـن الأثيـر إلـى النقـد المرتكـز علـى الإحصـاء، إذ إن عـدد المعـاني المبتكـرة عنـده فـي المقـام الأول -هـو الـذي يقـرر تفـوق الشـاعر أو النـاثر وقـد قـرن هـذه الطريقـة الإحصـائية بالمفاضـلة بـين المعـاني سـواء اختلفـت أو اتفقت [3] ،فابن الأثير قد استخدم العملية الإحصائية آلية للمفاضلة في نقده.

و لـم تـذهب الموازنـة فـي الأنـدلس بعيـدا عمـا كانـت عليـه فـي المشـرق بـل انعكس صدى الاتجاهات السابقة في مقاييسها.

فقـد ركـز نقـاد الأنـدلس فـي موازنـاتهم أيضـا علـى تتبـع المعـاني عنـد الشـعراء والمفاضـلة بينهـا بـالنّص علـى مـن زاد فأحسـن، و قـد تجـاوزت هـذه الموازنـة جانب التأصيل إلى الحكم النقدي بالاسْتِحْسَان والتَّفضِيل. [4]

---

[1]- ينظر تراثنا النقدي ، دراسة في كتاب الوساطة ، السيد فضل:105 .
[2]- ينظر المثل السائر 3 / 270 .
[3]- ينظر تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس:597.
[4]- ينظر تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، عليان عبد الرحيم:242 .

كما اهتم الأندلسيون أيضا بالموازنات الفنية بين معنى و معنى و قد حدد هذه الموازنة تياران هما: طريقة العرب (المبنية على الطبع) ومذهب المحدثين (الموغل في الصناعة). [1]

و من الموازنات المتخصصة ضمنيا ، ما ضمنه ابن السيد البَطَلْيُوسِي كتابه (شُرُوحُ سَقْطِ الزَّند)، إذ وقف صاحبها بالموازنة بين معاني المتنبي و أبي العلاء المعري، فنحا في موازنته نحوا مغايرا للمنحنى الذي سار عليه الآمدي في موازنته بين الطَّائِيين، إذ نجده قد اختار المنهج التاريخي الذي يرصد المعاني الشِّعرية من حيث خَلقها وإبداعها، ليكشف بالتالي القضية التي أقام لها موازنته وهي أَثَرُ المتنبي في شعر أبي العلاء المعري ، تاركا النَّزْعَة الفنيّة التي اعتمدها الآمِدي أساسًا في موازنته بين الطائيين و التي لم يكن له اختيار فيها لاسيما أن الاختلاف بين شعريهما كان تبعا لطبيعة كل منهما الفنية و مذهبه الشعري [2] ، فإن ابن السيد البطليوسي في موازنته لم يغفل تتلمذ المعري الواعي الذي كان فيه ذكاؤه وفطنته سبيلين للمُغَايَرَة والإبداع على الرغم من عنايته بأثر المتنبي في شعر أبي العلاء فأضاء بديع المَعَرِّي ومخترعه الذي لم يُشاركه فيه أحد لِيُدَلِّلَ على شاعريته الأصيلة. [3]

---

[1]- ينظر المرجع نفسه : 246 .

[2]- ينظر النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور : 341 .

[3]- ينظر تيارات النقد الأدبي في الأندلس : 286 .

و كـــان حـــاتم القرطـــاجني (ت 684 هـــ) أكثـــر النقـــاد فهمـــا لمبـــدأ المفاضـــلة وأقربهم إلى الواقع حين أشار إلى القضايا الأتية :

1.إن الشـــعر يختلـــف بحســـب اخـــتلاف أنماطـــه و طرقـــه ، فقـــد يحســـن شـــاعر فـــي الجزالـــة ولا يحســـن فـــي الرقـــة و اللطافـــة ، وآخـــر يحســـن فـــي غـــرض شعري كالنسيب دون الأغراض الأخرى .

2.إن الشـــعر يختلـــف بحســـب الأزمـــان و مـــا فيهـــا و مـــا يولـــع بـــه النـــاس ممـــا لـــه علاقة بشؤونهم ، فهناك زمن تَشِيعُ فيه أوصاف الخمر

والقِيَـــان، و زمـــان آخـــر يشـــيع فيـــه وصـــف الحـــرب و الغـــارات أو نيـــران القـــرى و السخاء...

3.إن الشـــعر يختلـــف بحســـب الأمكنـــة ، فيجيـــد بعـــض الشـــعراء وصـــف الوحش و يجيد آخرون وصف الخمر .

4.إن الشـــعر يختلـــف بـــاختلاف أحـــوال القـــائلين و الموضـــوعات المعبَّـــرِ عنهـــا فيحسن الواحد في الفخر و يتفوق الآخر في المدح...

لـــذلك كلـــه، فـــإن المفاضـــلة بـــين الشـــعراء أمـــر تقريبـــي غيـــر قطعـــي والوصـــول فـــي المفاضـــلة إلـــى درجـــة الجـــزم أمـــر غيـــر ممكـــن ، إنمـــا يـــتم التـــرجيح فيهـــا علـــى ســـبيل التقريـــب ، و تكـــون المفاضـــلة غيـــر متيســـرة فـــي جـــودة الطبـــع وفضـــل القريحـــة ، كمـــا أنهـــا قـــد تكـــون ممكنـــة إذا اجتمـــع الشـــاعران فـــي غـــرض ووزن وقافيـــة، و يجـــب أن ينـــال الشـــاعر مـــن التقـــدير مـــا يســـتحق إذا هـــو أجـــاد

في تصوير ما لم يألفه ، فإن إجادته في هذه الناحية يجب أن تكفل له التفضيل على شاعر آخر يحسن تصوير ما هو مألوف لديه . أما النقاد الذين جعلوا الزمن عاملا في تفضيل شاعر على آخر فإنهم خارجون عن صناعة "النقد جملة..."[1]

فإذا كانت البواعث و الأسباب المُهَيِّئَة لدى شعراء أكثر منها لدى شعراء آخرين فَحِينَئِذٍ نُقيم المفاضلة بينهم على هذا الأساس ، كما نفضل شعراء العراق على شعراء مصر –إذ لا تناسب بينهم في توفر الأسباب المُهَيِّئة لقول الشعر. [2]

فالمُفاضلة في منظور حازم لا ينبغي أن تكون جَازِمَةً، بل لابد أن تكون تقريبية لما في قول الشعر من اختلاف في البواعث والأسباب و الأمكنة والأزمنة.

أما نقاد المغرب فقد ركزوا في موازناتهم بين الشعراء و الأدباء على الأسلوب الشعري فكان يفضل أبو علي بن رشيق على عبد الله بن شرف القَيْرَوَانِي في ما تعاوراه من قصائد في مناقضات شعرية ، لأن أبا علي بن رَشِيق " كان أوسعهما نفسا ، و أقربهما مُلْتَمسًا، أما ابن شرف فتسمع في شعره جَعْجَعَةً ووُعُورَةً على الرغم من مَتَانَةِ لفظه وسَعَةِ حفظه. [3]

---

[1]- منهاج البلغاء و سراج الأدباء: 379-380

[2]- المصدر السابق:379 – 380 .

[3]- الذخيرة 1/1 : 133 .

فالموازنة إذاً نوع من النقد كما أنها نوع من الوصف، حيث إنها تصف ما لكل شاعر و ما عليه بأدق ما يمكن من التحديد ، فهي ولدت في أجواء الصَّنْعَةِ الشعرية في العصر الجاهلي و كانت بسيطة ساذجة واتسع نطاقها في العصر الأموي إلى الأغراض التي طرقها الشعراء قلة و كثرة من مثل تناول قصيدتين متحدتين في الوزن و الروي ، أو بيتين يجمعهما معنى شعري واحد لتتطور بعد ذلك مستفيدة من إسهامات علماء اللغة والأدب النقدية ، حيث اتخذوا من جودة الشعر وكثرته مقياسا إضافيا للموازنة .ثُم إنَّ الموازنة اتسعت و تعمقت في القرن الرابع الهجري في النص الأدبي في جوانبه اللغوية و النحوية والبلاغية والفلسفية و الذوقيّة.

المبحث الأول : التَعْرِيفُ بِالرِّسَالتَين :

حِـين تَكثُـرُ الأَحقـاد، و تَتوالـد الصِّـراعات، يَنشـأُ الإِبـداع الحَكِـيم. هكـذا حَـطَّ ابـنَ شُـهيد وأبـو العـلاء الرِّحَـالَ فـي لحظـة تشـاؤُم مـن الـزّمن والعبـاد؛ و مـن أجـل إثبـات الـذّات والـدّفاع عنهـا كتبـا رسـالتيهما التوابـع و الزّوابـع والغُفـران فَسَافرَا بنا إلى عالم غير عالم الواقع، إلى عالم خيالي مليء بالصُّور.

فقـد اتّخـذ أبُـو العـلاء مـن الغفـران سـبيلا إلـى محاكمـة المجتمـع و فسـاده واختبـارا لقدرتـه العلميّـة والمعرفيّـة و الـرَّد علـى اتهامـات ابـن القـارح فيمـا اتّخـذ ابـن شُـهيد مـن التوابـع و الزوابـع سـبيلا لإبـراز تفوّقـه الشّـعري والنثـري و الردّ على خصومه وبخاصّة ابن الإفليلي.

1- رسالة التّوابع و الزّوابع – لابن شُهيد الأندلسي (ت426هـ) :

هـي قصّـة خياليـةٌ يـروي فيهـا ابـن شُـهيد رحلـة قـام بهـا فـي أرض الجـنّ بصـحبة جنـي اصـطفاه وسـمّاه " زهيـر بـن نميـر "، و لقـي ابـن شُـهيد مـع صـاحبه فـي هـذه الرّحلـة عـددا مـن توابـع الشّـعراء و الكتّـاب فسـاجلهم وسـاجلوه، و ناقشـهم و ناقشـوه، وعـرض علـيهم كثيـرا مـن نمـاذج شـعره ونثـره و بعـض آرائـه فـي الأدب و اللّغـة، فنـال إجـازتهم بـالتّفوق و انتـزع إعجابهم وقد بثّ فيها الفُكاهات و نثرَ الطرائف والدعابات.[1]

---

[1]- ينظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة : 377 – 378 .

و هـذه الرّسـالة لـم تصـلنا كاملـة و إنّمـا وصـلنا منهـا أجـزاء أوردهـا ابـن بسّـام الشنتريني في ذخيرته وقد وجهّها ابن شُهيد لأبي بكر بن حزم[1] .[2]

و قـد اختـار ابـن شُـهيد اسـم " التوابـع و الزّوابـع " لرسـالته كونهـا مسـرحا لعـالم الجـن وقـد كـان أبطـال رسـالته كلّهـم مـن الشّـياطين – فيمـا عـداه فـالتّوابع جمـع تـابع و تابعـة و معنـاه: الجنـيّ والجنيّـة يصـحبان الإنسـان ويتبعانـه حيـث ذهـب؛ أمـا الزّوابـع فجمـع زوبعـة، و الزّوبعـة: اسـم شـيطان أو رئـيس الجـنّ ومنه سمّي الإعصار زوبعة؛ و أم زوبعة، يقال فيه شيطان مارد.[3]

وقـد" أنطـق الجـنّ فـي هـذه الرّسـالة بكـل آرائـه فـي الأُدبـاء و الشُّـعراء وأصـدقائه وأعدائه، و آرائه في الأدب و في السّجع، و غير ذلك..." [4]

و ابـن شُـهيد يمثـل شخصـيّة البطـل فـي هـذه القصّـة، فهـو البطـل والـرّاوي بعكـس مـا هـي عليـه الحـال فـي الملاحـم، إذ تقـوم أبطـال القصّـة بـالقول والفعـل و يبقـى الـرّاوي خلـف السـتار الـذاتي يراقـب الأحـداث و تطورهـا.[5]

و تـأتي شخصـيّة زُهيـر لتكـون ظـلا لشخصـية ابـن شُـهيد التـي ترافقـه أينمـا حلّ.

---

[1]- أبو بكر بن حزم : هو من أسرة شهيرة في الأندلس و منها الفقهاء و الوزراء و الأدباء .جاء في وفيات الأعيان : و كان بين ابن شهيد و ابن حزم الظاهري مكاتبات و مداعبات.
و المراد به الفقيه أبو محمد بن حزم. و ذكر الفتح بن خاقان في مطمح الأنفس أن ابن حزم كنيته أبو المغيرة ، وكان هو و ابن شهيد خليلي صفاء لا ينفصلان في رواح و لا مقيل . و ابن حزم هذا من الوزراء الكتاب .(رسالة التوابع و الزوابع:87) .

[2]- ينظر ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : 378 .

[3] - ينظر ديوان ابن شهيد الأندلسي و رسائله ، محي الدين ديب:153 .

[4] - ظهر الإسلام ، أحمد أمين : 515 .

[5]- ينظر الشعر الملحمي تاريخه و أعلامه ، غريب جورج ، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي ، رقم 6 ، دار الثقافة ، بيروت : 7

و ما يمكننا قوله عن التوابع و الزوابع أنَّها عمل أدبي يدخل ضمن نوادر التّراث القصصي العربي؛ جمع فيها صاحبها القضايا الأدبيّة والنّقدية في أسلوب فريد ووضعها في إطار قصصي عبر مُناظرات أدبيّة بينه و بين توابع بعض الشّعراء و الكتّاب و نقّاد الجنّ.

و الهدف من رسالة التّوابع و الزّوابع هو الطّعن في أنداده ومُنافسيه من الوُزراء و الأُدباء و أهل السيّاسة و القلم، فقد عرض لمغتابيه عند المستعين، و ألح بالإزراء على أبي القاسم الإفليلي، كما سخر من أدباء بلده، و نسب الغباوة إلى أهل زمانه، و عرّاهم من صحّة اللّغة وحسن البيان ونَافح عن أدبه بإظهار محاسنه و فَضائله في المتقدّمين والمتأخّرين.[1]

فهُو قَد اتّهم من قبل خُصومِه بالسَّطو على أَشعار القُدماء و آثارهم الشعرية والنَّثرية.[2]

يقول بطرس البستاني: "...و استباح ألفاظ المتقدّمين و معانيهم فحفلت أشعاره بالرواسم المطروقة فكان فيها مشترك الفكر والخيال و التّعبير وأكثر من معارضات الشّعراء، ليبني قصائده على بحور قصائدهم وقوافيها، و يأخذ من ألفاظها و معانيها فما يفتأ يذكّرك بغيره، فشعره

---

[1] - ينظر رسالة التوابع و الزوابع : 70

[2] - ينظر ، نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ، عمر موسى باشا : 237 .

خلـــيط مـــن جـــاهلي و إســـلامي وعبّاســـي و أندلســـي، و مـــن أجـــل ذلـــك انكشـــفت مَقاتله لخصومه ." [1]

و الرســـالة، بحســـب مـــا رواهـــا ابـــن بســـام أو اقتـــبس منهـــا فـــي ثلاثـــة أقســـام متوالية:

قســـم أوّل: لقـــي فيـــه شـــياطين الشّـــعراء و الكتّـــاب فحاكـــاهم، و أظهـــر مقدرتـــه على مجاراة أساليبهم وتميّزه على أهل بلده.

و قســـم ثـــان: أورد فيـــه ملاحظـــات أدبيّـــة و نقديّـــة، تـــدور حـــول مشـــكلة أخـــذ المعنى الواحد و تداوله بين الشّعراء(قضية السّرقات الأدبية).

و قســـم ثالـــث : فيـــه مُفاضـــلة بـــين شـــعرين لحيـــوانين مـــن عشّـــاق الجـــن (حمـــار وبغـــل) وفيـــه رســـم لصـــورة إوزة ســـمّاها (العاقلـــة)؛ و الغـــرض مـــن المشـــهدين التندر بأشخاص لم يذكرهم في رسالته بأسمائهم.[2]

و بعـــد ذلـــك يخـــرج أبـــو عـــامر مـــن هـــذه المعركـــة ظـــافرا منتصـــرا شـــأنه فـــي جميع المعارك الأدبيّة التي اصطنعها.

أمـــا عـــن تاريخهـــا؛ فكـــل الأخبـــار التـــي جـــاءت عـــن ابـــن شـــهيد لـــيس فيهـــا ذكـــر للسّـــنة التـــي وضـــع فيهـــا رســـالة التوابـــع والزوابـــع؛ غيـــر أن المستشـــرق بروكلمان أشار إلى أنها صنفت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة.[3]

---

[1] - ديوان ابن شهيد، المقدمة: 08.

[2] - ينظر الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية 245 .

[3]- ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط3، دار المعارف، مصر/1 :179.

و معلـــوم أن أبـــا العـــلاء ألّـــف رســـالته فـــي أثنـــاء عزلتـــه ســـنة 424[1] وحســـب رأي العـــالم الألمـــاني بروكلمـــان فـــإن ابـــن شـــهيد يكـــون قـــد أنشـــأ رســـالته ســـنة 404 هـ، و لكن المستشرق بروكلمان لم يدلنا على مصادره في قوله هذا.

و القـــولُ بـــأن تكـــون رســـالة ابـــن شـــهيد قـــد كتبـــت قبـــل رســـالة الغفـــران فهـــذا لا إشـــكال فيـــه لأنّ أبـــا عـــامر تـــوفي ســـنة 426 هـــ، أي بعـــد ظهـــور رســـالة الغفـــران بنحـــو ســـنتين؛ وكـــان قـــد اعتـــل قبلهـــا ببضـــع ســـنوات فـــي مســـتهل ذي القعـــدة مـــن ســـنة 425 هـــ مـــدة ســـبعة أشـــهر إلـــى أن مـــات فـــي آخـــر جمـــادى الأولـــى مـــن السّـــنة التّاليـــة. و مـــا كـــان ينتابـــه مـــن الأوجـــاع العظيمـــة، و ضـــغط الأنفـــاس، و عـــدم الصّـــبر، كفيـــل بـــأن يمنعـــه مـــن القيـــام بعمـــل أدبـــي طويـــل كرسالة التوابع والزوابع. [2]

و يقـــول علـــي عقلـــة عرســـان أن ابـــن شـــهيد " كتـــب هـــذه الرّســـالة فـــي العشـــر الأوائـــل مـــن القـــرن الخـــامس الهجـــري علـــى خـــلاف فـــي تحديـــد ســـنة كتابتهـــا بـــين المـــؤرخين، و لكـــنهم لـــم يُخرجوهـــا عـــن مـــدى الســـنوات الواقعـــة بـــين 404 – 414 هـــ ".[3] مضـــيفا أن "رســـالته كتبـــت قبـــل رســـالة الغفـــران لأبـــي العـــلاء المعـــرّي بســـنوات لا تقـــل عـــن عشـــر و هـــي و رســـالة الغفـــران ســـابقتان علـــى

---

[1] - نفسه /1: 180.
[2] - رسالة التوابع و الزوابع : 67 .
[3] - الظواهر المسرحية عند العرب ، علي عقلة عرسان : 276 .

الكوميديا الإلهية لدانتي اللغييري – الذي لم يعد هناك شك في أخذه عن المعراج ورسالة الغفران" [1]

و يبدو من فصول رسالة التوابع و الزوابع أن ابن شهيد كان فتى عندما صنّف رسالته، إذ ذكر في خطابه لأبي بكر بن حزم، أنه " أوتي الحُكم صبيّا، و هز بجذع نخلة الكلام، فاسّاقط عليه رُطباً جنيّاً." [2]

و نجد الإشارة إلى فتوته و شبابه أيضا، في قول تابع المتنبي عندما سمع شعره: " إن امتد به طلق العمر فلابد أن ينفث بدرر، و ما أُراه إلا سيُحتضر بين قريحة كالجمر، و همة تصنع أخمصه على متفرق البدر."[3] ثم في حديثه مع بغلة أبي عيسى:" فقالت: ما أبقت الأيام منك ؟، قلت: كما ترين. قالت: شب عمرو عن الطوق! " [4] فكُل هذه الإشارات تدلّنا على أن ابن شهيد قد كتب رسالته في شبابه لا في أواخر حياته.

و لكن بنت الشاطئ تعارض أن يكون عمر ابن شهيد حين كتب رسالته في العشرين من عمره أو قريبا منها.[5]

كما أثار عمره أيضا تساؤلات الباحث صلاح رزق الذي يقول «...ولكنّني غير مقتنع بأن يكون هذا هو عمر ابن شهيد حين كتبها، وأن يكون قد وصل من الشهرة الأدبيّة و المكانة الشعرية إلى ما تدل عليه

---

[1] - المصدر السابق : 281 .
[2] - رسالة التوابع و الزوابع : 67
[3] - المصدر نفسه: 114
[4] - نفسه، 149.
[5] - ينظر رسالة الغفران : 305-306 .

أعمالـــه وتحملـــه عليـــه نفســـه فـــي هـــذه الرّســـالة، فـــي مثـــل تلـــك المرحلـــة مـــن حياتـــه. ويقـــودني هـــذا إلـــى الشّـــك فـــي صـــحّة مـــيلاد ابـــن شـــهيد، فتبقـــى المســـألة في حاجة إلى تحقيق." [1]

و قـــد بَنـــى شـــكّه هـــذا فـــي أن يكـــون ابـــن شـــهيد قـــد كتـــب رســـالته و هـــو فـــي الرّابعـــة والعشـــرين مـــن عمـــره علـــى الأكثـــر، هـــذا فـــي الوقـــت الـــذي يقـــول فيـــه ابـــن شـــهيد فـــي رســـالته، إن مـــن إخوانـــه مـــن بلـــغ الإمـــارة وانتهـــى إلـــى الـــوزارة فما الذي أخذته الأيّام من شاب في العشرين من عمره؟

و هـــل حـــدّثنا التّـــاريخ عـــن وزراء وأمـــراء فـــي عصـــر" المســـتعين" مـــن مواليـــد ابن شهيد و إخوانه ؟[2] .

و يـــرى زكـــي مبـــارك أنّ « هـــذا الكـــلام يُشـــعر بأنّـــه كتـــب هـــذه الرّســـالة فـــي عهـــد المســـتعين. و المســـتعين هـــذا هـــو ســـليمان بـــن الحكـــم بـــن ســـليمان بـــن عبـــد الرّحمـــان النّاصـــر الأمـــوي، الـــذي بويـــع بقرطبـــة منتصـــف ربيـــع الأول ســـنة 400 هـــ، بعـــد مقتـــل هشـــام بـــن ســـليمان و جُـــددت لـــه البيعـــة ســـنة 403 هـــ ثـــم مـــات مقتـــولا ســـنة 407 هـــ. ومـــن هنـــا يمكـــن أن نـــرجّح أن رســـالة التّوابـــع والزوابع كتبت بين سنتي 403 هـ و407 هـ. "[3]

و لكـــن بطـــرس البســـتاني يـــرى أن الرّســـالة قـــد كُتبـــت بعـــد عهـــد المســـتعين وهـــذا مـــا تـــدل عليـــه الأشـــعار المدوّنـــة فيهـــا، فقصـــيدته التـــي قالهـــا، و هـــو فـــي ســـجن

---

[1] - نثر أبي العلاء، صلاح رزق : 142.
[2] - ينظر نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 142
[3] - النثر الفني في القرن الرابع ، زكي مبارك/1 : 260.

العَلـــويّين، يصـــحّ أن تكـــون فـــي خلافـــة علـــي بـــن حمـــود (407 -408هـــ) وهـــذا مـــا يرجحـــه، لمـــا عـــرف عـــن هـــذا الخليفـــة مـــن الشّـــدة والتنكيـــل والمصـــادرة واعتقـــال الـــذين كـــانوا فـــي خدمـــة المســـتعين؛ أو فـــي خلافـــة أخيـــه القاســـم التـــي امتـــدت إلـــى أن جـــاء يحـــي بـــن علـــي ينـــازع عمـــه الملـــك ســـنة 412 هـ.

غيـــر أن القاســـم عـــاد إلـــى قرطبـــة و ملكهـــا ســـنة 413 هـــ. و هـــرب يحـــي إلـــى مالقـــة فربمـــا ســـجن ابـــن شُـــهيد فـــي تلـــك السّـــنة لكثـــرة مدائحـــه فيـــه وإذا لـــم يَصـــحّ ذلـــك و صـــحّ ســـجنه فـــي زمـــن علـــي، فـــبعض مدحـــه لِيَحـــي مـــروي فـــي التوابـــع والزوابـــع ممـــا يـــدلّ علـــى أنّهـــا وضـــعت بعـــد ســـنة 412. و فيهـــا أيضـــا رثـــاؤه لأبـــي عبيـــدة حسّـــان بـــن مالـــك؛ و هـــذا اســـتوزره المســـتظهر عبـــد الرّحمـــان الخامس سنة 414 هـ. كما يخبرنا الفتح بن خاقان في مطمح الأنفس.[1]

و يســـتنتج بطـــرس البســـتاني فـــي الأخيـــر أنّ " العَـــدد الـــذي اعتمـــده المستشـــرق بروكلمـــان بَـــيِّن الغَلـــط، لأنّ القصـــائد التـــي أشـــرنا إليهـــا وذكرنـــا أنهـــا وردت فـــي رســـالة التوابـــع والزوابـــع، لا تســـمح لنـــا بـــأن نجعـــل ولادتهـــا ســـنة 404 هـــ فهـــي إنّمـــا أبصـــرت النـــور بعـــد ســـنة 414 هـــ؛ و لـــم تتقـــدّم رســـالة الغفـــران بعشـــرين ســـنة، بـــل، علـــى مـــا بـــدا لنـــا بتســـع ســـنوات أو أقـــلّ فقـــد كتبهـــا أبـــو عـــامر في قوّة شبابه بعدما نَيَّف على الثلاثين "[2]

---

[1] - ينظر رسالة التوابع و الزوابع : 68 -69 .
[2] - المصدر السابق : 69 – 70 .

أمّا بالنِّسبة لمصادر ابن شهيد في رسالته فهي من التراث الثّقافي العربي الإسلامي؛ " فقد اعتمد على المرجع المُعْتقدي في المجتمع العربي المتوارث في قضيّة علاقة المبدعين بتوابعهم و أمكنة تواجدهم."[1]

و هو ما كان يسمّى في العصر الجاهلي بشياطين الشّعراء؛ فقد بنيت رسالة التوابع و الزوابع على أساس الأسطورة العربية القائلة بأن لكلّ شاعر تابعا يلهمه الشّعر و يعينه على صناعته.[2]

أما الشّكعة فيرى أن ابن شهيد قد استلهم قصّته من بديع الزّمان الهمذاني و قد تأثّر بها مضمونا ومنهجا وأسلوبا يقول:" قصّة التوابع والزوابع من حيث فكرتها مقتبسة، و لا شَكّ من المقامة الإبليسية لبديع الزّمان رغم قصرها، ففيها أصول فكرة التوابع والزوابع. "[3]

و لم يقتصر تأثّر ابن شهيد على المقامة الإبليسيّة، في نَظَرِ الشكعة بل ذكر أيضا المقامة البشرية والمقامة الحمدانية و المقامة الجاحظية، كما أن أثر المقامة المضيرية و المقامة البغدادية واضح كل الوضوح ولا سيما في ما تعلق بوصف بعض الأطعمة، و هي ذاتها التي ذكرها الهمذاني .[4]

---

[1] - جمالية المكاتبة في الأدب العربي ، عبد الله المعاوي:98

[2] - ينظر فن الرسائل في الأدب الأندلسي ، العيسى مصطفى : 145 .

[3] - الأدب الأندلسي ، الشكعة : 680 .

[4] - نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ، عمر موسى باشا : 235.

يقــول:" و يظهــر تــأثر ابــن شــهيد ببــديع الزّمــان فــي الموضــوع و الأســلوب والفكرة في وصف الحلوى."[1]

و يعتقــد الشــكعة أن ابــن شــهيد كــان متــأثرا بمنــاظرة بــديع الزّمــان والخــوارزمي واســتفاد مــن ذلــك فــي الفكــرة و الأســلوب و الجــدل مــرارا وخاصّــة فــي منــاظرة (أَنْــف النّاقــة) شــيطان خصــمه الإفليلــي ومجادلتــه الإوزّة (أم خفيف)..[2]

و يــرى شــوقي ضــيف أنّ ابــن شــهيد قــد اســتوحى رحلتــه فــي عــالم الجــن مــن بــديع الزّمــان فــي مقامتــه الإبليســيّة التــي تعــرض للقــاء عيســى بــن هشــام بإبليس في واد من وديان الجنّة و تحاورهما وتناشدهما الشّعر.[3]

و فــي الأخيــر، و علــى الــرّغم مــن قيمــة توثيــق الــنّص و تأْصِــيله، فإنّنــا نــرى أن نــص الرّســالة الــذي أغنــى التّــراث الأندلســي بمضــمون جمــع الفكاهــات والطرائــف و الخيــال و النّقــد و الشّــعر و النثّــر فــي رســالة واحــدة، هــو الأجدر بالعناية و الاهتمام.

2- رسالة الغفران، لأبي العلاء المعرّي (ت449هـ) :

[1] - الأدب الأندلسي : 681.
[2] - نظرات جديدة في غفران أبي العلاء: 235.
[3]- ينظر عصر الدول و الإمارات: الأندلس، شوقي ضيف، ط2، دار المعارف ، القاهرة 1994م: 457

رسالة الغفران، رسالة إخوانية طويلة تجري مجرى الكتب المصنفة يستطرد فيها المعرّي إلى رحلة خياليّة في العالم الآخر، بطلها ابن القارح الذي يُوَجِّه فيها خطاه بين الجنة و الجحيم، و قد كتبها المعرّي أثناء عزلته و في صميم الشطر الثاني من رحلة حياته حيث كان يودع العقد السادس من عمره و يستقبل السابع.

و قد أملى رسالته بعد أن أنضجته الأيام بمِحَنها و تجاربها.[1]

و من المعلوم أن رسالة الغفران هي رسالة جوابية؛ لأنه تلقى رسالة من ابن القارح و قد أطال الجواب عنها، و المعروف أيضا أن أبا الفرج الزَّهْرَجِي، كاتب نصر الدّولة، كتب رسالة إلى ابن القارح وأخرى لأبي العلاء، و كلف ابن القارح أن يوصلها إليه، لكنّها سرقت منه، فكتب إلى أبي العلاء رسالته التي كانت باعثا له على إنشاء رسالة الغفران.[2]

أما عقدة الرسالة فتتمثل في المعادلة الصعبة بين زهد مؤلفها وشهوانية بطلها، وفي التورية الدقيقة لسخرية أبي العلاء بابن القارح، أو لعل عقدتها في المأزق الحرج الذي يجعل تصوّرَ أبي العلاء لعالمه الآخر مظنة التباس بالحياة الآخرة في العَقيدة الدّينية. متَّخذا من هذه الرّحلة فرصة للقاء الشّعراء و اللّغويين و الرّواة لِيناقشهم فيما كان يشغله ويشغل عصره من قضايا الشّعر و اللّغة.[3]

---

[1] - ينظر النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين: 28.
[2] - ينظر : نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ، عمر موسى باشا : 237.
[3] - ينظر : النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين : 29 .

و جاءت أغلب موضوعات الغفران في الأمور الدينية و الفلسفية، كما جاءت تَصِفُ أدواء المجتمع المختلفة، أما المسائل العلمية فكانت الأوفر نصيبا، و هكذا أخذت الرّسالة من كل باب بنصيب.[1]

فرسالة الغفران موقف فلسفي من الدّين و الدّنيا و من الأدب والحياة.

و هي تندرج في إطار أدب "الجواب" و أدب الجواب يُحكم غالبا بمبدأ المشاكلة، أي أن يجيب المسؤول سائله من جنس بيانه، و لم تكن رسالة ابن القارح قصّة حتى يكون الثوب القصصي حتما في الرّد عليها وإنّما كانت خواطر شيخ حلبي قادته أعوامه الثمانون إلى التأمل فيمن أغرتهم مُتَعُ الحياة و غفلوا عن التّوبة في حينها وقد عدد الكثيرين منهم في تاريخ الفكر و الشّعر. فقفز المعرّي هذه القفزة القصصية ليجيب ابن القارح وللتحول من الندم إلى الغفران.[2]

و مهما يكن من أمر ، فإن رسالة الغفران أغنى آثار أبي العلاء الأدبيّة لما تحمله من انسجام فني و نقدي و ديني و اجتماعي.

فالمعرّي قد" أعطى بها أقدم أثر رمزي رائع، يجعله الخَلِيق بأن يعدّ أبا الرّمزية في الأدب كل الأدب".[3]

---

[1] - ينظر نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 133 .

[3]- ينظر مقال بعنوان: الفن القصصي في رسالة الغفران، أحمد درويش، 2008/01/25 www.tunisia-sat.com

[3] - المعري ذلك المجهول ، عبد الله العلايلي :85 .

*- ابن القارح : هو علي بن منصور بن طالب الملقب بدوخلة ، قال عنه من شاهده ببغداد : كان شيخا من شيوخ الأدب راوية للأخبار و حافظا لقطعة كبيرة من اللغة و الأشعار ، قؤوما بالنحو ، و قد درس ابن القارح على شيوخ اللغة في الشام و بغداد وتكسب بالتعليم في الشام و مصر.(ينظر معجم الأدباء،83/15)

و قد أملى أبو العلاء رسالة الغفران في معرّة النّعمان حوال سنة 424هـ ، ردًا على رسالة تلقاها من ابن القارح*[1] يسأله فيها عن جملة من الأمور منها التّاريخ و الفقه و التصوف و الأدب و النّحو والسيرة النبوية والزّندقة؛[2] فكانت رسالة ابن القارح سببا في خلق رسالة الغفران.

يقول أمجد طرابلسي :"قد لا يبتعد أحدنا عن الصّواب إذا قَلَب النّظرية رأسا على عقب، مفترضا أن أبا العلاء إنما قصد برسالة الغفران كتابة رسالة جوابيّة في النّقد اللّغوي و الأدبي، و في الكلام عن الزندقة والزنادقة، أما الأسلوب القصصي التهكمي الذي لجأ إليه، و الإطار الهزلي السّاخر الذي ابتكره لقصته، فهما بالنّسبة إلينا من الأشياء الجميلة الرّائعة، و لكنّهما قد لا يكونان في نظر المعرّي سوى أمور تتصل بالشكل و الإطار دون أن تغير من جوهر الموضوع شيئا. و لا نحسب أن المعرّي و معاصريه و الذين جاؤوا بعده قبل عصرنا قد استشفوا غير هذا وراء رسالة الغفران".[3]

---

[1] - ينظر النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعلاي بين الفلسفة و الدين :28

[2]- ينظر مقال بعنوان :بين رسالة الغفران و الكوميديا الإلهية، أحمد عباس أحمد، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 228، المنامة ، 1424/2003 .

[3] - النقد و اللغة في رسالة الغفران ، أمجد طرابلسي ،ط1، الجامعية السورية : 06 .

و كانت الرّسالة أيضا ردّا قاطعا من المعرّي على منتقديه من الأدباء الذين اتهموه بالزندقة والإلحاد و الكفر و اتّباع ملة البراهما الهندوسية التي تقدّس الرّوح و لا تأكل لحوم الحيوانات.[1]

و في الغفران ثلاثة محاور رئيسة:

1- الحياة الآخرة و فيها صوّر لنا المعرّي الجنّة و نعيمها و النّار وعذابها.

2 – الحديث عن الزندقة .

3 – المسائل اللّغوية و الأدبية.

و الفكرة الأساسية لرسالة الغفران تقوم على أساس المُوازنة بين الشعراء والأُدباء.[2]

يقول لويس عوض:" رسالة الغفران للمعرّي هي أيضا مثل الضفادع لأرسطو فانيس وصف رحلة العالم الآخر، أخذ منها صاحبها وسيلة لإقامة الموازنات بين الشّعراء".[3]

و يقول صلاح فضل :" إنَّ هدفه الرّئيسي من رحلته كان هو إجراء لون من النّقد الأدبي و اللّغوي بالإضافة إلى هدف آخر ثانوي هو مقاومة

2- ينظر مقال : بين رسالة الغفران و الكوميديا الإلهية، أحمد عباس أحمد، صحيفة الوسط البحرينية، المنامة، العدد 228، 1424/2003هـ.

[2] - يُنظر الظاهرة الدرامية و الملحمية في رسالة الغفران:57.

[3] - على هامش الغفران، لويس عوض ، أو المرجع نفسه: 57 .

الفكـــرة السَّـــائدة لـــدى علمـــاء الكـــلام فـــي عصـــره عـــن تَضـــيِيق حضـــيرة الـــدِّين بفكرة أخرى عن رحمة الله التي وسعت كل شيء..."[1]

و الفكـــرة الرئيســـية فـــي رســـالة الغفـــران هـــي فكـــرة البعـــث بعـــد المـــوت وتفرعـــت عنهـــا أفكـــارٌ أساســـية كفكـــرة الغُفـــران و الحســـاب و إن كانـــت قـــد اختصت فيما يُعرف بالمُوازنة بالشُّعراء و الأدباء من النّاس بعد بعثهم.[2]

و لقـــد اعتمـــد المعـــرّي فـــي رســـالته علـــى التُـــراث الـــدّيني و علـــى الأخبـــار والأســـاطير العربيـــة فقـــد "فـــتح أبـــو العـــلاء المعـــرّي عدســـته علـــى عالمـــه معتمـــدا علـــى مرجـــع دينـــي فحـــرك أشخاصـــه داخـــل فضـــاء اســـتمد ســـينوغرافيته مـــن معلوماته و معارفه الدّينية."[3]

و يتحـــدث ســـيد نوفـــل أيضـــا عـــن مصـــادر أبـــي العـــلاء فيقـــول :" و قـــد تـــأثّر فـــي قصـــته بمـــا فـــي البيئـــة الإســـلامية مـــن وصـــف الحيـــاة الأخـــرى، و مـــا ذكـــره القـــرآن الكـــريم والأحاديـــث النّبويـــة فـــي تصـــوير الجنّـــة و النّـــار والثـــواب والعقـــاب والشّـــفاعة، وقصّـــة المعـــراج التـــي حـــدثت للرّســـول صـــلىّ الله عليـــه وســـلم و قـــد تعمـــق المعـــرّي هـــذه المرويـــات و انفعـــل بهـــا، و ضـــمّنها كثيـــرا مـــن الأحـــداث والمشـــاهد وحـــوار الشّخصـــيات فضـــلا عـــن الصّـــراع الـــذي يتصـــاعد تـــدريجيا كلمـــا انتقـــل مـــن فصـــل إلـــى فصـــل ومـــن مشـــهد إلـــى مشـــهد وكـــل ذلـــك فـــي أســـلوب شـــيق تضـــمن كثيـــرا مـــن آرائـــه فـــي الحيـــاة والحـــبّ والفلســـفة والـــدّين

---

[1]- تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي ، صلاح فضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط2، 1405هـ-1985م :73.

[2] - ينظر الظاهرة الدرامية و الملحمية في رسالة الغفران:58.

[3] - جمالية المكاتبة في الأدب العربي ، عبد الله المعاوي:94.

و العزلة التي فرضها على نفسه، و كأن الرّحلة بذلك كانت متنفسا له عن عالم أرضي لم يرض به و لم يرض عنه."[1]

هذا بالإضافة إلى الأساطير العربية التي تتحدث عن الجن و الغيلان وحكاياتهم على ألسن الحيوان و إنطاقها بالمثل السّائر... إضافة إلى القصص الأجنبي مثل كليلة و دمنة وأسمار الجهشياري، و لا سيما كليلة التي قامت على إنطاق الحيوان و كذا رسائل الجاحظ السّاخرة التي استلهمها بشكل واضح.[2]

و في الأخير، فإننا لا يمكن أن نجزم بالقطع في التشابه بين الرّسالتين لأن أوجه الاختلاف بينهما أكثر من التشابه.

فغاية ابن شهيد كانت إفحام خصومه و الكيد لحسّاده الذين انتقصوه من قيمته وعلى رأسهم ابن الإفليلي، و غاية المعرّي مناقشة ما كان يشغل باله و يشغل عصره من أمور دينية و فلسفية ولغوية و نقدية إضافة إلى الرّد على منتقديه من الأدباء الذين اتهموه بالزندقة والإلحاد و الكفر وعلى رأسهم ابن القارح.

و قد كان البطل في التوابع و الزوابع ابن شهيد نفسه بينما بطل الغفران هو ابن القارح .

وإذا جئنا إلى مصدر كل منهما؛ فالتوابع و الزوابع مصدرها التّراث الثّقافي العربي القائم على أساس الأسطورة القائلة بشياطين الشعراء

---

[1] - الجنة و النار في الأدب العربي القديم ، سيد نوفل ، مجلة الهلال ، فبراير 1974 : 42-43 .

[2] - ينظر المعري ذلك المجهول ، عبد الله العلايلي:86 – 88 .

إضافة إلى اقتباسه من مقامات بديع الزمان الهمذاني، أما مصدر الغفران فهو التراث الديني و القرآن الكريم و الأحاديث النبوية و حادثة الإسراء والمعراج إضافة إلى الأساطير العربية التي تتحدث عن الجن و الغيلان. فالاختلاف بَيِّن بينهما في الصور والحوار والمضمون.

المبحث الثاني : بَينَ التَّوابع و رسالة الغُفران أو عملية التأثِير والتَأَثر:

إنَّ البحث في موضوع التأثر و التأثير في الأعمال الأدبية الإبداعية أمر عويص؛ إذ من العسير إثبات تبعية عمل أدبي ما لعمل آخر تبعية مطلقة لأن المشابهة قد تكون غير مقصودة تدخل في إطار توارد الأفكار.

و يمكن الحديث في هذا المجال عن عملين أدبيين نقديين اختلف حولهما النّقاد و الباحثون وهما رسالة التوابع و الزوابع؛ و رسالة الغفران فمنهم من رأى أن الغفران وضعت تقليدا لرسالة التوابع والبعض الآخر رأى عكس ذلك؛ و رأى فريق ثالث الاختلاف واضحا بين الرّسالتين؛ و أما الفريق الرابع فقد رأى التقارب تاما بينهما.

و ممن رأوا التشابه التام بين الغفران و التوابع زكي مُبارك الذي يقول:" والواقع أن التَّشابهَ تامٌّ بين الرِّسالتين فالموضوع واحد هو عرض المشاكل الأدبية و العقلية بطريقة قصصية، و الخلاف في جوهر الموضوع يرجع إلى روح الكاتبين: فأبو العلاء يحرص أولا وقبل كل شيء على عرض المعضلات الدينية والفلسفية وابن شُهيد يحرص على عرض المشكلات الأدبية و البيانية.

و يتفق كلا الرجلين على التعرض بمعاصريه وشَرح ما أخذ على المتقدمين من أساطين العقل و البيان؛ و المسرح واحد تقريبا؛ فهو عند ابن شُهيد وادي الجِن في الدنيا وهو عند أبي العلاء وادي الإنس في الآخرة: أي الفردوس والجحيم. فالممثلون عند ابن شهيد جنٌ يُسَخِّرون الناس، و عند أبي العلاء إنس تُسخِرُهم الملائكة و الشياطين"[1]

و قد رفض صلاح رزق ما أقره زكي مبارك من تشابه بين الرسالتين حين رأى أن الاختلاف جوهري في الموضوع و روح الكاتبين، و أن المسألة في جوهرها عند ابن شُهيد انتزاع اعتراف بشاعريته من أصحاب الشاعرية الحَقَّة حين عَجَزَ عن أخذ هذا الحُكم من الشعراء والأدباء المعاصرين له وأما المسألة في الغفران فهي مبنية على أساس البَصَر العقلي الدّقيق والأسس النقدية الرفيعة و الخيال الفَذّ إلى آخر الأمور التي خَلَّدَت الغفران عبر الأزمان.[2]

ثم نقد أيضا رؤية زَكِي مُبارك في التّشابه المسرحي في الرسالتين بقوله:"...ثم من قال إن مسرح الرسالتين واحد في نفس الوقت الذي يقول فيه إن الجنّ في الأولى يقابله الإنس في الثانية والدّنيا في الأولى تقابلها الآخرة في الثانية ؟ فإذا كان هذا اتفاقا فما هو الاختلاف؟"[3]

---

[1]- النثر الفني في القرن الرابع هجري /1 : 260 .
[2] - ينظر : نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق:143.
[3] - المرجع نفسه : 144 .

لِيَجْـزِمَ فـي الأخيـر بعـدم التَّشـابه بـين الرّسـالتين و يـرى أن المصـادر المُختلفـة التي شاركت في وضع الغفران تُغني أبا العلاء عن الأخذ من ابن شهيد.[1]

لقـد غـالى صـلاح رزق فـي أحكامـه علـى رسـالة ابـن شُـهيد، و كـذا فـي حَطِّـهِ مـن قيمتـه الأدبيـة و النّقديـة فـي موازنتـه بـأبي العـلاء؛ و كـان منحـازًا غيـر مُنصف، مع الغفلة عمّا كان لابن شهيد من مكانة عند أهل زمانه.[2]

فممّـا لا يقبـل مـن باحـث منصـف قولـه:" إنـه راح فـي صـبيانية و سـذاجة يحلـم بـانتزاع هـذه الأحكـام مـن أصـحاب الشّـاعرية "؛ فـإذا كـان ابـن شـهيد يريـد حقّـا انتـزاع هـذه الأحكـام لإثبـات تَفَوُّقِـهِ، فـإنّ المعـرّي كـذلك أراد إثبـات مكانتـه العلميـة بسـرد محفوظـه مـن اللّغـة والأخبـار والأشـعار والإعـلان عـن براعته و الكشف عن ألوان الثّقافات والمعارف المختلفة.

فهـذا دليـل علـى أن كليهمـا عـرف أن الرّسـائل الأدبيـة طريـق لإثبـات التفـوق وإحراز السَّبْقِ مع الاختلاف في التناول.

و أمـا قولـه:" إن المصـادر المختلفـة التـي شـاركت فـي وضـع الغُفـران أغنـت أبـا العـلاء الأخـذ مـن ابـن شـهيد"، فهـو غَمـط لمكانـة ابـن شـهيد الأدبيـة وإجحـاف فـي حقـه فـإذا أخـذ عنـه المعـري فهـذا لا يقلّـل مـن شـأنه لأن لكـل منهمـا مجالـه الخـاص و شخصـيته المسـتقلة فـي تنـاول القضـايا النقديـة واللغوية على الرغم من التشابه في السّرد وطريقة العرض.

---

[1] - ينظر نفسه : 145 .

[2]- ينظر ما قاله ابن حيان في كتاب المتين عن ابن شهيد و علمه(الذخيرة1/1 : 192 – 193) و كذا الفتح بن خاقان في المطمح :189، و الحميدي في جذوة المقتبس :133 .

أمـــا عـــن مســـرح الرّســـالتين فهـــو تقريبـــا كمـــا حـــدده زكـــي مبـــارك، لأن كـــلا منهمـــا قـــام برحلـــة خياليـــة إلـــى عـــوالم لا يعرفهـــا إلا بالسّـــماع. و لربمـــا كـــان هـــذا التنـــاقض فـــي الـــرّحلتين دليـــل تـــأثّر كمـــا قـــال البَيُّـــومِي:" و لـــن تجـــد موطنـــا أفســـح و لا أوســـع مـــن رحلتـــين خيـــاليتين قامـــت أولاهمـــا فـــي الأرض السّـــابعة وارتفعـــت أخراهمـــا إلـــى السّـــماء العاليـــة ثـــم ألا يكـــون هـــذا التنـــاقض المعـــارض دليـــل التـــأثّر الواضـــح حـــين يـــذكر الشّـــيء بنقيضـــه كمـــا يـــذكر بمثليـــه علـــى السواء؟".[1]

ومـــن أوائـــل المحـــدثين الـــذين أشـــاروا إلـــى أســـبقية التوابـــع و أخـــذ المعـــرّي عنهـــا "اميليـــو غارســـيا غـــومس" فـــي قولـــه :" و أمّـــا عـــن جانبـــه النقـــدي فقـــد خلـــد لنـــا رســـالة (التوابـــع و الزوابـــع) التـــي صـــور فيهـــا رحلـــة شـــاعر إلـــى الجنـــة، ســـابقا بذلك المعرّي و دَانتي إلى ذلك الموضوع".[2]

و لكـــن غـــومس أخطـــأ عنـــدما اعتقـــد بـــأن رحلـــة ابـــن شـــهيد إلـــى الجنّـــة فـــي حـــين أنها رحلة إلى واد الجن لا إلى الجنة كما توهم..[3]

و يَعـــرض بروكلمـــان للـــرأي نفســـه فـــي قولـــه:" رســـالة التوابـــع و الزوابـــع التـــي كتبهـــا حـــوالي ســـنة(421 هـــ-1030م) و التـــي تجمـــع فـــي رحلـــة إلـــى وادي الجـــن كثيـــرا مـــن النّقـــد و الطرائـــف الأدبيـــة، ربمـــا كانـــت النّمـــوذج الـــذي اتخـــذه

---

[1]- الأدب الأندلسي : بين التأثر و التأثير ، محمد رجب البيومي : 186-187 .
[2]- الشعر الأندلسي ، اميليو غارسيا غومس:39 .
[3]- ينظر : نظرات جديدة في غفران أبي العلاء:223 .

المعـــري فـــي رســـالة الغفـــران".[1] و يبـــدو أن بروكلمـــان كـــان أكثـــر تحفظـــا ولـــم يكـــن واثقـــا و متأكـــدا مـــن أخـــذ المعـــري للتوابـــع فـــي قولـــه" ربمـــا كانـــت النمـــوذج الذي احتذاه المعري".

أمـــا بطـــرس البســـتاني فأكّـــد رأيـــه فـــي الســـبق الزمنـــي للتوابـــع و آثـــر الســـلامة فـــي أن يكـــون المعـــرّي قـــد أخـــذ عـــن ابـــن شـــهيد فـــي قولـــه:" و لكـــن لا نـــزعم أنـــه انســـحب علـــى أذيالهـــا فـــي رســـالة الغفـــران، فـــإن الشّـــبه الـــذي نجـــده بـــين الرســـالتين لا يحـــرم أبـــا العـــلاء حـــق التـــأليف، و كلتاهمـــا تســـير فـــي طريـــق معبـــد لهـــا، وترمـــي إلـــى هـــدف مخصـــوص بهـــا فـــإذا قصـــد الكاتبـــان عـــالم الأرواح فـــي قصـــتيهما فطريـــق أبـــي عـــامر قادتـــه إلـــى وادي الجـــن، وطريـــق المعـــرّي قادته إلى الآخرة."[2]

و حتـــى و إن ســـبقت رســـالة التوابـــع و الزوابـــع الغفـــران زمنيـــا فهـــذا لا يثبـــت الأخـــذ علـــى المعـــري الأخـــذ خصوصـــا وأن المـــدة الزمنيـــة بـــين الرســـالتين لا تتجـــاوز العشـــر ســـنوات فهـــل هـــذه المـــدة تكفـــي لتصـــل رســـالة ابـــن شـــهيد مـــن قرطبـــة الأنـــدلس إلـــى معـــرّة الشّـــام ليســـمع بهـــا المعـــري أو يطلـــع عليهـــا ويطلـــب أن تُقرأ عليه، ثم يستخدمها في تصنيف رسالته لابن القارح؟.[3]

و مـــن البـــاحثين القلـــة الـــذين حـــاولوا إثبـــات تبعيـــة التوابـــع لرســـالة الغفـــران أحمـــد ضـــيف فـــي قولـــه عـــن ابـــن شـــهيد:" و قـــد كتـــب رســـالة هـــي أشـــبه برســـالة

---

[1]- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان /5 : 122 .
[2]- رسالة التوابع و الزوابع :75 .
[3]- ينظر : نظرات جديدة في غفران أبي العلاء:229.

الغفـران مـن حيـث أسـلوبها الأدبـي، و سـماها التـوابع و الزوابـع، و لعـل ابـن شـهيد كـان يقلـد أبـا العـلاء فـي ذلـك لأنـه أدرك عصـره، و لأن شـهرة أبـي العـلاء كانـت ذائعـة فـي المشـرق و المغـرب، و كـان أهـل الأنـدلس يقلّـدون المشرق في كل شيء." [1]

فهـو قـد اعتمـد أدلـة ثلاثـة فـي نظـره، هـي أن حيـاة ابـن شـهيد انـدرجت فـي عصـر أبـي العـلاء؛ و الثـاني أن شـهرة أبـي العـلاء كانـت ذائعـة فـي المشـرق والمغرب.

وأمـا الثالـث فهـو أن أهـل الأنـدلس كـانوا يقلّـدون أهـل المشـرق فـي كـل شـيء فهـي ليسـت أسـبابا قاطعـة لبنـاء حكـم كهـذا، كـون ابـن شـهيد كـذلك ذا شـهرة ذاعـت فـي المشـرق والمغـرب بـدليل مـا كتبـه عنـه الثّعـالبي فـي يَتِيمَتِـهِ أمـا أن حياتـه انـدرجت فـي عصـر أبـي العـلاء، فهـذا لا يعنـي شـيئا فرسـالة التوابـع والزوابـع قـد سـبقت كتابـة الغفـران وهـذا معـروف فـي مختلـف المصـادر، أمـا أن أهـل الأنـدلس يقلـدون المشـارقة فـي كـل شـيء فكـذلك أهـل المشـرق كـانوا حريصين على متابعة الحركة الأدبية في الأندلس .

و يـرى أيضـا عمـر موسـى باشـا أن ابـن شـهيد قـد تـأثر بـأبي العـلاء وأخـذ منـه أمـوراً كثيـرة فـي قولـه:" ثمّـة أمـور كثيـرة غيرهـا اسـتمدها ابـن شـهيد فـي رسـالته مـن أبـي العـلاء، و لا أحـب الإطالـة فيهـا، ولكـن اعتمـاده علـى بعـض

---

[1]- بلاغة العرب في الأندلس ، أحمد ضيف :47 – 48

مـــا ذكـــره واقتباســـه شخصـــية (الخيتعـــور أحـــد بنـــي الشَّيْصَـــبَان) [1] . ولـــم نعـــرف الشيصـــبان إلا فـــي غفـــران أبـــي العـــلاء و اســـتخدم، بنـــي الشيصـــبان ، و عنـــى بهـم قبيلـة مـن قبائـل الجـن .أمـا ابـن شـهيد فقـد ذكـره فـي مطلـع قصـته بقولـه:" إن به شيطانا يهديه، و شَيْصَباناً يأتيه..."[2] .

و ذكـــر أن ابـــن شـــهيد كـــان محـــدودا فـــي أســـماء الجـــن بينمـــا المعـــري ســـمى أســـماءًا مختلفـــة مثـــل: الجـــن والشيصـــبان و الخَيْتَعُـــور، و الســـعالي، والغـــيلان والعفاريت، و غير ذلك..[3]

و ذكـــر أيضـــا أن ابـــن شـــهيد قـــد أخـــذ عـــن المعـــرّي اســـتخدام أســـماء بعـــض الأعـــلام بالإضـــافة إلـــى اســـتخدام بعـــض المفـــردات الخاصـــة بـــأبي العـــلاء كمـــا في قوله (صغوي إليه) [4] و غيرها...

فَعُمَـــر موســـى باشـــا لا يعتقـــد بأســـبقية التوابـــع علـــى الغفـــران زمنيـــا و يشـــك فـــي ذلـــك ولكـــن جـــل الكتـــب التاريخيـــة و النَّقديـــة أكـــدت الســـبق الزمنـــي للتوابـــع ومنـــه فـــلا يمكـــن أن يأخـــذ ابـــن شـــهيد هـــذه الأمـــور و قـــد ســـبق تأليفـــه تـــأليف المعـــري ببضـــع ســـنوات، و هـــذه المفـــردات التـــي اتهـــم ابـــن شـــهيد بأنـــه أخـــذها عـــن المعـــري فهـــي مفـــردات عربيـــة و ليســـت مـــن صـــنيع المعـــري ولا اختراعـــه

---

[1]- رسالة الغفران: 197 .
[2]- التوابع و الزوابع: 88 .
[3]- نظرات جديدة في غفران أبي العلاء: 243.
[4]- ينظر المرجع نفسه: 243.

ومـا دامـت موجـودة فـي اللغـة فهـي ملـك الجميـع وليسـت حكـرا علـى أحـد دون سواه؛ فما جاء به ليس بدليل قطعي على الأخذ وخاصة بهذه الأسباب .

و ممـن كـانوا مقتنعـين بعـدم التشـابه، شـوقي ضـيف الـذي وقـف عنـد أوجـه الاخـتلاف التـي يراهـا فـي قولـه:" أنهمـا رحلتـان وراء الواقـع ، لكنهمـا تختلفـان فرحلـة أبـي العـلاء المعـري تـدور علـى عقيـدة المعـاد و مـا يتصـل بهـا مـن أهـوال الحشـر و الصـراط... و لقـاء بعـض مـن غُفِـرَ لهـم مـن الشـعراء واللغـويين فـي الفـردوس، ورؤيتـه إبلـيس و بشـاراً و أمثالـه مـن الزنادقـة فـي الجحـيم. أمـا رحلـة التوابـع والزوابـع فتـدور علـى مـا شـاع فـي العصـر الجـاهلي (الـوثني) مـن تصـوّر شـياطين للشـعراء يلهمـونهم أشـعارهم. و الثـاني: أن الـذي أوحـى إلـى ابـن شـهيد بالرسـالة هـو بـديع الزمـان الهمـداني فـي المقامـة الإبليسـية ؛فقـد لقـي (عيسـى بـن هشـام) بطـل المقامات عنده ابليس في واد من أودية الجن وجرى بينهما حوار".

و ممـن أنكـر أيضـا التشـابه بـين الرسـالتين الباحثـة بنـت الشـاطئ فـي قولهـا:" فـدعوى التشـابه و التقليـد بـين الرسـالتين قولـة جديـدة فـي عصـرنا لـم يقـل بهـا سـوى قلـة لـم تتخصـص بهـذا الموضـوع، و لا هـي تفرغـت لتحقيقـه و إنمـا تناولته جملة فيما تناولت من مواضيع عامة في النثر العربي."

و قولهـــا :" و الواقـــع أن القـــائلين بالتشـــابه و المحاكـــاة لمحـــو ظـــواهر عـــابرة ممـــا تجـــد مثلـــه فـــي الغفـــران و التوابـــع والزوابـــع و لـــو احتكمـــوا إلـــى الصـــين لرأوا فيهما أثرين متميزين لأديبين مختلفين من إقليمين متباعدين".[1]

و قـــد ناقشـــها فـــي ذلـــك محمـــد رجـــب البيّـــومي حـــين ذكـــر أن عـــدم وجـــود التشـــابه أو المحاكـــاة لا يـــدفع التـــأثر المشـــروع بـــين الأدبـــاء حـــين قـــال :" فـــابن شُـــهيد قـــد ابتكـــر الكتابـــة عـــن بعـــض عـــوالم الغيـــب فتـــأثر بـــه أبـــو العـــلاء وأحـــب أن يكتـــب عـــن بعـــض هـــذه العـــوالم أيضـــا، و إن ســـار الأول فـــي طريـــق الجـــن والثـــاني فـــي طريـــق الجنـــة والنـــار... فكـــل مـــوطن بـــين الآثـــار الفنيـــة مجـــال للدراسة و التحليل فالحكم بالتأثر والتأثير."[2]

و ذلـــك لأن التـــأثر و التـــأثير لا يقتضـــي ضـــرورة التشـــابه المطلـــق فـــي كـــل شـــيء فالكتابـــات تتعـــارض ويحـــاكي بعضـــها بعضـــا؛ كمـــا قـــال رولان بـــارت:" الـــنّص يتـــألف مـــن كتابـــات متعـــددة تنحـــدر مـــن ثقافـــات عديـــدة وتـــدخل فـــي حوارات مع بعضها البعض و تتحاكى و تتعارض ".[3]

و قـــد أكـــد هـــذا فـــراي بقولـــه:" لا يمكـــن نظـــم قصـــائد شـــعرية إلا مـــن منطلـــق قصـــائد أخـــرى، و لا إنشـــاء روايـــات إلا انطلاقـــا مـــن روايـــات أخـــرى...و لا يمكـــن أن تجيـــئ رغبـــة الكاتـــب فـــي الكتابـــة إلا مـــن تجربـــة أدبيـــة ســـابقة، إن

---

[1] - المرجع السابق : 317

[2]- الأدب الأندلسي بين التأثر و التأثير، محمد رجب البيومي، منشورات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، 1400هـ/1980م :186-187

[3]- درس السيميولوجيا ، رولان بارت ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1993م :87 .

الأدب لا يستمد أشكاله سوى من نفسه...كل ما هو جديد في الأدب ليس إلا قديما مطروقا أما تجربة الذات فشيء لم يوجد بعد."[1]

و لهذا فليس من المستبعد أن تكون التوابع و الزوابع قد أثرت في فكر أبي العلاء فأنشأ رسالة الغفران مع التغيير في مسرح الرسالة من عالم الجن عند ابن شهيد إلى عالم الآخرة عنده؛ مع إمكانية تأثر كل منهما بمعجزة "الإسراء و المعراج".

و تظهر معارضة المعرّي لابن شهيد في حيله السردية عند "لجوئه إلى الخيال الماورائي و اتخاذه مسرحا لابن القارح بطل رحلته وهذا اللجوء بحد ذاته يعتبر معارضة ضمنية واضحة لعمل ابن شُهيد، ثم تأتي بعد ذلك الأحداث و أبطالها خلال رحلة ابن القارح في الحياة الآخرة لتعزز هذا الاتجاه ".[2]

و مما يعزز وجود معارضة بين الرسالتين أمور هي كالآتي :

1.عقد المعري حلقات الأدب و المذاكرة شأن أبي عامر في التوابع والزوابع فطوّف صاحبه ابن القارح على الشعراء و علماء اللغة..[3] كما طوف صاحب ابن شهيد على توابع الشعراء والكتاب.

---

[1]- مدخل إلى الأدب العجائبي ، تزفيتان تودوروف ، ترجمة : الصديق بوعلام ، دار الكلام ، الرباط المغرب ، 34:1993:

[2]- المعارضات السردية في الأدب العربي ، عبد الرحمان ابن اسماعيل السماعيل ، مجلة جامعة الملك سعود ، 1424هـ، 2003م : 24

[3]- ينظر التوابع و الزوابع : 79

2.الحيوان عند المعرّي عاقل ناطق كما هو عند ابن شهيد و الفرق هو أن حيوان المعرّي يستطيع التحول إذا شاء.[1]

3.كلاهما ذكر الإوز في رسالته، فأما إوزة ابن شهيد، فإنها أديبة نحوية تبحث في الأصول والفروع ولكنها بلهاء حمقاء في قوله:" قالت: حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال و أنا إنما أردت بذلك إحسان النّحو والغريب اللذين هما أصل الكلام، و مادة البيان.."[2] وقوله:" ألا أيهما أفضل: الأدب أم العقل؟ قالت: بل العقل ، قلت: فهل تعرفين في الخلائق أحمق من إوزة، و دعيني من مثلهم في الحبارى؟*[3]

أما إوزة المعرّي فقد برئت من غباوة الإوز، امتلكت القدرة على التحول إلى كاعب حسناء، تَرفُل في وشي الفردوس، و تحسن الغناء والضرب على الأوتار.[4] في قوله: " و يمر رِفٌّ * من إوز الجنة فلا يلبث أن ينزل على تلك الرّوضة ويقف وقوف منتظر لأمر– و من شأن طير الجنة أن يتكلم- فيقول: [5] ما شأنكن ؟ فيقلن: أُلهمنا أن نسقط في هذه الرّوضة فنغني لمن فيها من شَربٍ. فيقول : على بركة الله القدير. فينتفضن فيصرن جواري كواعب يَرْفُلْنَ في وشي الجنة وبأيديهن

---

[1]- المصدر السابق : 81

[2]- نفسه: 151

- * الحبارى : طائر معروف يضرب به المثل في الحمق و الغباوة ، كما يضرب بالإوز.

[3]- المصدر السابق :152

[4]- نفسه :81

*- الرف بالفتح و الكسر : الجماعة من الطير : و الجمع رفوف و رفاف (الغفران:212).

[5]- الضمير في (يقول) عائد على الشيخ ابن القارح. (نفسه : 212)

المزاهـــر و أنـــواع مـــا يلـــتمس بـــه الملاهـــي..."[1] وقولـــه"...فكيف نفضـــت بَلَـــهَ إوز وهززت إلى الطَّرب أشدّ الهزّ؟..."[2]

4- التشـــابه فـــي الـــدّافع إلـــى كتابـــة الرســـالتين، فكلاهمـــا قصـــد الـــرّد علـــى خصـــومه فـــالمعري قصـــد بهـــا الـــرَّد علـــى ابـــن القـــارح، و ابـــن شـــهيد قصـــد بهـــا ابن الإفليلي.

5- التشـــابه فـــي تقنيـــة الكتابـــة فـــي بعـــض المواضـــع، و هـــو الجُنـــوح إلـــى السّخرية والتهكم مع الفارق في الهدف؛ و ولوجهما عالم الشّعر والنّقد.

6- التشـــابه فـــي الحيـــل الســـردية المســـتعملة فـــي العملـــين و هـــي اللجـــوء إلـــى عالم الغيبيات لتحريك الشخصيات.

إن هـــذا العـــرض لآراء البـــاحثين يفضـــي بنـــا إلـــى نقطـــة مهمـــة؛ و هـــي أنّنـــا لا نريـــد أن نثبـــت فـــي هـــذه الدراســـة أخـــذ المعـــري عـــن ابـــن شـــهيد أو العكـــس لأن التّشـــابه لـــيس بالضـــرورة يكـــون بالأخـــذ. فمـــا تضـــمنته الرســـالتان مـــا هـــو إلا تـــراكم لأفكـــار و معتقـــدات و أســـاطير مســـبقة للكـــاتبين لاطِّلاعهمـــا علـــى القـــرآن الكـــريم والأحاديـــث النبويـــة و حادثـــة الإســـراء و المعـــراج؛ و التـــراث العربـــي بصورة عامة.

و كما يقول ليتش(LEITCH) عن النّص أنه:" ليس ذَاتًا مستقلة أو مادة موحدة ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى؛ و نظامه اللغوي مع قواعده ومعجمه، جميعها تسحب إليها

---

[1]- المصدر السابق : 212
[2]- نفسه : 214 .

كمًّا من الآثار و المقتطفات من التاريخ، و لهذا فإن النص يشبه في معطاه جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تحصى من الأفكار والمعتقدات و الإرجاعات التي لا تتآلف. إن شجرة نسب النص تكون حتما لشبكة غير تامة من المقتطفات المستعارة شعوريا أو لا شعوريا. والموروث يبرز في حالة تَهيُّج. و كل نص حتما: نص متداخل.[1]

و إنما غايتنا من هذه الدراسة موازنة موضوعية و نقدية لمحتوى الرسالتين وفعلا الاختلاف قائم بين الرِّسالتين بالرغم من التشابه الظاهري .

فمسرح الرسالتين مختلف في كون مسرح أبي العلاء مطلقاً شمل العالم الآخر بنعيمه و جنانه الثلاث وجحيمه في سقر و أوديته ونيرانه بالإضافة إلى الصراط المستقيم و الملائكة و حور العين والأنبياء والرُّسل و الجن والقصور و المنازل والدور و غيرها مما لا يمكن حصره، أما ابن شهيد فمسرحه محدود لا يتجاوز وادا في أرض الجن و لا يتجاوز مداه طرفي السماء و قمريها و لا يمتد إلى العالم السماوي.

و كذلك مكان الحوادث، فعند ابن شهيد مكان خرافي (وادي الجن) وأساس فكرته شياطين الشعراء، أما المعري مكانه العالم الآخر وهذا في العقيدة الدينية.

فيبدو أن التشابه لا يتعدى أن يكون في الفكرة العامة التي تدور حول الرّحلة إلى عالم غيبي مجهول لدى الإنسان؛ مع أن الأول رحلته إلى

---

[1]- استيحاء التراث في الشعر الأندلسي – عصر الطوائف و المرابطين، إبراهيم منصور محمد الياسين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،ط1، 2006 :103.

عـــالم الجـــن والثـــاني إلـــى عـــالم الآخـــرة؛ و كـــذا فـــي تضـــمين الـــرحلتين بعـــض القضايا الأدبية و النقدية.

المبحـــث الثالـــث: الأَبعـــاد الجَماليـــة فـــي رِسَـــالَة التّوابـــع و الزّوابـــع ورســـالة الغُفران:

أ- السُّخرية و التَّهكم:

السُّـــخرية الأدبيـــة هـــي نـــوع مـــن الـــتَّهكم اســـتخدمه بعـــض الأدبـــاء لمهاجمـــة بعـــض أنمـــاط السّـــلوك البشـــري، كمـــا اعتمـــده بعضـــهم لإِراحـــة القـــارئ وإبعـــاد الملـــل والضـــجر عنـــه؛ كمـــا قـــد تكـــون تعبيـــرا عـــن مأســـاة عَجَـــزَ عـــن تَحَمُّلِهـــا الضمير الإنساني ففجرها بالسخرية للهروب من واقع مرير.

و قـــد عرفهـــا أحـــد البـــاحثين قـــائلا: " طَرِيقَـــةٌ مِـــن طُـــرُقِ التَّعْبِيـــر، يَســـتعملُ فِيهَـــا الشَّـــخْصُ أَلْفَاظًـــا تَقْلِـــبُ المَعْنَـــى إلـــى عَكـــسِ مـــا يقصـــده المُـــتكلم حقيقـــة، و هـــي صُـــورة مِـــن صـــورِ الفُكاهـــة تَعـــرض السُّـــلوك المُعْـــوج أو الأخطـــاء التـــي إِن فطـــن إليهـــا و عرفهـــا فَنَّـــان موهـــوب تمـــام المعرفـــة وأحســـن عرضـــها تَكـــونُ حينئذ في يده سلاحا مُميتا".[1]

و قـــال آخـــر:" ...هِـــي طريقـــة فـــي الـــتَّهكم المَريـــر، و التَّنَـــدر أو الهجـــاء الـــذي يظهـــر فيـــه المعنـــى بعكـــس مـــا يظنـــه الإنســـان، و ربمـــا كانـــت أعظـــم صـــور البلاغة عُنفا و إخافة وفَتكًا ".[2]

---

[1]- السخرية في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، نعمان محمد أمين طه ،ط1،دار التوفيقية للطباعة ، الأزهر ، مصر ، 1978م:13.

[2]- المرجع السابق : 14

وإذًا فالسُّخرية فَنٌّ من فنون القول تحتاج إلى فِطنة و ذكاء تَتَمَكَّن صاحبها من اصطياد المُفارقة التي تَجلب الضَّحِك.

و بالنسبة لوجود كلمة سخرية في العصر الجاهلي فلا يمكننا القطع بأنها كانت لديهم قليلة أو ضعيفة ولكنها ضاعت مع هذا الشعر و النثر الذي ضاع و لم يصلنا منه إلا القليل.[1]

و مما لاشك فيه أنها كانت مفهومة معروفة عند الجاهليين و الإسلاميين ولكنها من الناحية النقدية كانت قليلة الاستعمال بدليل عدم إيرادها كثيرا في الأحكام النقدية أو في التعليق على الأبيات في كتب الأدب أو النقد.

و قد وردت كلمة السخرية في القرآن الكريم إذ ذكر تقريبا جميع المترادفات من سخر وهزء وضحك...[2]

و قد ورد أسلوب السخرية فيه كما ورد في غيره من الكتب السماوية الأخرى، لكن القرآن الكريم أضاف إلى هذه السخرية ألوان الجدّ و القوة ما جعلها وسيلة هداية إلى الصِّراط السَّويّ.

و السُّخرية تَرِد في القرآن الكريم بصور كثيرة [3] منها: التهديد بلفظ التبشير كما في قوله تعالى:" بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُم عَذَابًا اَلِيمًا" [4] والعذاب لا يُبشر به .

---

[1]- ينظر المرجع نفسه:61

[2]- مقال بعنوان : البلاغة العربية فن يخرج النوادر بالمزحة الأدبية – السخرية في البلاغة العربية، WWW.DARAD DUTUSTOUR.COM 2010/06/16

[3]- ينظر السخرية في الأدب العربي ، نعمان محمد أمين طه : 76 .

[4]- سورة النساء، الآية 138.

و منهـــا الاســـتخفاف بالعقـــل لردعـــه عـــن الغِوايـــة كمـــا فـــي قولـــه تعـــالى:" قُـــل تَمَتَّـــع بِكُفْـــرِكَ قَلِـــيلاً إِنَّـــكَ مِـــن أَصْـــحَابِ النَّـــار" [1] و العاقـــل لا يتمتـــع بشـــيء يُفضي به إلى عذاب النار.

و منهـــا مـــا يـــأتي فـــي صـــورة التهديـــد بـــالتهكم؛[2] كقولـــه تعـــالى:" ذُقْ إِنَّـــكَ أَنْـــتَ العَزِيـــزُ الكَـــرِيم " [3] وأوضـــح أمثلـــة الاســـتخفاف و الاســـتهزاء مـــا قالـــه المـــولى عـــز و جـــل عـــن رســـوله إبـــراهيم عليـــه الســـلام مـــع قومـــه[4]:" قَـــالُوا أَأَنْـــتَ فَعَلْـــتَ هَـــذَا بِآَلِهَتِنَـــا يَـــا إِبْـــرَاهِيم • قَـــالَ بَـــلْ فَعَلَـــهُ كَبِيـــرُهُم هَـــذَا فَاسْـــأَلُوهُم إِنْ كَـــانُوا يَنْطِقُون"[5] وهذه غاية الاستخفاف والتقريع.

و مثلمـــا اســـتخدم القـــرآن السُّـــخرية علاجـــا حـــين قصـــد بهـــا تقـــويم الخَلْـــقِ وإصـــلاحهم وأخـــذِهم إلـــى طريـــق الحـــق بكـــل مـــا عهـــدوه مـــن أســـاليب؛ فقـــد نهـــى الإنسان عن الاستهزاء قصدا و ظُلما بأخيه الإنسان، قال تعالى:

« يَـــا أَيُّهَـــا الـــذِينَ آمَنُـــوا لاَ يَسْخَـــر قَـــوْمٌ مِـــنْ قَـــوْمٍ عَسَـــى أَنْ يَكُونُـــوا خَيْـــرًا مِـــنْهُم» [6] لأن فـــي ذلـــك ضـــررا أخلاقيـــا واجتماعيًـــا. وأَقْـــدَمُ مـــن تَعَـــرَّضَ للموضـــوع قـــديماً، هـــو ابـــن المُعْتَـــز (ت 296هـــ) الـــذي ذكـــر أنـــواع البـــديع الخمســـة التـــي

---

[1]- سورة الزمر، الآية 08
[2]- السخرية في الأدب العربي:76
[3]- سورة الدخان، الآية : 49
[4]- السخرية في الأدب العربي : 76
[5]- سورة الأنبياء: الآيتين، 62-63
[6]- سورة الحجرات، الآية 11.

عُرفت منذ الجاهلية في رأيه؛ ثم ذكر صُنُوفًا ثانوية أطلق عليها كلمة مُحَسِّنَات و منها الاعتراض و الالتفاف

و تأكيد المدح بما يشبه الذَّم و تجاهل العارف والتَعريض و حسن التضمين والهزل الذي يراد به الجد.[1] و هذه المصطلحات اصطلحها ابن المعتز وحده، مع أن تأكيد المدح بما يشبه الذم والتعريض والهزل الذي يُراد به الجِدّ، تدخل ضمن صيغ السُّخرية ولكن ابن المعتز اعتبر هذه الصُنوف مجرد محسنات و لم يُدرجها في معنى الهجاء السَّاخر.[2]

كما نَعثُر على الكلمة أيضا في طبقات ابْنِ سَلاَّم و ذلك في قوله:" فَكَانَ مِنَ الشُّعَرَاء من يَتَأَلَّه في جاهليته و يتعفف في شعره، و لا يَسْتَهْتِرُ بالفَواحش ولا يَتَهَكَّمُ في الهجاء.[3]

هذا عن مصطلح سخرية في مصادرنا القديمة، و لكن ماذا عن السَّاخِر؟

إن السَّاخِرَ هو ذلك المُتعالي بنفسه عن المجتمع الذي يضحك منه أو من أحد أفراده لأسباب ترجع إلى حِقده على المجتمع بسبب شعوره بِنَقْصٍ خُلقي أو حرمان، كما قد ترجع إلى عداوة بينه و بين الشخص الذي ينقده و قد تكون نابعة من حساسية النَّاقد نفسه؛ فهو يكون ذا عين بصيرة نَفَّاذَة

---

[1]- ينظر كتاب البديع ، ابن المعتز ، تعليق : إغناطيوس كراتشقوفسكي ، ط2 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1399هـ-1979م : 57-77.

[2]- ينظر السخرية في الأدب العربي:25

[3]- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام:15

يحـــس نقـــائص المجتمـــع، فيعالجهـــا بـــروح مَرِحَـــة و بأســـاليب السُّـــخرية المختلفة قاصدا بذلك الإصلاح وفي طَيَّاتِ ذلك الإضحاك.[1]

و تحـدث العَقَّـاد عـن ملكـة الفكاهـة عنـد السّـاخر و عناصـرها فقـال :" وكُتَّـابُ الأَوْصـافِ المُضـحكة يعتمـدون فـي نكـاتهم علـى ملكـات كثيـرة قـد ينـاقض بعضـها بعضـا، و قـد لا يجتمـع منهـا ملكتـان لكاتـب واحـد، فمـنهم مـن يعتمـد علـى ملكـة السُّـخر و هـو يحتـاج إلـى الـذكاء و إدراك الفـروق وقـد يصـحبه شـيء مـن الجـد، ومـنهم مـن يعتمـد علـى الدِّعايـة وهـي تحتـاج إلـى مـرح فـي الطبيعـة، مرجعـه فـي الغالـب إلـى المـزاح لا إلـى الـدرس والتعلـيم، و مـنهم مـن يعتمـد علـى الهـزل، و هـو خلـق ينشـأ عـن جهـل بتقـدير عظـائم الأشـياء وقـد يسـتحل الضـحك مـن خـلال الخطـوب، و مـنهم مـن يعتمـد علـى العطـف وهـو يرضـي الإنسـان عنـد نقـائض النـاس ويضـحك... و خيـر هـذه الملكـات وأعلاهـا ملكـة السـخرية، يمازجهـا العطـف و هـي عبقريـة لا تقـل فـي اقتـدارها علـى تجميـل الحيـاة، و تثقيـف النفـوس والأذواق، لـه عبقريـة الفلسـفة وعبقريـة الشـعر والتلحـين".[2] فمـن خـلال قـول العقـاد نسـتنتج أن لكـل سـاخر ملكـة وأدوات يعتمـد عليهـا فـي أسـلوبه؛ فمـا هـي الطريقـة أو الأدوات التي اعتمدها كل من ابن شهيد والمعري؟

لقـد كـان لنفسـية أبـي العـلاء المعـري أثـر فـي اتخـاذه أسـلوب السـخرية مـن كـل شـيء فقـد امـتحن بـالعمى و قـد أثـر ذلـك فـي نفسـه فـأحس بـالألم وعُـوِّضَ

---

[1]- ينظر السخرية في الأدب العربي : 16

[2]- ساعات بين الكتب، العقاد،ط2، مكتبة النهضة، مصر/1: 152-153 .

عنه بالذكاء والوعي و ببصيرة متألمة ونفس مرهفة؛ فكان حائرا فيما اتفق وفيما تناقض مما يحيط به؛ فكان رافضا لكثير من أنماط السلوك المتبعة التي يحاول إصلاحها عبثا فَوَلَّدَ ذلك عنده نوعا من عبث اليأس الذي استوى عنده كل شيء؛ فقد لاحظ أبو العلاء الدنيا ببصيرة واعية فلم يجد فيها شيئا يستحق العناء و لم يجد فيها عناء يجل عن السُّخر.[1]

و يعتمد المعرّي في سخريته على آلية المفارقة اللّغوية التي تجعل العلاقة بين الدلالة المنزاحة علاقة قائمة على التقابل الدلالي لأن بنية السخرية تتحقق بوجود دال و مدلولين يكون الأول مباشرا ويكون الثاني ضمنيا.[2]

و معنى ذلك أن المعري يستعمل اللغة بطريقة تحمل معنى باطنيا موجها لجمهور خاص، و معنى آخر ظاهرا موجها للأشخاص المخاطَبين.

و مما لا شك فيه أن السخرية ميزة أدبية في رسالة الغفران؛ و قد لجأ إليها في تصانيفه،" تسنيدا لآرائه الفلسفية و إرضاء لشكله واضطرابه في الغيبيات والعقائد الدينية؛ و يميل في الرسالة إلى الدعابة والعبث فهو ناعم الملمس لا خشونة فيه، عميق الغور يغشيه ستار من الإيمان والاستدلال بالآيات والأحاديث..."[3]

---

[1]- ينظر ، مطالعات في الكتب و الحياة ، العقاد ، 85 .

[2]- السخرية عند أبي العلاء المعري ، عماد فواز ، المحور: قراءات في عالم الكتب و المطبوعات ، العدد 1658، 2006/08/30م.

[3]- رسالة التوابع و الزوابع : 82 .

و يقول الأستاذ عبد الله المعاوي:" تكمن أهمية السخرية في رسالة الغفران في تصويرها لسلوك شخص له مرجعيات أساسية في الحياة كالدّين والسياسة والفكر."[1]

فالسخرية عند المعري سخرية عميقة؛ يهجو بها نقائص العالم بالتركيز على أبرز مفارقاته. يقول أبو العلاء ساخرا مما ألفه الناس من ضروب الفأل كَانَ الرَّجُلُ خُثَارِمًا * لَمْ يَزَل فِي الكَثْكَث آرِمًا*: إِنْ رَأَى سَمامة من الطير حَسِبَها من السَّمَامِ*، أَو حمامة برق من الحمام ، كما قال الطائي* :

هُنَّ الحَمَامُ ، فَإِنْ كَسَرْتَ ، عِيَافَةً، مِنْ حَائِهِنَّ ، فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ

و إن عرضت له خنساء من البشر ، فإنه لا يأمن من الشّر ، يقول:" أخاف من رفيق يَخْنَس* وأمر يُدْنِس. و إن كانت الخنساء من الوحوش نفر قلبه من الحوش ، إن رآها سائحة ، هزّت من رعبه جانحة. يقول:" قد ذهب أهل عقل وافر، من أرباب المناسم و صحب الحافر، يتطيرون

---

[1]- جمالية المكاتبة في الأدب العربي ، عبد الله المعاوي :58 .
***- الخثارم ، كعلابط : الرجل المتطير (رسالة الغفران : 479)**
***- الكثكث : كجعفر و زبرج : دقائق التراب و فتات الحجارة. و الآرم من أرم الطعام : يأرمه أرما، كضرب أكله و لم يدع منه شيئا.(نفسه:479**
***- السمامة بفتح السين : واحدة السمام ، ضرب من الطير دون القطا ، و السمام بالكسر : جمع سم (نفسه:479)**
***- الطائي : أبو تمام ، حبيب بن أوس .**
***- خنس يخنس خنسا و خنوسا : تأخر ، تنحى، انقبض (الغفران :480).**
***- السانح و السنيح : ما أتاك عن يمينك من طائر أو ضبي ، و كان بعضهم يتطير به (نفسه:480)**
***- المنيح : ، بالفتح : قدح من قداح الميسر ، يؤثر بفوزه ، يتيمن به و يتبرك (نفسه: 840)**
***- أخنس بني زهرة ، أبيّ بن شريف بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، و إنما لقب بالأخنس لآنه رجع بحلفائه من بدر لما جاء الخبر بأن أبا سفيان نجا بالبعير ، فقيل خنس الأخنس ببني زهرة (نفسه:480).**
***- الأعفر : نوع من الضباء و هو من أضعفها عدوا . يريد أن من يولع بالتطير، إن استقبل ضبيا أعفر، تطير منه و انتظر أن يعفر بالتراب (نفسه: 481).**
***- الأدماء : واحدة الأدم ، هي الضباء البيض تعلوها جدد فيها غبرة.(نفسه:481).**
***- صبهه : فاجأه. و الذيال الطويل الذيل. و الهصور: الأسد يهصر فريسته، و العيال : المتمايل المتبختر (نفسه481)**

بالسَـنيح* ويرهبـون معـه ذهـاب المنـيح * و إن أتتـه بقـدر بارحـة ، عـاين بهـا الـنجلاء الجارحـة، يقـول: ألـم يـكُ ذوو خيـل وسُـروج يخشـون الغائلـة مـن البروج ؟ وإن لقي رجلا يدعى أخنس فكأنهما لقي هزبرا تبهنس.

يقـول: مـا يـؤمنني أن يكـون" كـأخنس بنـي زهـرة * " فـر بحلفائـه عـن وفـر وطُرحت القتلى في الجفر؟

و إن اسـتقبل مـن يولـع بـذلك أعفـر *، فإنـه ينتظـر أن يُعَفَّـر؛ و إن بصـر بالأدمـاء* أيقـن بسـفك الـدماء و إن جبهـه ذيّـال، فكأنـه الهصـور العيّـال*

يقـول: مـا أقربنـي مـن إذالـة، تُبطـل كـلام العدالـة ! و إن آنـس نعامـة بقفـر وهـو مـع الرّكـب السّـفر، فمـا يأخـذها مـن النعـيم، و يجعلهـا بالهلكـة مثـل الـزعيم

يقـول: مـن الفنـد والعـي: أوّلهـا نعـى و إنمـا ذلـك مـن النَّعـي. و إن عـنَّ لـه فـي الخَـرق ظلـيم فـذلك العـذاب الألـيم. يقـول: ليـت شـعري مـن الـذي يظلمنـي؟ أيأخذ نشبي أم يكلمني؟"[1]

و هكـذا فـإن أبـا العـلاء لا يتـرك أمـرا أو مفهومـا أو عرفـا أو مسـلكا- أيـا كـان صـاحبه- لا يتفـق مـع مـا تمليـه قواعـد العقـل و المنطـق و الشـرع إلا وسـخر منهـا أشـد سـخرية. و لهـذا حفلـت رسـائله بهـذه الظـاهرة التـي أعطاهـا صـورا متعددة، و سلك بها سبلا شتى.[2]

و حسـبك أن تقـرأ خلاصـة القصـص الطويـل الـذي سـاقه أبـو العـلاء لـدخول ابـن القـارح الجنـة لتجـد السـخرية متجليـة فـي كـل موقـف مـن المواقـف التـي

---

[1]- رسالة الغفران : 479-481 .

[2]- ينظر ، نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق ، 236 .

وقع فيها؛ بدءا من قيام هذا الرجل من قبره يوم البعث، و انتظاره في الموقف أمدا طويلا و هو واثق من دخول الجنة لأن معه صك التوبة وتفكيره في خداع سدنة الجنة بما كان يخدع به الناس في الدنيا من الشعر، و كيف أنه انتقل من سادن إلى آخر؛ و كيف ضيّع كتاب توبته وبحثه عمن يشفع له ليدخل الجنة. فمثل هذه الصور الساخرة المتناثرة في أثناء الغفران كثيرة ومتنوعة وكلها تصب في عقيدة الغفران.

فقد جاء رد أبي العلاء تهكميا ساخرا من ابن القارح، و تجلى تهكمه " في صورة مبكرة، بل حتى قبل أن يدخل القارئ إلى النص، حيث ينطلق التهكم مباشرة من عنوان الرسالة: رسالة الغفران إن الغفران الذي يضاف إلى الرسالة لا يعود على رسالة أبي العلاء، كما يتبادر إلى الذهن، و إنما يحيل على الرسالة القارحية. إن الغفران تحقق لابن القارح في رسالة أبي العلاء بسبب بركة الرسالة التي أرسلها ابن القارح لأنها أولا كانت تأمر بتقبل الشرع، و تعيب من ترك أصلا إلى الفرع و لأنها ثانيا أظهرت غيرة ابن القارح على الدين، و غيظه على الزنادقة والملحدين، ولأنها أخيرا تضمنت ثناء على الله عز و جل.[1]

و يتجلى تهكم المعري أيضا من ابن القارح في محاولته إيجاد فرق معرفي بين ابن القارح الحقيقي الذي يراه المعري رجلا جاهلا، و ابن

---

[1]- بطولة ابن القارح في رسالة الغفران، مرسل فالح العجمي ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت ، الحولية السابعة عشر ، الرسالة السابعة عشر بعد المئة، 1416هـ-1417 م:57 .

القارح بطل الغفران الذي صنعه المعري بنفسه عالما ملما بكل فنون الأدب و اللغة شعرًا و نثرًا.

و يكفي – كما يقول العجمي-:" أن نتخيل ردة فعل ابن القارح الحقيقي وهو يتابع ابن القارح القصصي في رسالة الغفران عندما يدرك الفرق المعرفي بين الاثنين فعندما يقرأ ابن القارح هذه القصة الأُخروية سيجد نفسه يتحدث عن قضايا أدبية شائكة، و يناقش أعلام الشعراء مناقشة النّد ، بل المتفوق في بعض الأحيان، ويخوض في مسائل لغوية معقدة والمفارقة تكمن في أن ابن القارح الحقيقي لا يعرف هذه القضايا ولا يرتقي إلى مستوى تلك النقاشات في العالم الواقعي."[1]

و من مظاهر سخرية المعري من ابن القارح سخريته الضمنية بإيمانه حين منع من دخول الجنة على الرغم من محاولاته المتكررة لرشوة الملائكة وآل البيت المقربين بقصائد المديح..يقول فوزي محمد أمين:" إن أبا العلاء لم يكن يصور جنة المعتقد، و إنما هي جنة علائية أو قل جحيم علائي سَعَّرَهُ أبو العلاء لابن القارح."[2]

فالمعري أراد بسخريته من ابن القارح أن ينتصر لنفسه على طريقة ابن شهيد في التوابع و الزوابع كما سخر أبو العلاء من الذين ترفعهم الوساطة إلى أماكن لا يستحقونها حين يقول على لسان "أوس بن حجر"

---

[1]- المرجع السابق: 59 .

[2]- رسالة الغفران بين التصريح و التلميح ، فوزي محمد أمين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993م:121

و" لقد دخل الجنة من هو شر مني، و لكن المغفرة أرزاق، كأنها النشب في الدار العاجلة."[1]

كما سخر أيضا من الرجاز الذين اعتبرهم من أدعياء الشعر و الضعفة لأن شعرهم لا قيمة له. مفردا لهم جنة خاصة اختار لهم فيها مكانا متواضعا وذكر منهم : الأغلب العجلي والعجاج و رؤبة و حميد الأرقط.. و يتصور المعري في رسالته أحد هؤلاء يعترض على رأيه فيرد عليه ردا عنيفا قائلا: " لو سبك رجزك ورجز أبيك لم تخرج منه قصيدة مستحسنة."[2]

كما يعقد أبو العلاء في رسالته مجلسا طريفا يسخر فيه من طريقة بعض الرواة في رواية نصوص الشعر، مقدما في الوقت ذاته الطريقة الأنسب لذلك ، حين يذكر بطله (ابن القارح) ببيتين من الشعر للبكري.. يهتف هاتف قائلا: أتشعر أيها العبد المغفور له؟ لمن هذا الشعر؟ فيقول الشيخ: نعم حدثنا أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى يصلوه بأبي عمرو بن العلاء فيرويه لهم عن أشياخ العرب.. عن و عن أن هذا الشعر لميمون بن قيس.[3]

---

[1]- رسالة الغفران : 341 .
[2]- المصدر السابق : 375 .
[3]- نفسه : 176-177.

ثـم يعـرض المعـري موكبـا مـن الشـعراء يسـألهم عمـا نُسـب إلـيهم مـن شـعر فينكـرون ويتهمـون رواتـه "يلتفـت ابـن القـارح إلـى أعشـى قـيس : فيقـول لـه أبا بصير: أنشدنا قولك... و مآلكم في ذلك إلى الأرض ".[1]

و لـم يسـلم شـعراء التكسـب أيضـا مـن سـخر أبـي العـلاء حـين صـور ابـن القـارح يحـاول أن يتوسـل طمعـا فـي دخـول الجنـة، يقـول المعـري علـى لسـان بطلـه:" زَيَّنَـتْ لـي الـنفس الكاذبـة أن أنظـم أبياتـا فـي (رضـوان) خـازن الجنـة عملتها على وزن :

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ عِرْفَانِ وَ رَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

ووسـمتها برضـوان ...إلـى قولـه : قـد مـدحتك بأشـعار كثيـرة ووسـمتها باسـمك فقـال: مـا الأشـعار؟ فـإني لـم أسـمع بهـذه الكلمـة قـط إلا السـاعة ؟ فقلـت : الأشـعار جمـع شـعر والشـعر كـلام مـوزون تقبلـه الغريـزة علـى شـرائط وكان أهل العاجلة يتقربون به إلى الملوك والسادات."[2]

كمـا سـخر أيضـا مـن الـذين يتكسـبون بـالأدب، فـالمعري يربـأ بـالأدب أن ينـزل عـن مسـتواه، ليصـبح وسـيلة تزلـف إلـى الطغـاة و الأغنيـاء؛ و هـذا مـا جعلـه يتصـور حـواراً بـين إبلـيس و أديـب حلبـي، يقـول إبلـيس:" مـن الرجـل؟ فيقـول: أنـا فـلان مـن أهـل حلـب كانـت صـناعتي الأدب أتقـرب بـه إلـى الملـوك

---

[1]- نفسه 208 :

[2]- المصدر السابق: 249-251.

! فيقول: بئس الصناعة، إنها تهب غُفَّةً من العيش لا يتسع بها العيال وإنها لمزلة بالقدم..."[1]

و سخر المعري من النحاة الذين أحالوا النحو إلى طلاسم و ألغاز بعد أن كان مع الأوائل أمثال أبي الأسود الدؤلي و الخليل بن أحمد خالياً من التكلف والتصنع حتى صار على يد الأخفش و الكسائي و الفراء وأمثالهم صعبا مطلوبا لذاته؛ فعقد لهم في رسالة الغفران مجالس ساخرة و شغلهم بجمهرة من المسائل النحوية و الصرفية و اللغوية وجعلهم متحابين في الفردوس بعد أن كانوا في الدار العاجلة متباغضين.[2]

و قد شغل النحاة ابن القارح بكلامهم حتى ضاع منه صك التوبة و جعل يلومهم قائلا " كنت قد رأيت في المحشر شيخا لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بـ(أبي علي الفارسي) وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون: تَأَوَّلْتَ علينا و ظلمتنا...

فَلَيْتَ كِفَافًا كَانَ شَرُّكَ كُلُّهُ وَ خَيْرُكَ عَنِّي مَا ارْتَوَى (المَاءَ) مُوتَرِي[3]

كما تجلت سخريته بوضوح حين صور فرح أهل الجنة بضياع النحو. وهذا كله دليل على أن المعري لا يثق في النحو المتخم بالتكلف والاصطناع والتأويل. فهذه الصور الساخرة المتناثرة في رسالة الغفران كثيرة ومتنوعة و كلها تصب في عقيدة الغفران.

---

[1]- نفسه : 309 .
[2]- المصدر السابق :170
[3]- نفسه : 254.

كما نجد روح العبث و السخرية مسيطرة على وصف المعري لأحوال الناس في الجنة و الجحيم والعبث أكبر مظاهر حساسية العقول، أما يقينه فكان يقينا حسيا من أجل الخلاص من ألمه.[1]وقد صاحبت روح الدعابة كثيرا من المواقف و المشاهد التي حفلت بها رسالته للتخفيف من جفاف المباحث العلمية التي كثرت في نثره وليبعد القارئ عن السأم و الملل وقد وجد هذا الجانب في نفس أبي العلاء و شدة ذكائه عونا على حسن العرض و لطافة المدخل.[2]

و من تلك المشاهد التي تحمل كثيرا من الدعابة و المرح، مشهد تصوير أبي العلاء جواز بطله على الصراط في طريقه إلى الجنة حيث يحاول أن يعبر الصراط و لكنه لا يستمسك و ترى "فاطمة الزهراء " ذلك فتقول لإحدى جواريها:" يافلانة أجيزيه" و لكنه يتساقط عن يمين و شمال فيدلها على طريقة لسلامته ولكنها لا تعرفها، فيصفها لها ويمثل لها صورتها – في مشهد مليء بالدعابة و المرح.[3]

و من المشاهد المثيرة للضحك أيضا موقفه الشامت من إبليس، ثم دعوة إبليس بعض شيعته أن يجذبوه داخل النار.[4]

---

[1]- ينظر في الميزان الجديد ، محمد مندور ، دار النهضة مصر للطبع ، القاهرة ، 1983م:143-144.
[2]- ينظر نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق : 232 .
[3]- ينظر رسالة الغفران : 260-261 .
[4]- ينظر المصدر نفسه: 350.

فرسالة الغفران إذا جمعت بين الصور الساخرة التي وظفها أبو العلاء عضدا لآرائه الفلسفية و النقدية و عقيدته الدينية، و بين الدعابة والمرح كي يبعد عن القارئ الملل الذي يصاحب صرامة المباحث العلمية.

و لعل العقاد أصدق من وصف الرسالة بقوله: " و حسبنا أن نقول إن الرسالة كلها في وضعها و في تركيبها ، و فيما بدا من معانيها القريبة وما انطوت عليه من المعاني البعيدة و المضامين الخفية، إن هي إلاّ ضحكة واحدة متصلة يجهر بها المعري حينا ويوارب بها أحيانا، و قد يغرق في السخر حين يوارب ويداري حتى تخاله ساخرا من السخر مترفعا عن الاهتمام بإظهار قصده لشدة استخفافه و قلة مبالاته."[1]

و أما ابن شهيد فقد اشتهر بأنه كثير الهزل لاذع النكتة؛ بل إن أسرة ابن شهيد اشتهرت بهذه الميزة كما يقول " هنري بيريس" إن أدب هذه الأسرة يتميز بطابع يسميه humoristique (الميل إلى الدعابة)".[2]

و ربما يكون لحياة ابن شهيد دخل كبير في اتسامه بهذه السمة لأنه عاش حياة لاهية ماجنة بين أصدقاء يسعون وراء المرح و الدعابة ومن المعروف أن هذه الاجتماعات تحتاج إلى الفكاهات و النوادر لتضفي على المجالس الفرح والمتعة.[3]

---

[1]- مطالعات في الكتب و الحياة ، العقاد : 71.
[2]- ديوان ابن شهيد : يعقوب زكي : 13 .
[3]- ينظر جهود ابن شهيد في النقد ، سالم المعطاني :49 .

و لهذا تعد رسالة التوابع و الزوابع من الرسائل المليئة بالدعابة التي استخدمها ابن شهيد ليسخر من منتقديه من أهل عصره كأبي القاسم الإفليلي و جماعات من المعلمين الذين لم يشهدوا له بالتفوق و المقدرة في فني الشعر والنثر.

فقد سخر ابن شهيد من المعلمين؛ متهكما بأشكالهم و أفهامهم من خلال التعريض الهازل.[1] يقول:" و قوم من المعلمين بقرطبتنا، ممن أتى على أجزاء من النحو و حفظ كلمات من اللغة، يحنون على أكباد غليظة وقلوب كقلوب البعران و يرجعون إلى فطن حمئة و أذهان صدئة لا منفذ لها في شعاع الرقة ولا مدبَّ لها في أنوار البيان. سقطت إليهم كتب في البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على الإيقاع، و الزمر على الألحان، فهم يصرفون غرائبها فيما يجري عندهم تصريف من لم يرزق آلة الفهم، ومن لم تكن له آلة الصناعة مما هي مخصوصة بها، و لا تقوم الصناعة إلا بتلك الآلة فهو كالحمار، لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود و الطنبور لتوتد رسغه، و استدارة حافره و لا له بنان يجس به على دستان*. و لو جاز أن يكون حمار يُغني:

مَا بَالُ أَنْجُمِ هَذَا اللَّيْلِ حَائِرَةً أَضَلَّتْ القَصْدَ، أَمْ لَيْسَت عَلَى فَلَكِ ؟!

---

[1]- ينظر الفكاهة في الأدب الأندلسي ، رياض قريحة :298.

و شبهه من أجل أن له حنكا و لسانا و قصبة رئة، لما جاز أن يوقع بالمضراب على الأوتار ويتمم بجس الأنامل و يرخي الوتر في مجرى السبابة و البنصر فيبلبل بنشيده ويولول في ضربه على بسيطه".[1]

و يعود في موضع آخر ليسخر من المعلمين الحاسدين له فيقول:" و مما علم من خلق هذه العصابة إذ لمحتنا أبصارهم، قابلونا بالملق و هم منطوون على حسد و حنق فإذا جمعتنا المحافل و ضمتنا المجالس تراهم إلينا مبصبصين و عن الأخذ في شيء من تلك المعاني زائغين. ..و أهل خرس لا يسمع لهم جرس و لا شيء عندهم غير حسو الكأس و شم الآس و تنفس الصعداء، قد اصفرت ألوانهم و قلصت شفاههم كأنهم من رجال عذرة"[2]

و من الصور الساخرة التي وصف بها ابن شهيد خصمه ابن الإفليلي الذي رأى في شكله برهانا على أنه ليس بشاعر و لا عالم ولا كاتب ولكنه يستطيع أن يكون مشعوذا ماهرا.[3]

" و هو أبخل أهل الأرض لا محالة، و لم يقصر بنا عنده إلا توقيرنا لثغامته، وهو يرى أن بعض صبياننا قد أقلقوه حين قالوا: ليست مشيته مشية أديب، و لا وجهه وجه أريب ولا جلسته جلسة عالم ولا أنفه أنف كاتب و لا نغمته نغمة شاعر وحكوا إنه إذا مشى الخيزلى و تقدم قليلا

***- الدستبان من العود : مكان إصلاح الأوتار و شدها.**

[1]- الذخيرة 1/1 : 239-240 .

[2]- المصدر السابق 1/1 : 244-245 .

[3]- ينظر الفكاهة في الأدب الأندلسي ، رياض قريحة : 300.

ثـم رجـع القهقـرى، والقصـبة فـي يـده، و الخـرج علـى عاتقـه، أحـذق النـاس فـي إخـراج لعبـة اليهـودي، فـأقلقوه بمـا يسـمع فكيـف لـو عضـته أنيـاب غيـر مفلولة وخدشته أظافر غير مقلّمة."[1]

إن ظـاهرة الـتهكم و السـخر بالأشـكال البشـرية واضـحة جـدا فـي كتاباتـه التـي يهـاجم بهـا منتقديـه؛ سـواء فـي رسـالة التوابـع و الزوابـع أو فـي غيرهـا مـن القطـع التـي كتبهـا. فالسـخرية عنـده تتسـم بالحـدة و الخشـونة و تصـل إلـى درجـة الإقـذاع، كمـا فـي قولـه:" و قلـت للمنشـدة: مـا هويـث؟ قالـت هويـت، بلغـة الحميـر؛ فقلـت: و الله إن للـرّوث رائحـة كريهـة، و قـد كـان أنـف الناقـة أجدر أن يحكم في الشعر."[2]

و نجـد أن القسـم الأول و الثـاني مـن رسـالة (التوابـع و الزوابـع) يحـوي القليـل مـن الفكاهـة بعكـس القسـم الأخيـر الـذي يتضـمن الكثيـر مـن السـخرية والتهكم.[3]

فقـد صـور شـيطان الإفليلـي واسـمه أنـف الناقـة بـن معمـر " أشـمط رِبْعَـةً وَارِم الأَنف يَتَظَالَع في مِشيته كَاسِرًا لطرفه، و زَاوِيًا لِأَنفهِ."[4]

و لـم يكتـف ابـن شـهيد برسـم هـذا الشـكل السـاخر لصـاحب ابـن الإفليلـي بـل سـخر أيضـا مـن ادعـاء ابـن الإفليلـي معرفتـه بكتـاب سـيبويه و شـرح ابـن

---

[1]- الذخيرة 1/1 : 242 و كذلك المغرب في حلى المغرب /1 :72-73.
[2]- التوابع و الزوابع : 149 .
[3]- ينظر الفكاهة في الأدب الأندلسي : رياض قريحة : 305 .
[4]- التوابع و الزوابع : 124 .

درستويه نافيا عنه معرفة البيان الذي لا يكتسب بالعلم بل هو من تعليم الله تعالى.

فإذا جئنا إلى القسم الثالث و الأخير من رسالة التوابع و الزوابع وجدناه غنيا بعناصر الفكاهة والدعابة التي تختلف عن القسم الأول و الثاني الذي كان فيه ابن شهيد ساخرا لاذعا يتهكم بالأشكال ويحط من الأفهام.

و من المشاهد المضحكة ما صوره لنا عن العانة من الحمير والبغال تضرب الأرض بحوافرها وتملأ الجو بنهاقها لأنها مختلفة حول أبيات قالها حمار و بغل في موضوع الغزل ! و لك أن تتصور معاني تلك الأبيات الغنية بالفكاهة حين صور البغل و ما يعانيه من فرط وجده وعجزه عن تحمل تبعات الحب، مع أنه بغل يستطيع تحمل الأثقال.[1]

فقد ذكر ابن شهيد من الحيوانات أكثرها بلادة و جمودا، و نسب إليها أرق الموضوعات الشعرية و جعل نفسه الحكم في ما اختلفت فيه هذه الحيوانات.[2] فكان ابن شهيد ذكيا في اختياره لهذا الحيوان الذي جعل المشهد غنيا بالفكاهة والضحك.

و يستمر ابن شهيد في حواره مع هذه الحيوانات، فيخاطب بغلة ويحاورها ويشكو إليها ما يحسه من مرارة تنكر الأصحاب، و بلوغ

---

[1]- ينظر المصدر السابق : 147-148 .

[2]- ينظر الفكاهة في الأدب الأندلسي : 313.

-(*) شب عمرو عن الطوق : مثل يضرب لمن يلبس شيئا دون قدره و عمره ، أو لمن كبر عن شيء كان يتزيا به (التوابع و الزوابع) 149.

بعضهم درجة الوزارة، فعبر عن حزنه و خيبة أمله بأسلوب فكاهي في قوله:" وقالت لي البغلة: أما تعرفني أبا عامر ؟ قلت: لو كانت ثم علامة !...قالت: شب عمرو عن الطوق(*)! فما فعل الأحبة بعدي، أهم على العهد ؟ قلت: شب الغلمان وشاخ الفتيان وتنكرت الخلان؛ و من إخوانك من بلغ الإمارة، و انتهى إلى الوزارة.."[1]

فالفكاهة في رسالة التوابع و الزوابع قائمة على السخرية من الخصوم والمنتقدين يسخر من أشكالهم و من اعتدادهم بمعرفتهم ولهذا سميت شجرة الفكاهة، كونها تجمع بين الجوانب الأدبية والنقدين في روح الدعابة والمرح، جامعة بين الإنس و الجن والحيوان في قالب قصصي خيالي مشوق؛ و الأمر الذي يلاحظ فيها هو ذلك الاستعلاء الشديد الذي كاد يطغى على العنصر الفكاهي عنده. و إذاً فالسّخرية عند كل من المعري و ابن شهيد نتاج الشعور باليأس و المرارة.

- لقد استخدم المعري السخرية في معالجة بعض الآراء الفلسفية والنقدية والمعتقدات الدينية وكل ما لا يتفق مع قواعد العقل والمنطق والشرع على حين اقتصر ابن شهيد في سخريته على التهكم بالأشكال والأفهام لحساده من المعلمين.

و كان لكل من المعري و ابن شهيد عدو أخذ النصيب الأوفر من السخرية والتهكم و هما ابن القارح وابن الإفليلي.

---

[1]- المصدر السابق :149 .

فقد كانت السخرية عند المعري عميقة و لطيفة؛ و أما عند ابن شهيد فقد اتسمت بالحدة والإقذاع والخشونة.

وكلاهما مال في رسالته إلى الدعابة و المرح فكانت رسالتاهما في بعض المشاهد و الصور مضحكة و ممتعة.

وإذا كان ابن شهيد قد قصد في سخريته خصومه و حساده فإنّ قَصدَ المعري فيها نقد أهل عصره و ما يهتمون به من الأشياء المادية في الآخرة إضافة إلى عبثه بعقيدة الغفران.

ب- الخيال :

من الممتع أن تهرب من عالم محيط بك لا يعجبك إلى عالم تتمناه ومتعة أن تستخدم الخيال عليه يغير شيئا من واقع تعودنا عليه فيجعل الروح تحلق في فضاء رحب لا تحده الأفكار و لا تكبل فيه المشاعر.

و الخيال في الاستخدام اللغوي المعاصر هو "القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد و أرحب من ذلك فتعيد تشكيل المدركات وتبني منها عالما متميزا في جدته وتركيبه، و تجمع بين الأشياء المتنافرة المتباعدة في علاقات فريدة تذيب التنافر و التباعد وتخلق الإنسجام والوحدة."[1]

---

[1]- الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، أحمد جابر عصفور ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1979م : 17 .

لقد اختار المعري أن يعيش هذا العالم التخيلي الذي تكون فيه عدسة الخيال هي العين التي يرى بها الأشياء مجسدا ذلك في شكل كلمات تعبيرية وصياغة فريدة. و هذا ما نلمسه في رسالة الغفران التي تنم عن خيال خصب يأخذنا إلى آفاق بعيدة غير معتادة، فيصور لنا الجنة والنار والحور و المآدب الأنيقة و موقف الحشر والزبانية...معتمدا في ذلك خياله و ما ذكر من وصف الجنة و النار في القرآن و الحديث و الكتب الدِّينية.

و نذكر من ذلك حديثة عن شجرة الجوز و انشقاق كل جوزة منها عن أربع جوار يرقصن على الأبيات المنسوبة إلى الخليل في قوله:" ...فينشئ الله القادر بلطف حكمته شجرة من عفز – والعفز الجوز- فتونع لوقتها، ثم تنفض عددا لا يحصيه إلا الله سبحانه وتنشق كل واحدة منه عن أربع جوار يرقن الرائين ممن قرب والنائين، يرقصن على الأبيات المنسوبة إلى الخليل..."[1]

و نجد في هذا الخيال أن مؤلفنا تجاوز بالفكرة و غالى في خياله إلى حد امتناع العقل عن التصديق. و كذلك في وصفه لأنهار الجنة: " وتجري في أصول ذلك الشجر، أنهار تختلج* من ماء الحيوان والكوثر يمدها في كل أوان، من شرب منها النُّغبة*فلا موت، قد أمِن هنالك الفوت. وسعد*

---

[1]- رسالة الغفران : 279.

(*)- تختلج تجتذب ، و منه الخليج فرع النهر ، أو نهر يقتطع من نهر أعظم. (الغفران: 141).

(*)- النغبة : الجرعة .* سعد جمع سعيد –كأمير – و هو النهر الصغير ؛ و سعيد المزرعة :نهرها الذي يسقيها ، و السواعد : مجاري الماء إلى النهر – و سواعد البئر مخارج مائها و مجاري عيونها .(نفسه:141).

(*)- متخرقات : و المتخرق : المتسع .(ص141).

مـــن اللـــبن متخرقـــات*لا تغيـــر بـــأن تطـــول الأوقـــات؛ و جعـــافر* مـــن الرحيـــق المختـــوم عـــز المقتـــدر علـــى كـــل محتـــوم. تلـــك هـــي الـــراح الدائمـــة لا الذميمـــة ولا الذائمة *..."[1]

يقـــول أحمـــد تيمـــور:" فاســـتطرد إلـــى الجنـــة فوصـــفها وصـــفا يشـــوق النفـــوس إليهـــا ويرغبهـــا فـــي نعيمهـــا، و ذكـــر النـــار و أهوالهـــا بطريقـــة لا تســـمها النفس."[2]

و أبـــو العـــلاء يعتـــرف أن قصـــته متخيلـــة، و أنـــه أنشـــأها مـــن خـــلال حلمـــه الكبير وهو يرى ابن القارح في العالم الآخر يطلب الغفران و التوبة.[3]

و قصـــة المنـــام وردت علـــى لســـانه فـــي مســـتهل الرســـالة حـــين أدرج قافيـــة الشـــاعر النمـــر بـــن تولـــب وقلبهـــا بحســـب الحـــروف الهجائيـــة [4]، و علـــق: "وإنمـــا عرض في قول نام كخيال طرق في المنام"[5]

ووردت أيضـــا علـــى لســـان الشـــاعر زهيـــر بـــن أبـــي ســـلمة حـــين لقيـــه ابـــن القـــارح: "ورأيـــت فيمـــا يـــرى النـــائم حـــبلا نـــزل مـــن الســـماء، فمـــن تعلـــق بـــه مـــن سكان الأرض سلم، فعلمت أنه أمر من الله."[6]

(*)- جعافر: الجعفر : النهر قيل هو النهر الصغير و قيل هو الكبير الواسع الملآن.(ص:142).
(*)- الذائمة : العائبة ، من ذامه إذا عابه و حقره.(ص:142).
[1]- نفسه : 142 .
[2]- أبو العلاء المعري (حياته، نسبه، معتقده) ، أحمد تيمور ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، دار الكتاب : 65.
[3]- ينظر ، نظرات جديدة في غفران أبي العلاء : 287 .
[4]- المرجع نفسه: 287.
[5]- الغفران : 164.
[6]- نفسه : 183.

فنجد أن خيال المعري" يتكون من قصة النائم و المنام و الحبل الذي نزل من السماء يشد بأبي العلاء ويعرج به في ملكوت العالم الآخر."[1]

و قد اختلف النُّقاد حول هذا الخيال عند المعري، يقول محمد سليم الجندي:" لا نغالي إذا قلنا إن أبا العلاء أخصب الكتاب خيالا، و أبرعهم في إحكام الصور المتخيلة، و التفنن فيها."[2] ويرى أن رسالة الغفران هي أكثر نثره تجسيدا لذلك.

و يقول أمجد الطرابلسي :" يخيل إلينا حين ننظر اليوم إلى الغفران نظرة حديثة أن المعري إنما قصد في رسالته هذه إلى وضع قصة سماوية عبقرية سحرية يقيمها على أساسين من الخيال و التهكم يخيل إلينا ذلك لأن هذا الخيال الجامح أحيانا المتواضع أحيانا أخرى، و هذا التهكم اللطيف تارة والعنيف تارات كثيرة هما أول ما يستهوينا –إن لم نقل كل ما يستهوينا – حين نقرأ الغفران."[3]

غير أن هناك نقادا رأوا غير ذلك؛ و منهم العقاد الذي يقول :" إن رسالة الغفران نمط وحدها في آدابنا العربية و أسلوب شيق و نسق طريف في النقد و الرواية وفكرة لبقة لا نعلم أن أحدا سبق المعري إليها...، و فذلكة جامعة لأشتات من نكات النحو و اللغة.

---

[1]- نظرات جديدة في غفران أبي العلاء:288.

[2]- الجامع في أخبار أبي العلاء 2/ : 819.

[3]- النقد و اللغة في رسالة الغفران : أمجد الطرابلسي : 4-5 .

ذلك تقدير حق موجز لرسالة الغفران. أما أن ينظر إليها كأنها نفحة من نفحات الوحي الشعري على مثال ما نعرف من القصائد الكبرى التي يفتن في تمثيلها الشعراء، أو القصص التي يخترعونها اختراعا، أو ينظر إليها كأنها عمل من أعمال الصور و إلباس المعاني المجردة لباس المدركات المحسوسة، فليس ذلك حقا."[1]

و يقول جابر قميحة:" و الخيال في رسالة الغفران خيال واقعي إن صح التعبير أو هو بتعبير آخر: خيال تفسيري مقصوص الجناحين يأتي خادما للمفاهيم اللغوية والآراء الأدبية و النقدية والفلسفية التي كان أبو العلاء أحرص عليها من البناء القصصي و الدرامي."[2]

و هذا أيضا ما ذهب إليه فؤاد إفرام البستاني، غير أنه يثبت للمعري نوعا من الخيال حين يقول:" حظ أبي العلاء من الخيال قيم جدا دون شك ولكن ليس خياله هذا بالخيال المنتج الغني الذي نراه عند كبار الشعراء، فيسمح لهم بتصوير تلك المسارح الفسحة، و باختراع تلك الأساليب الشائقة وبخلق تلك الشخصيات المعروفة. بل هو الخيال الدقيق الحساس الذي يجعل من معلومة باهتة صورة حية جلية. أبو العلاء لم يخترع شيئا وأبو العلاء لم يخلق شيئا في رسالته هذه و لكن خياله الدقيق الحساس نفخ

---

[1]- مطالعات في الكتب و الحياة، العقاد: 82.

3- مقال بعنوان : النقد الجمالي ..و الأحاديث ...و رسالة الغفران ، مراجعات لمآخذ اللهيب على كتاب : النقد العربي القديم ، وليد قصاب المجلة الثقافية ، الجزيرة ، العدد 206 ، الإثنين 24 جمادى الثانية 1428هـ .

الحيـــاة والحركـــة فـــي كـــل مـــا اكتســـبه مـــن المعـــارف الســـابقة والمعلومـــات المنتشرة بين عامة المسلمين في عصره."[1]

و هـو الموقـف ذاتـه الـذي وقفـه طـه حسـين، كمـا فـي قولـه:" لـم يختـرع أبـو العـلاء فـي هـذه الرسـالة شـيئا كثيـرا وإنمـا وردت أقاصـيص الوُعَّـاظ بـأكثر مـا فيهـا، فـإذا كـان فـي الرسـالة شـيء، فهـو التنسـيق والسـخرية، علـى أنـه قـد أخطـأ مواضـع مـن الخيـال كـان حقـه ألا يخطئهـا، فـإن ابـن القـارح فـي أحـد مجالسـه جعـل كلمـا تمنـى لقـاء رجـل مـن أهـل الجنـة، نظـر فـإذا هـو بـين يديـه فلـم يكـن فـرق بـين سـكان الجنـة و بـين أثاثهـا وفاكهتهـا فـي ذلـك. وكـذلك أوقـع الخـلاف والمُهـاترة بـين أهـل الجنـة، حتـى كـادت تقـع الملاكمـة بـين ابـن القارح و بين رؤبة، لولا أن توسط العجاج."[2]

إن مـا قالـه النقـاد حـول الخيـال و مكانتـه فـي رسـالة الغفـران لا ينفـي كونـه خيـالا خصـبا اسـتطاع المعـري مـن خلالـه أن يأخـذنا إلـى عـالم الغيـب جامعـا بـذلك بـين الأزمنـة والأمكنـة و بـين الكائنـات والجمـادات، و افـتن كثيـرا فـي إيـراد التشـبيهات والاسـتعارات كقولـه:" افتـرق غلمانـه الـذين كـأنهم اللؤلـؤ المكنون."[3]

وقولـه فـي وصـف سـحابة:" فينشـئ الله- تعـالى آلاؤه- سـحابة كأحسـن مـا يكـون السـحب مـن نظـر إليهـا شـهد أنـه لـم يـر قـط شـيئا أحسـن منهـا، محـلاة

---

[1]- نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق : 230.
[2]- تجديد ذكرى أبي العلاء ، طه حسين : 223 .
[3]- رسالة الغفران : 272.

بـــالبرق فـــي وســـطها و أطرافهـــا، تمطـــر بمـــاء ورد الجنـــة مـــن طـــلٍّ و طـــشٍّ وتنشر حصى الكافور كأنه صغار البرد..."[1]

و تتجلـــى قدرتـــه التخيليـــة أيضـــا فـــي إيجـــاده ذلـــك التنـــاغم و التوافـــق بـــين العناصـــر المتناقضـــة و المتباعـــدة كجمعـــه بـــين الماضـــي و الحاضـــر والـــدنيوي والأخروي والآدمي و الحيواني و الجني و الملائكي...

و لقـــد اســـتطاع المعـــري أن يمـــزج بـــين الوظيفـــة التـــي يرغـــب فيهـــا للتصـــوير الفنـــي القصصـــي المتخيـــل و بـــين المفـــاهيم الإســـلامية التـــي ثقفهـــا و عرفهـــا كإدخالـــه إبلـــيس النـــار؛ و جعـــل الملحـــدين و الزنادقـــة حطبـــا لســـعير جهـــنم فهـــو لم يغفل للحظة واحدة المشيئة الإلهية في إدخال هذا الجنة و ذاك النار.[2]

كمـــا زاد علـــى خيالـــه و إيحائـــه التصـــويري أنـــه ســـاق أفكـــاره فـــي إطـــار مـــن المنـــاظرة والمقايســـة حـــين رد علـــى خصـــومه و أيـــدها بـــالبراهين والتجـــارب.. وتـــرجم هـــذا الخيـــال فـــي تصـــوير رغباتـــه و أفكـــاره وآرائـــه ويمكـــن أن نمثـــل للحـــوار الـــداخلي والخـــارجي المتخيـــل فـــي قصـــة توســـل ابـــن القـــارح بـــالعترة المطهـــرة حيـــث يقـــول: «...فطفـــت علـــى العِتـــرة * المنتجبـــين * فقلـــت: إنـــي كنـــت فـــي الـــدار الذاهبـــة إذا كتبـــت كتابـــا و فرغـــت منـــه، قلـــت فـــي آخـــره: وصـــلى الله علـــى ســـيدنا [محمـــد] خـــاتم النبيـــين وعلـــى عترتـــه الأخيـــار الطيبـــين. و هـــذه حرمـــة لـــي ووســـيلة. فقـــالوا: مـــا نصـــنع بـــك؟ فقلـــت: إن مولاتنـــا (فاطمـــة*) – عليهـــا الســـلام – قـــد دخلـــت الجنـــة مـــذ دهـــر و إنهـــا تخـــرج فـــي كـــل حـــين مقـــداره

---

[1]- المصدر السابق : 276.

[2]- ينظر تاريخ الأدب العربي ، بلاشير ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، بيروت ، ط2،1984م :

أربع وعشرون ساعة من الدنيا الفانية فتسلم على أبيها و هو قائم لشهادة القضاء، ثم تعود إلى مُستقرها من الجنان.."[1]

فالمعري لم يبدع هذه الحكايات الخيالية العجائبية لمجرد الإمتاع الفني فقط وإنما جعلها أنماطا فنية بديعة موظفة لدلالات كثيرة ذاتية واجتماعية وثقافية... وإيحاءات معنوية و فنية لا حصر لها. و كانت كل وظيفة تنبع من سياق كل قصة أو مشهد تخيلي أو تخييلي سواء قام على التصوير أو مزجه بالبرهنة و التعليل وسواء عرضه بشكل مباشر أم قدم بين يديه الإضاءة المناسبة لفكرته..."[2]

مع أن خياله هذا ذهب به إلى الإتيان بأحكام مخالفة لحكم الجنة و على سبيل المثال عندما جسد لنا المعري معركة شتم و تنابذ جاهلية بين الأعشى ونابغة بني جعدة مع أنه (لا اشتجار في جنان الرّب).[3]

فقد مزج المعري بين الأحكام الحياتية الدنيوية و بين الأحكام الدينية ليعبر عن واقع مرير يريد أن يتخطاه و يصلحه، فخيال المعري متميز من غيره في أنه خيال علائي الملامح، ديني الصياغة. ورغم أنه فقد نعمة البصر إلا أن خياله ينم عن أديب و شاعر حباه الله نور البصيرة.

(*)- العتر : الأصل : و العترة : ولد الرجل و ذريته أو عشيرته ممن مضى.(رسالة الغفران:257).
(*)- انتجب الشيء ، اصطفاه و اختاره .(نفسه: 257).
(*)- فاطمة : الزهراء بنت محمد صلى الله عليه و سلم ، و زوج الإمام علي ، و أم "الحسن و الحسين و زينب" رضي الله عنهم .(الإصابة4/:365
[1]- رسالة الغفران :257.
[2]- مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد90، السنة23، ربيع الآخر 1424هـ/يونيو 2003م .
[3]- ينظر الظاهرة الدرامية و الملحمية في رسالة الغفران:388.

أمـــا رســـالة التوابـــع و الزوابـــع فـــأهم ســـمة مـــن ســـمات أســـلوبها القصصـــي هـــو الخيـــال فخيالهـــا قـــوي خـــلاق تحفـــه طائفـــة مـــن الصـــور الدقيقـــة؛ غيـــر أن بطـــرس البســـتاني يجـــده غيـــر موفـــق فـــي تصـــوير عـــالم الجـــن فيقـــول:" غيـــر أنـــه لـــم يوفـــق فـــي تصـــوير عـــالم الجـــن ، و غرائـــب أرضـــه و خلقـــه ، و مـــا اشـــتهر عـــنهم مـــن القـــدرة علـــى الحولـــة و الإتيـــان بـــالخوارق التـــي يعجـــز عنهـــا الأناســـي. فمـــا نـــرى مـــن أحـــوالهم العجيبـــة إلا لمحـــات ضـــئيلة لا يغنـــى بهـــا أديب الخرافات والأساطير."[1]

فهـــي جمعـــت بـــين آفـــاق الخيـــال و تفاصـــيل الواقـــع؛ فتجســـد هـــذا الخيـــال فـــي تصـــويره مســـرح رســـالته فـــي بيئـــة الجـــن وأســـماء شخصـــيات أبطالهـــا مـــن طائفـــة التوابـــع والزوابـــع؛ و فـــي أوصـــاف حيوانهـــا كـــأن يجعـــل حصـــان تابعـــة زهيـــر يطيـــر و الإوزة الناطقـــة بـــالنحو و البغلـــة الناقـــدة البليغـــة ...و حـــدود الواقـــع ينحصـــر فـــي تصـــويره المنـــاظر الخلابـــة و التـــي تعكـــس فـــي خلفيتهـــا طبيعـــة البيئـــة الأندلســـية الجميلـــة؛ بمـــا فيهـــا مـــن أنهـــار متلألئـــة و أشـــجار باســـقة ملتفـــة وســـماء صـــافية وأزهـــار فواحـــة الشـــذى.. فاســـتخدم هـــذا ابـــن شـــهيد فـــي وصـــفه للدوحـــة تـــابع طرفـــة بـــن العبـــد و أبـــي نـــواس و فـــي رســـم اللوحـــة الطبيعية لبيئة الإوزة النحوية.

فكانـــت أرض الجـــن تشـــبه أرض الأنـــدلس. و تختلـــف عـــن صـــورتها فـــي قصص شياطين الشعراء في الجاهلية.

---

[1]- رسالة التوابع و الزوابع : 76.

و يـرى بطـرس البسـتاني أن المعـري كـان أبـرع مـن ابـن شـهيد فـي تصـويره إذ يقـول: " فكـان فـي تصـوير عـالم الآخـرة أبـرع مـن أبـي عـامر فـي تصـوير عـالم الجـن، و إن يكـن الخيـال، عنـد هـذا و ذاك، ينسـاق إلـى الاتبـاع أكثـر منه إلى الإبداع..."[1]

و مـن الصـور المبدعـة المتخيلـة التـي جـاء بهـا ابـن شـهيد فـي حديثـه عـن تـابع أبـي تمـام و التـي تصـور لنـا تخيلـه عـالم الجـن قولـه:" فـانفلق مـاء العـين عـن وجـه فتـى كفلقـة القمـر، ثـم اشـتق الهـواء صـاعدا إلينـا مـن قعرهـا حتـى اسـتوى معنا."[2]

و كـذلك قولـه فـي زبـدة الحقـب صـاحب بـديع الزمـان :" فلمـا انتهيـت فـي الصـفة ضـرب زبـدة الحقـب الأرض برجلـه ، فانفرجـت لـه عـن مثـل برهـوت(*) وتدهـدى(*) إليهـا، و اجتمعـت عليـه وغابـت عينـه، و انقطـع أثره."[3]

و بـالرغم مـن أن خيـال المعـري أخصـب مـن خيـال ابـن شـهيد فـي نظـر معظـم النقـاد إلا أننـي أجـد خيـال الأخيـر أدق تصـويراً؛ فهـو يصـور الموصـوف ويتتبـع ميزاتـه فـي الأعضـاء و الألـوان و الصـوت والحركـة والطبـاع فيجعلـك تتحسـس تلـك الأشـياء فمـثلا فـي وصـفه لـلإوزة الأديبـة يقـول:"

---

[1]- المصدر السابق: 78.
[2]- نفسه : 98.
(*)- برهوت : واد أو بئر بحضر موت.
(*)- تدهدى : تدحرج .
[3]- نفسه : 129

وكانت في البركة بقربنا إوزة بيضاء شهلاء، في مثل جثمان النعامة كأنما ذر عليها الكافور، أو لبست غلالة من دمقس الحرير، لم أر أخف من رأسها حركة ولا أحسن للماء في ظهرها صباتثني سالفتها(*) وتكسر حدقتها، و تولب قَمَحْدُوَتهَاَ *، فترى الحسن مستعارا منها، و الشكل مأخوذا عنها..."[1] و في وصفه للبرد و النار والحلواء و البعوضة وغيرها...

إن خيال ابن شهيد قاده إلى عالم الجن و خيال المعري قاده إلى عالم الآخرة إلا أن" أسلوب المعري المرتكز على الخيال الخصب هو الذي أعطى أبا العلاء ملكية ما جاء فيها من نواح كثيرة."[2]

فخيالُ المعري كان أرحب، و غاياته كانت أبعد من غايات ابن شهيد الذي أراد الانتصار لنفسه من معاصريه و يرفع من مكانته شاعرا وناثرا بين أدباء عصره. و لهذا جاءت رحلة أبي العلاء أطول في زمانها و أغنى في مضمونها و أهدافها وهذا لا يقلل من قيمة رحلة ابن شهيد و لا ينقص من فضله، فهو الشرارة الأولى التي ألهمت خيال المعري .[3]

***- السالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى الترقوة.**
***- القمحدوة : مؤخر القذال ، و الهنة الناشزة فوق القفا ، و أعلى القذال خلف الأذنين.**
1- المصدر السابق : 150.
[2]- عبقرية الخيال في رسالة الغفران : عمر أنيس طباع : 47.

[3]- ينظر مقال: المعارضات السردية في الأدب العربي ، عبد الرحمن اسماعيل السماعيل، مجلة جامعة الملك سعود، السعودية ، 1423/01/18 :12.

و نجد أن هذا الخيال قد خدم المعري و ابن شهيد في أنه سمح لهما بتحقيق مالم يستطيعا تحقيقه ماديا فجسداه ذهنيا من خلال تلك الصور المتخيلة.

و كذلك استخدامهما الرمز حتى تتخفى أغراض رسالتيهما على كثير من الناس فابن شهيد استخدم الرمز حين أراد السخرية من بعض خصومه أما المعري فأراد الهرب من الناس المتشددين في الدين مخافة إهدار دمه ولهذا استخدم أساليب و ألفاظ غريبة مما يصعب فهمها على الناس والرمز نوع من الخيال كما قال محمود قاسم: " النفاذ من الرمز إلى المرموز له رهن بحده الخيال"[1].

ج- <u>اللغة</u> :

إن اللغة هي الأساس الذي يُبنى عليه العمل الفني ، فهي كما قال عز الدين اسماعيل :" أول شيء يصادفنا، وهي النافدة التي من خلالها نطل ومن خلالها نتسم، هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق".[2] فاللغة هي الصبغة الخاصة التي من خلالها تحدد هوية الأديب و تعرف قدرته التعبيرية والفنية.

فقد ذهب ابن حزم إلى أن أهل كل علم و أهل كل صناعة لهم ألفاظ يختصون بها للتعبير عن مرادهم و ليختصروا بها معاني كثيرة.[3]

---

[1]- الظاهرة الدرامية و الملحمية في رسالة الغفران : 391.

[2]- الشعر العربي المعاصر ، عز الدين اسماعيل ،ط3، دار العودة ، دار الثقافة ، بيروت،1981م:173.

[3]- ينظر التقريب لحد المنطق و المدخل إليه ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق :إحسان عباس، دار الحياة ، بيروت ،1959م:68.

إن المتأمل في لغة الرسالتين، الغفران و التوابع و الزوابع، سوف يقف على التقاء الكاتبين في نقاط عدة منها: الخيال و الأوصاف و السخرية وعرض المشكلات الأدبية في قالب قصصي غير أنهما اختلفا في اللغة فلغة التوابع رشيقة طلية موشاة أنيقة، غنية بالأوصاف و الصُّور والألوان؛ ولغة الغفران تكاد تفتقر إلى الوشي والتصوير إلا ما اقتبس صاحبها من القرآن أو أخذ عن سابقيه.[1]

إن لغة الغفران لا تخلو من تعقيد و إغراب محوج إلى التمعن و التدقيق في فهم مراد المعري، على حين أننا نجد لغة ابن شهيد سلسة طيعة بعيدة عن التكلف والصَّنعة و التعقيد على نحو ما نجده عند المعري.

و هو أسلوب المعري ذاته في الكتابة، فهو يلتزم هذه الطريقة في التعبير وليس لمحض التظرف أو التعبير عن القدرة الفائقة في الغريب والإنشاء.[2]

فهو يتزيد من " من المشترك اللفظي إلى حد كبير، حتى يجعله و حدة القطعة التي يصيغها و يتزيد من الكناية والملاحن و المجاز و الرمزية البعيدة." [3]

و قد نعته شوقي ضيف بـ " زعيم مذهب التصنع لعصره".[4] و مما قاله عن التعقيد في رسالة الغفران:" و لعل من المهم أن نعرف أن أبا العلاء

---

[1]- ينظر التوابع و الزوابع : 83 .
[2]- ينظر المعري ذلك المجهول ، عبد الله العلايلي : 191.
[3]- المرجع السابق : 191.
[4]- الفن و مذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف : 280.

لـم يجـئ فـي هـذه الرسـالة بصـياغة جديـدة، غيـر الصـياغة التـي رأيناهـا آنفـا، و نـراه يعنـى فيهـا بـالتزام مـا لا يلـزم فـي قـرائن سـجعه، كمـا يعنـى بـاللفظ الغريـب، و إنـه ليعنـى عنايـة بالجنـاس، و لكـن دائمـا فـي ثنايـا ألفاظـه الغريبـة بـل المهجـورة أحيانـا، و هـو يحشـد مـع ذلـك كثيـرا مـن الإشـارات التاريخية..."[1]

و لعـل السـبب فـي تعقيـد لغـة المعـري هـو اسـتعماله المفـرط للكلمـات النـافرة الغريبـة التـي سـقطت مـن حافظـات الأدبـاء و صـارت مجهولـة لـدى الخاصـة فحـرم رسـالته الجمـال و العذوبـة؛ لأن الفصـاحة قرينـة الوضـوح و الظهـور فهـي ضـد الإغـراب و ركـوب الشـاذ الغلـق مـن الألفـاظ.[2] فـابن شـهيد يسـمو علـى المعـري برونـق الديباجـة و دقـة الوصـف، ولكنـه ينحـدر عنـه بعمـق الفكـرة ولطافـة السـخر وقـوة الجاذبيـة و سـحر الاسـتهواء.[3] مـع أن كليهمـا لا يعطي نفسه للقارئ بسهولة.

فنجـد فـي غفـران المعـري " اللَّفـظ السـهل، و الأسـلوب السـلس الهـادئ الـذي يـدل علـى بسـاطة البيـان وانطـلاق الفكـرة، و المقـدرة علـى مجـاراة الأوائـل مـن فحـول البلاغـة والبيـان فـي سلاسـتهم و حسـن بيـانهم كمـا جـاء فيهـا اللفـظ

---

[1]- المرجع نفسه : 277.

[2]- ينظر : البيان و التبيين ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1949م/ 1 : 19-20

[3]- ينظر : رسالة التوابع و الزوابع : 83

الغريب، و المعنى البعيد الذي يكد الذهن، و يتعب المتأمل. و لكنه يثبت عمق الثقافة و الوقوف على أوابد اللغة، و امتلاك زمامها..."[1]

فقد أورد المعري من الكلمات الغريبة و المهجورة الكثير مما تظهر الحاجة إلى شرحها و استقصاء معانيها فمثلا استعماله لهذه الكلمات:" لزء و هي الأكل مع شبع و امتلاء[2]، و بنات صعدة وهي حمر الوحش أبجاج وهي فرخ الطائر وجوازل و هو فرخ الحمام أو الطاووس العكر وهي القطعة من الإبل الأوضام وهي خشبة الجزار[3]... وغيرها كثير...

فالمعري له لغته الخاصة به التي لا نستطيع فهمها إلا باعتمادنا على المعجم ومع ذلك لا نستطيع فهم كل ما يريد.

و هذا لأن أبا العلاء كان مطلعا على أدق المصادر و أعمق المظان في الأصول اللغوية و معاجمها العامة فهناك فيض من الألفاظ الغريبة الموجودة في كتبه بشكل عام، و في الغفران بشكل خاص.[4]

فقد نُقل عن تلميذه أبي زكريا التبريزي أنه قال:" ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري."[5]

و قال عبد الله العلايلي إن" حَرفية المعجم لا تضمن لنا سبيل الوصول إليه أبدا بل على العكس تضللنا وتقدم لنا منه رجلا مأفونا تمده الرعونة الحوشية اللغوية بخواطر شاردة حمقاء ليس فيها شائبة اتساق..."[1]

---

[1]- نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 135.
[2]- رسالة الغفران : 156.
[3]- المصدر السابق: 270-271.
[4]- ينظر : نظرات جديدة في غفران أبي العلاء : 254 .
[5]- الجامع في أخبار أبي العلاء / 2 : 603 – 604 .

و مع ذلك لم يترك المعري في غفرانه لفظة غريبة إلا توقف عندها وفصّل في شرحها حتى قيل فيه:" هو البحر الذي لا ساحل له في اللُّغة."[2]

يقول أمجد الطرابلسي:" إن كثرة الشروح اللغوية في الغفران و تنوع الطرق التي كان يتبعها المتنبي في خلق المناسبات لها ، دليل على أن هذه الشروح لم تكن تأتي عرضا أو اعتباطا، و إنما كانت في نفسها غرضا أساسيا من أغراض هذه الرسالة."[3]

كما اهتم الجندي باستخدام المعري الألفاظ الغريبة كثيرا في غفرانه وأشار إلى مذاهبه في شرحها وأحصى له منها أكثر من مئة و أربعين كلمة مشروحة[4] و ذكر أن أبا العلاء " بين المراد منها واستشهد على بعض ذلك بكلام من يحتج بكلامه"[5].

و لو تُمُعنت هذه الشروح لاتضحت الخصائص التالية:

1. ذكر اللفظ و إيراد المعاني المناسبة.
2. ذكر اللفظ و ما يقابله أو يضاده .
3. ذكر اللّفظ و ما يرادفه أو يقاربه أو يشابهه.[6]

---

[1]- المعري ذلك المجهول ، عبد الله العلايلي: 62 .
[2]- ينظر مقال :المعري لغويا، محمد اسماعيل بصل، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية، المجلد27، العدد2،2005: 12.
[3]- النقد و اللغة في رسالة الغفران : أمجد الطرابلسي : 162.
[4]- ينظر: نظرات جديدة في غفران المعري: 255 .
[5]- الجامع في أخبار أبي العلاء/ 2 : 615 .
[6]- نظرات جديدة في غفران ابي العلاء : 255 .

و نجد من الكلمات الغريبة الشيئ القليل عند ابن شهيد؛ فهو كذلك لجأ في بعضها إلى غريب اللغة فمثلا: الدَّوَّة، و هي الفلاة[1] ، بقل وجهه: خرج شعره[2]، القفزان: و هو مكيال، الخَبِيص وهي حلواء تصنع من العسل والدقيق، النقرة و هي القطعة المذابة من الذهب أو الفضة [3] البرجيس و هو المشتري و هو كوكب سعد...[4]

و مع هذا فلغة ابن شهيد " مختارة الألفاظ، متينة التركيب، على غير صلابة أو خشونة و تغلب الصنعة على صياغته، فيكثر من الجناس والإرصاد والتصريع و التشابه و الإشارات و الأمثال و استخدام معاني أسماء النجوم..."[5]

فلغة المعري تختلف عن لغة ابن شهيد كون الأولى صعبة مليئة بالكلمات الغريبة المهجورة التي تجعلنا نمل من قراءة الغفران لكثرتها و صعوبة فهمها، أما لغة ابن شهيد سهلة سلسة طيعة ؛ فنحس من خلال قراءتنا للمعري و ابن شهيد أن الأول عالم لغوي و الثاني أديب فنان.

د- <u>الأسلوب</u> :

الأسلوب هو طريقة في التعبير عن القضايا الوجدانية، و المشاعر الذاتية يشكل فيه الكاتب لغة ذات محتوى فكري؛ و يدخلها في أداء جمالي مؤثر. ولكل كاتب مدرسة تأثر بها في كتاباته وأسلوبه.

---

[1]- رسالة التوابع و الزوابع : 91 .
[2]- نفسه : 89 .
[3]- نفسه : 120 .
[4]- نفسه : 114.
[5]- المصدر السابق : 43 .

فالأسلوب هو هوية الكاتب و هو الذي يدل على شخصيته التي تميزه من غيره من الناس يقول يوفون:" إن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه."[1] ويقول فلوبير إن الأسلوب هو " طريقة الكاتب الخاصة في رؤية الأشياء "[2] وسنرى فيما يأتي طريقة ابن شهيد و أبي العلاء الخاصة في رؤيتهما للأشياء.

• <u>الأسلوب في الغفران</u> :

نجد أسلوب المعري في رسالة الغفران كثيرة الاستطراد، فهو ينتقل من موضوع لآخر ثم يعود إلى ما بدأ ولعله في ذلك قد تأثر بالجاحظ؛ أو ربما الاستطراد عند المعري كان بغية اللهو و العبث بابن القارح، أو لسعة اطلاعه فاض كما فاض الجاحظ.

و من أمثلة استطراداته حديثه عن عسل الجنة في الصفحة الثالثة والخمسين بعد المئة، ثم عاد إلى الحديث عنه في الصفحة الرابعة والستين بعد المئة.

و من سمات أدائه التعبيري أيضا غلبة السجع على أسلوب الرسالة لأن السجع هو "الزي الإنشائي العام الذي ارتضاه الذوق النقدي لتلك الفترة واتخذه معظم الأدباء والمنشئين مجال سبق و ميدان تفوق، و قد عرف

---

[1]- الأدب و فنونه ، عز الدين اسماعيل ، ط5 ، دار الفكر العربي ، 1973م : 36-37.
[2]- المرجع نفسه : 37.

أبـو العـلاء ذلـك، فأخـذ علـى عاتقـه أن يحـدد لفنـه الإنشـائي مكانـه اللائـق علـى ذلك السبيل"[1]

يقـول الشـكعة:" فـأبو العـلاء عمـد فـي رسـالة الغفـران إلـى السـجع المتعسـف واسـتعمال اللفـظ الغريـب غيـر المـألوف بالإضـافة إلـى ذلـك يكثـر مـن المحسـنات اللفظيـة و يقسـو علـى نفسـه بلـزوم مـا لا يلـزم مـن السـجع والإكثـار من الجناس."[2]

و يقـول طـه حسـين :" إن الغريـب و السـجع يلزمـان أبـا العـلاء فـي كتاباتـه ولكـن مـن الحـق علينـا أن نقسـم نثـر أبـي العـلاء قسـمين: أحـدهما مـا يـذهب فيـه مـذهب الإنشـاء والتنميـق، و هـذا لابـد فيـه مـن السـجع والغريـب والآخـر مـا يـذهب فيـه مـذهب القصـص التـاريخي أو العلمـي و هـذا يقـل فيـه السـجع والغريـب حتـى لا تكـاد تعثـر بهمـا، لـذلك انقسـمت رسـالة الغفـران قسمين..."[3]

فقـد اهـتم أبـو العـلاء بتكـوين أسـلوبه بالموسـيقى التـي تزيـده جمـالا و قبـولا لـدى المتلقـي؛ و سـبيله إلـى ذلـك فـي السـجع القصـير الـذي تتقـارب فواصـله وتكثـر وقفاتـه و تتشـابه أوزانـه و تتعـانق نهاياتـه؛ فكثـر هـذا النـوع فـي نثـره فجـاء طبيعيـا سـهلا تابعـا للمعنـى فـي كثيـر مـن الأحيـان، و جـاء متكلفـا فـي تعمل واجتلاب في أحيان أخرى..."[4]

---

[1]- نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق : 178.
[2]- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، مصطفى الشكعة : 715.
[3]- تجديد ذكرى أبي العلاء ، طه حسين : 234.
[4]- ينظر: نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق: 180.

و من أمثلة السجع المتكلف غير المستساغ قوله مشيرا إلى رسالة ابن القارح:"... و قد وصلت(الرسالة) التي بحرها بالحكم مسجور، و من قرأها مأجور، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع، و تعيب من ترك أصلا إلى فرع وغرقت في أمواج بدعها الزاخرة وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة ومثلها شفع و نفع، وقرب عند الله و رفع."[1]

و من سجعه السهل غير المتكلف قوله:" و في تلك الأنهار أوان على هيئة الطير السابحة؛ و الغانية عن الماء السائحة، فمنها ما هو على صور الكراكي*، و أخر تشاكل المكاكي*؛ و على خلق طواويس وبطٍ بعض في الجارية و بعض في الشطِّ، ينبع من أفواهها شراب، كأنه من الرقة سراب؛ لو جرع جرعة منه "الحكمي" لحكم أنه الفوز القدمي."[2]

يُضاف إلى ذلك أن حرص المعري على السجع، ووفرة محصوله من اللغة دفعاه إلى إيراد بعض الكلمات الغريبة و المهجورة، مما جعل بعض الباحثين يتهمه بالميل إلى الغريب و تعمده و القصد إليه.[3]

و يبدو أن أبا العلاء قد التزم السجع جريا على أسلوب ابن القارح نفسه في رسالته التي وجهها إليه.[4] ويكثر في الرسالة أيضا من أنواع البديع: الازدواج، و الجناس الناقص، و يقل عن ذلك استخدامه الجناس التام

---

[1]- رسالة الغفران : 139-140.

***- الكراكي : جمع كركي – بالضم – طائر كبير طويل العنق و الرجلين ، أبتر الذنب ، قليل اللحم ، يأوي إلى الماء أحيانا.**

***- المكاكي : جمع مكاء- كزنار – طائر صغير مغرد يألف الريف.**

[2]- المصدر السابق : 149.

[3]- ينظر الفن و مذاهبه ، شوقي ضيف:288.

[4]- ينظر نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ، عمر موسى باشا: 258.

ويعينه في ذلك معرفته الواسعة باللغة و غريبها كما في قوله:" هيهات! هذه أباريق تحملها أباريق كأنها في الحسن الأباريق: فالأولى هي الأباريق المعروفة والثانية من قولهم: جارية إبريق إذا كانت تبرق من حسنها، قال الشاعر:

و غيداءُ إبريقٌ كأن رُضَابها جَنَى النّحل ممزوجا بِصَهباءِ تَاجِرِ

و الثالثة، من قولهم: "سيف إبريق، مأخوذ من البريق."[1]

و يبدو أن هذا النوع من الجناسات لم يعجب شوقي ضيف حيث يقول: " وإذا نظرت بعد ذلك في (رسالة الغفران)، وجدته يلتزم في أكثر جوانبه أن تكون نهاية السجعة لا حرفًا بل حرفين أو أكثر، كما يلتزم- غالبا- الجناس في عباراته، و لكنا نحس إزاء استخدامه لهذا اللون من ألوان البديع أنه فارق بعض ألوانه البهيجة التي كنا نعرفها عند أصحاب مذهب التصنيع وما ذلك إلا لأن أبا العلاء يعتمد في جناسه كثيراً على الإغراب في الألفاظ و من ثم كنا نشعر إزاء كثير من جناساته أنها جناسات لغوية أكثر منها فنية.."[2]

وقد كثر في الرسالة أيضا الجمل الاعتراضية الكثيرة و المتنوعة و هي تمثل في مجموعها الدعاء لابن القارح.

و مما يقول الطرابلسي أمجد في ذلك:" من أبرع مظاهر هذه الاستعراضات اللغوية وأبرعها تفننا في رسالة الغفران تلك الجمل

---

[1]- رسالة الغفران: 144- 145.

[2]- الفن و مذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف:280.

الدعائيــة التــي كانــت تعتــرض أحاديــث المعــري عــن ابــن القــارح، فقــد كــان أبــو العــلاء كلمــا أورد اســم ابــن القــارح فــي رســالته أردفــه بجملــة دعائيــة تناســب المقــام، و قــد تعمــد المعــري حتمــا أن يــأتي فــي كــل مــرة بجملــة دعائيــة جديدة.."[1]

و من أمثلة هذه الجمل :

1- ثــم إنــه – أدام الله تمكينــه- يخطــر لــه حــديث شــيء كــان يســمى النزهــة فــي الدار الفانية.[2]

2- فيقول- لا زال قوله عاليا-...[3]

3- فيذهب – عرفه الله الغيطة في كل سبيل-...[4]

و هــذا التنويــع فــي الجمــل الاعتراضــية دليــل آخــر علــى مقــدرة المعــري اللغويــة فقــد بلــغ عــددها فــي الغفــران مئــة و ثلاثــين جملــة تكــررت فيهــا جملتــان هما قوله (أدام الله تمكينه) و (ثبت الله وطأته).

كمــا نجــد فــي الرســالة أيضــا كثــرة التفاســير اللغويــة كمــا فــي قولــه:" و أنــا رجــل مهيــاف، أي ســريع العطــش.. فوجــدت حســناتي قليلــة كالنُّفَــإ فــي العــام

---

[1]- النقد و اللغة في رسالة الغفران ، أمجد الطرابلسي:31.

[2]- رسالة الغفران: 175.

[3]- المصدر نفسه : 203.

[4]- نفسه:307 و نجد هذه الجمل الإعتراضية أيضا في الصفحات التالية : 179-201- 202-204-205-217-219-224-254-273-284-347-377-..وغيرها كثير..

الأرمـــل والنُّفـــأ الريـــاض، و الأرمـــل قليـــل المطـــر.."[1] ، و قولـــه:" لا أشـــعر بالذي حممت – أي قصدت..."[2]

و الواضـــح أن أبـــا العـــلاء لجـــأ إلـــى الشـــروح اللغويـــة خوفـــا مـــن ألا تفهـــم رســـالته أو تقـــع فـــي يـــد جاهـــل لا يـــدرك مضـــمونها ، أو فـــي يـــد غـــلام مترعـــرع ، لـــيس إلـــى الفهـــم بمتســـرع، فتســـتعجم عليـــه اللفظـــة ، فيظـــل معهـــا مثـــل القيـــد لا يقدر على العجل و لا الرويد."3

• <u>الأسلوب في التوابع و الزوابع</u> :

أمـــا أســـلوب رســـالة التوابـــع و الزوابـــع فهـــو أقـــرب مـــا يكـــون إلـــى طريقـــة بـــديع الزمـــان الهمـــذاني التـــي تميـــل إلـــى الوصـــف وتوشـــية الأســـلوب بالمحســـنات البديعية لا سيما السجع.4

و فـــي اعتقـــادي أنـــه يجمـــع بـــين طريقـــة بـــديع الزمـــان و طريقـــة ابـــن العميـــد تلـــك الطريقـــة التـــي تعتمـــد " علـــى المحســـنات وخاصـــة الســـجع و الجنـــاس والمقابلـــة والازدواج والتـــي تتجـــه أيضـــا إلـــى تضـــمين النثـــر بعـــض الأثـــال أو الإشـــارات التاريخيـــة أو التلميحـــات الثقافيـــة بعامـــة، ثـــم تعنـــى كـــذلك بتـــدعيم النثـــر بالشـــعر الذي يتخلله أحيانا أو يأتي في نهايته أحيانا أخرى"5

---

[1]- المصدر السابق : 249.
[2]- نفسه: 252.
[3]- نفسه : 307.
[4]- ينظر في الأدب الأندلسي :بحوث في نقد الخطاب الإبداعي، أشرف محمود نجا،ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر:2006م : 168.
[5]- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة:333-334.

كما أن ابن شهيد عاش في عصر كان فيه السجع خاصيته التي تميزه على بقية الأساليب، يقول زكي مبارك:" التزام السجع صار من خصائص النثر الفني في القرن الرابع .. و لم يخرج من كتاب هذا العصر إلى الحرية في الصياغة الفنية إلا عدد قليل."[1]

و يبدو أن ابن شهيد لم يكن من الذين يؤيدون السجع أو يتعصبون له ولكن ذوق العصر وإعجاب أهله بالسجع و شغفهم به هو ما جعله يكتب بذلك الأسلوب و بتلك الطريقة.[2]

و الظاهرة المميزة في أسلوب ابن شهيد هي التنويع في استخدام السجع والافتنان في تلوينه، حتى جعل من رسالته بناء هندسيا مسجوعا في مثل قوله:" لله أَبَا بَكْر، ظن رميته فأصميت، و حدس أملته فما أشويت! أبديت بهما وجه الجلية، و كشفت عن غرة الحقيقة، فألف بين قمريها ونظم فرقديها، فكلما رأى ثغرا سده بسهاها أو لمح خرقا رمه بزباناها..."[3]

و قوله في وصف برغوث:" أَسْوَدُ زِنْجِيّ، وَ أَهْلِيٌّ وَحْشِيٌّ، لَيْسَ بِوَانٍ ولاَ زُمَيلٍ وَ كَأَنَّهُ جُزْءٌ لاَ يَتَجَزَّأُ مِنْ لَيْلٍ، أَوْ شُوَيْزَة، أَو ثَقَتْهَا غَرِيزَة أَوْ نُقْطَةُ مِدَاد، أَوْ سُوَيْدَاء قلب قُراد، شُربه عبٌّ ومِشيه وَثْب يَكمنُ نَهَارُهُ ويَسْرِي لَيْلُهُ؛ يُدَارِكُ بِطَعْنٍ مُؤْلِم، وَ يَسْتَحِلُّ دَمَ كُلِ كَافِرٍ وَمُسْلِم..."[4]

---

[1]- النثر الفني في القرن الرابع هجري، زكي مبارك،1 / :137.

[2]- ينظر ابن شهيد الأندلسي و جهوده في النقد الأدبي، عبد الله سالم المعطاني: 107.

[3]- رسالة التوابع و الزوابع : 87.

[4]- المصدر السابق : 126.

و لكن ابن شهيد لم يستخدم السجع من أول رسالته إلى آخرها؛ و هذا ما يؤكد أنه لم يكن يحبذ ذلك الأسلوب في الكتابة، إنما كان مضطرا والسبب في ذلك يعود كما قلنا لذوق عصره. يقول شوقي ضيف:" ابن شهيد لا يستخدم فيها – رسالة التوابع و الزوابع – دائما أسلوب السجع بل تارة يسجع وتارة لا يسجع و هذا معنى قولنا إن الكاتب الكبير في الأندلس لم يكن يخضع في صنع نماذجه لمذهب معين من مذاهب المشرق، بل هو – على نحو ما نرى الآن عند ابن شهيد – كان يتقلب بين المذاهب والمناهج المختلفة."[1]

و نجد التشبيه في مثل قوله:" وَ لَمْ أَكُنْ كَالثَّلْجِ تَقْتَبِسُ مِنْهُ نَارًا، وَ لاَ كَالحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا."[2]

و قوله: "..وَ سَارَ بِنَا كَالطَّائِرِ يَجْتَابُ الجَوَّ فَالجَو، وَ يَقْطَعُ الدَّوَّ فَالدَّو ..."[3]

وقوله:" وَ يَشْتَدُّ فِي إِثْرِنَا فَارِسٌ كَأَنَّهُ الأَسَدُ عَلَى فَرَسٍ كَأَنَّهَا العُقَابُ .."[4] وقد أكثر ابن شهيد في رسالته من المحسنات اللفظية كالجناس في قوله:" سَقَاهُمُ الله سُبُلَ العَهْدِ وَ إِنْ حَالُوا عَنِ العَهْد."[5] فالعهد الأولى أول مطر الوسمي والعهد الثانية يقصد بها الوعد، و في قوله:" البِطْنَةُ تُذْهِبُ

---

[1]- الفن و مذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف : 323.
[2]- رسالة التوابع و الزوابع : 88.
[3]- المصدر نفسه : 91 .
[4]- المصدر السابق: 96 .
[5]- نفسه: 149.

الفِطْنَـــة.."[1] وقولـــه:" وَ لاَ هَـــذَا الـــنَّفْسُ لِهَـــذِهِ الـــنَّفْسِ."[2] و قولـــه: " غَـــض مـــن غَـــض".[3] كمـــا أكثـــر أيضـــا مـــن المحســـنات المعنويـــة كالإرصـــاد فـــي قولـــه: " أصاب المنايا حادثي وقديمي"[4]

(حادثي ≠ قديمي)

و في قوله:

" و ارْتَكَضْنَا حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ يَسْعَى وَ أَتَى الصُّبْحُ قَاطِعُ الأَسْبَابِ"[5]

(مضى الليل ≠ أتى الصبح)

فـــابن شـــهيد قـــد أكثـــر مـــن المحســـنات البديعيـــة و مـــن الســـجع و كانـــا مـــن أهـــم سمات أسلوبه.

و فـــي النهايـــة فـــإن التشـــابه بـــين الرســـالتين مقتصـــر علـــى الصـــياغة الأدبيـــة وعلـــى الأســـلوب الحـــواري الـــذي يجمـــع الخيـــال و الفُكاهـــة و إِنْطَـــاقَ الجـــن والحيوان.

فـــالغُفران تعـــرض آراء المعـــري و مذهبـــه النقـــدي و الفلســـفي، أمـــا التوابـــع والزوابع فيمكننا القول بأنها ديوان شعر أراده ابن شهيد لإثبات تفوقه.

و رســـالة الغفـــران وضـــعها صـــاحبها فـــي إطـــار جديـــد بِوَصـــلِ مئـــات الأفكـــار والمشـــاعر و العواطـــف بِـــرَحِمِ الفكـــرة الأم، فجعلنـــا المعـــري عنـــد اســـتقبال

---

[1]- نفسه: 122.
[2]- نفسه : 88.
[3]- نفسه : 120.
[4]- نفسه : 100.
[5]- رسالة التوابع: 103.

المعـــاني و الجمـــل والخيـــالات و العبـــارات نســـتخدم العقـــل و نســـتعين بـــالفكر وننظر بالقلب.

أمـــا التوابـــع و الزوابـــع فصـــور لنـــا صـــاحبها عـــالم الجِـــن كمـــا يتخيلـــه هُـــوَ، لا كما قرأه في الكتب أو سمعه في الأساطير القديمة.

فكـــل منهمـــا حســـب رأيـــي، جـــاء بالجديـــد؛ إِمَّـــا فـــي الصِّـــياغة، و إِمَّـــا فـــي الأفكار.. ولكن بأسلوب مختلف عن الآخر.

المبحث الأوّل: أَثَرُ البيئة و العصر في إنتاج النّاقدين:

لا شـــك فـــي أنّ للبيئـــة أثـــرا عميقـــا فـــي شخصـــية الأديـــب الفنيّـــة، فهـــيّ مِظلـــةٌ واســـعةٌ تنـــدرج تحتهـــا عِـــدّة مســـارات تخـــتلط فيمـــا بينهـــا لتشـــكّل شخصـــية الأديـــب الفنيّـــة وهـــذه المســـارات هـــي البيئـــة العاطفيّـــة والمادّيـــة و الاجتماعيـــة والتَّجربة الشَخصيّة و التربية الأُسرية والثّقافية.

يقـــول ســـانت بيـــف (- 1869م) فـــي ذلـــك:" إنّ العلاقـــة بـــين العمـــل و المؤلـــف – بمـــا يَكْتَنِفُـــهُ مـــن ظـــروف عائليـــة و قوميّـــة، و حقبـــة تاريخيّـــة، و ارتبـــاط تلـــك

الحقبة بالحِقَب الأخرى، بما يشكل دوائر ذات مركز واحد – أمرٌ ضروريٌ لعملية التقويم التي يقوم بها النّاقد." [1]

و من ذلك سَننظر إلى المعرّي و ابن شهيد و أدبهما من منظور العصر الذي عاشاه، فالمعري عاش رهين حبس المجتمع له في بيته لا يَبْرَحُه ما يقرب من نصف قرن، و ذلك راجع لأحوال البلاد السّياسية والاجتماعية القلقة المضطربة؛ كانت أَيَّامُه، أيّام حرب شبه صليبيّة وحربًا أهلية عاش تحت الحمدانية و الفاطمية و المِرداسية و الرّوم في مَعَرَّة النُّعمان موطنه.[2]

فقد وافق مولد المعرّي دخول المُعِز لدين الله مصر، و في العقد الذي ولد فيه المعرّي ودرج، كانت جمعية إخوان الصّفا تزدهر و تنمو.[3]

فما هي الثورات الدينية و الاجتماعية و السياسية التي سبقت مولده ورافقت حياته ؟

في سنة 393هـ خَرَّب لؤلؤ السيفي الجراحي المتغلب على حلب بعد أبي الفضائل كفر روما وهي قرية من قرى معرَّة، و قد كانت حصنا حصينا وحصن أروح مخافة أن يقصد فيها.

و في سنة 417هـ صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة، و ذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغصبها نفسها، و كان نصرانيا، فنفر كل من

---

[1]-عن مقالات في النقد الأدبي، إبراهيم حمادة، دار المعارف، مصر: 92.
[2]- ينظر على هامش الغفران ، لويس عوض ، الهلال ، المقال 05 ، الأهرام : 16.
[3]- ينظر أبو العلاء المعري : زوبعة الدهور ، مارون عبود، دار مارون عبود ، ط3، 1970م،: 34.

في الجامع، إلاَّ القاضي و المشايخ، و هدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه وحرقوه و قتلوا الضامن، و كان طالح بن مرداس صاحب حلب يومئذ في نواحي صيداء، و كان له وزير يقال له: تازروس ابن الحسن النصراني وكان متمكنا عنده، و كان صاحب السيف و القلم وكان أهل المعرة قتلوا حماه الخوري، فكان في نفس نازروس شيئ من أهل المعرة من أدل حميه فكان يؤذيهم، و يتتبع قتلته حتى قتلهم وصلبهم فلما أترلوا عن الخشب ليصلَّى عليهم و يدفنوا، قال الناس: قد رأينا عليهم طيورا بيضا، و ما هي إلا الملائكة يريدون كيد النصارى فبلغت هذه الكلمة تازروس، فنقمها على أهل المعرة و اعتدَّها ذنبا لهم و تربص بهم السوء فلما وقعت حادثة الماخور وسوس الوزير لصالح وأوغر صدره على أهل المعرة. و كان صالح قد وصل إلى حلب سنة 418هـ فحاصر المعرة ونصب المناجيق وشدد الحصار عليها و فيها سبعون رجلا من شيوخها و أعيانها ولبثوا سبعين يوما في محبس الحصن، و ذلك بعد عيد الفطر بأيام، و قد دُعِي للمعتقلين على المنابر بآمد و ميتا فارقين، و كان تازروس أشار على صالح أن يقتل المهذب الشيخ أبا الحسن و أبا المجد محمد بن بن عبد الله بن سليمان أخا أبي العلاء وأوهمه أنَّ في ذلك إقامة للهيبة، فأبى صالح أن يوافقه على القتل وقطع تازروس ألف دينار على أهل المعرّة.

و كان بعض بني سليمان جد أبي العلاء ممن اعتقل فلما اشتد الحصار على أهلها و آنسوا من نفوسهم العجز عن مقاومته، لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به جاؤوا إلى أبي العلاء، و قالوا له:

إن الأمر قد عظُم وليس له غيرك وسألوه أن يخرج إلى صالح بنفسه ويدبر الأمر برأيه، إما بأموال يبذلونها أو طاعة يعطونها. فخرج أبو العلاء و يده في يد قائده فلما فتح له باب من أبواب المعرة و خرج منه رأى صالح شيخا قصيرا يقوده رجل. فقال: هذا أبو العلاء فجيئوني به فلما مثل بين يديه، سلم عليه ثم قال: الأمير أطال الله بقاءه كالنهار المانع اشتد هجيره وطاب أبراده، و كالسيف القاطع، لان صفحه و خشن حدَّاه،" خُذ العَفْو وأمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين" فقال صالح:" لا تثريب عليكم اليوم" و قد وهبت لك المعرة وأهلها. ثم قال له: أنشدني شيئا من شعرك فقال أبو العلاء:[1]

تَغَيَّبْتُ فِي مَنْزِلِي بُرْهَةً سَتِيرَ العُيُوبِ فَقِيدَ الحَسَدْ

فَلَمَّا مَضَى العُمْرُ إِلا الأقلَّ وّ حَمَّ لِرُوحِي فِرَاقُ الجَسَدْ

بُعِثْتُ شَفِيعًا إِلَى صَالِحٍ وَ ذَاكَ مِنَ القَوْمِ رَأْيٌ فَسَدْ

فَيَسْمَعُ مِنِّي سَجْعَ الحَمَامِ وَ أَسْمَعُ مِنْهُ زَئِيرَ الأَسَدْ

فقال له صالح: بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام و نسمع منك زئير الأسد. ثم أمر بتقويض الخيام و المناجيق، فنقضت، و رحل و لم يعلم أبو

[1]- اللزوميات : 116.

العــلاء أن المــال قــد قطــع علــيهم، و لــو علــم لســأل صــالحا رده، و لمــا رجــع أبو العلاء قال:

نَجَّى المَعَرَّةَ مِن بَرَاثِنِ صَالِحٍ رَبٌّ يُعَافِي كُلَّ دَاءٍ مَعْضِلِ

مَا كَانَ لِي فِيهَا جَنَاحُ بَعُوضَةٍ اللهُ أَلْبَسَهُــم جَنَاحَ تَفَضُّـلِ

و هــذه القصــة رواهــا يــاقوت فــي "معجــم الأدبــاء" و ابــن العــديم و القفطــي والــذهبي والــوردي والضَّــفدي و غيــرهم، و نقلــت عــن أبــي غالــب بــن المهــذب المعري في تاريخه وهو أوثق الجميع."[1]

يقــول الــذَّهَبِي فــي حــوادث ســنة 982م – أي حــين كــان المعــرّي ابــن تســع أو عشــر ســنوات-:" فِــي هَــذَا الزَّمَــانِ كَانَــتِ الأَهْــوَاءُ و البِــدَعُ فَاشِــيَةً بِمِثْــلِ بَغْــدَادَ ومِصر مِنَ الرَّفْضِ و الِاعْتِزَال، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون."[2]

فقــد كانــت الشّــام و هــيَ بيئــة المعــرّي مســرحا للفــتن و الحــروب، و أقربهــا إلــى تلــك الحــروب الغــزوات التــي أثارهــا الأميــر ســيف الدّولــة صــونا لثغــور الشّــام مــن الغــزو البيزنطــي.[3] و قــد انقســم العــالم الإســلامي علــى أيّــام المعــرّي إلــى دويــلات و إمــارات انفصــلت عــن الخلافــة العباســية وأصــبحت أكثــر مــن خلافــة تمثــل الدّولــة الإســلامية فكانــت الخلافــة العباســية فــي الشــرق و الأمويــة

---

[1]- الجامع في أخبار أبي العلاء المعري و آثاره: 93-97.

[2]- أبو العلاء المعري : زوبعة الدهور : 43.

[3]- ينظر ، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين : 37.

في الأندلس والفاطمية في مصر و ما حولها.[1] والدّول التي اتصل بها المعرّي ثلاث دول: دولة الدَّيلم في بغداد حين رحل إليها والدولة الحمدانيّة في حلب، و الدولة الفاطمية في مصر.

كما كانت " الأحوال الاجتماعية في عصر المعرّي فاسدة و قد أثّر فيها فساد الحياة السياسية و اختلال النّظام الاقتصادي، و ضعف الأثر الدّيني في النفوس."[2] و سوء الحالة الاجتماعية مرتبط بسوء توزيع الثروة فقد شهد القرنان الرّابع والخامس الهجريان خَلَلاً اجتماعيا واضحا و تجلى في سوء توزيع الثّروة بين النّاس ، باستئثار الخلفاء وأمراء الجيوش بالثروات الطائلة حيث كانوا يُنفقونها على العبيد والخمور و الزينة، على حين كان جمهور كبير من المسلمين؛ الذين ينتمون إلى أصول غير عربية ، يعانون ذُلَّ العبودية وعَنَت الخدمة. ومن هنا كان من السهولة اسْتِمَالَتُهُم إلى الدّعوات المتطرفة والثّائرة فكانت ثورة الزنج و القرامطة تعتمد على أولئك العبيد الذين كانوا يريدون التخلص من الظلم الاجتماعي القائم والالتفاف حول داعية يُمنيهم بالمساواة و العدل في توزيع الثروات.[3]

---

[1]- ينظر ، قضايا العصر في أدب أبي العلاء ، عبد القادر زيدان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م: 22-25.

[2]- النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين : 41.

[3]- ينظر النقد الإجتماعي في آثار أبي العلاء ، محمد سلامة يسرى ، دار المعارف ، ط2 ، الاسكندرية ، 1982م : 26-48.

و قد كانت نتيجة السّياسة الاقتصادية التي لا تقوم على العدل انتشار الجوع والإفلاس و سادت الأوبئة أنحاء بغداد، و انتشر الفساد في أنحاء الدّولة الاسلامية ومَسّ كل الأنظمة الاجتماعية والإقطاعية القائمة حينذاك حتى استحال الحكّام أنفسهم إلى لصوص.[1]

و لا شك أن هذا كلّه قد أثار نقد المعرّي و إن كان نقده هذا رهن محبسه فكان أدبه أداة فاعلة من أدوات النّقد الاجتماعي اللاَّذع، الذي عبّر لنا فيه أيضا عن كل سلبيات مجتمعه آنذاك من تقلبات سياسية وفكرية و انحطاط اجتماعي و تدهور اقتصادي ..

و بالمقابل نجد ابن شهيد قد عاش تقريبا ما عاشه المعرّي في عصره من نكبات وأزمات سياسية.

فقد عاصر ابن شهيد فترتين من تاريخ الأندلس: كانت الأولى: فترة ذهبيّة تألقت فيها الأندلس في ظل العامريين، حيث ولد و ترعرع في أحضان خيراتهم و نعمهم.

و أما الثانية فتمثل عصر الفتنة العظمى التي قضت على الأيّام السعيدة في ظِلِّ العامريين من جهة وشهدت سقوط الأندلس و تفكّكها إلى دويلات متناحرة في ظل حكم ملوك الطوائف من جهة أخرى.

---

[1]- ينظر المرجع نفسه: 42.

فقد حكمها عبد الرحمن الناصر(961/350-912/300) و قد وفق في إنقاذ الحضارة الإسلامية الأندلسية الزاهرة مما كان يهددها من الأخطار الخارجية و الخلافات الداخلية. فقد كان ذا سياسة حازمة مكنته من أن يُخضع جماعات العرب لسلطانه، و أعانته على القضاء على قوّة عمر بن حفصون (الذي كان قد فقد من جاهه بسبب ارتداده عن الإسلام واعتناقه النصرانية)،...وكان أساس القوة التي أقام عبد الرحمن عليها سلطانه تلا فيه ناحية النقص التي كانت تضعف كيان جيوش الدولة الأموية الأندلسية أضفى عبد الرحمن الناصر على الأندلس النظام والرخاء في الداخل، وهيأ لها الاحترام و التقدير في الخارج.

و زاد في موارد الثروة بتشجيع الزراعة والتجارة و الصناعة و الفنون والعلوم حتى بلغت كلها أوجها على أيامه واهتم بتجميل قرطبة حتى أصبحت تضاهي بغداد بهاء و جمالا[1] "وكان الحكم الثاني المستنصر 350-366 أكثر الخلفاء الأندلسيين تسامحا و حرية فكر وكان أعلم الناس بتاريخ الأدب، و كانت إشاراته و تعليقاته حجة يرجع إليها علماء الأندلس".[2]

"و إلى جانب شخصية المنصور بن أبي عامر تلاشت شخصية الضعيف المتطامن هشام بن الحكم- الملقب بالمؤيد- الذي خلف أباه على عرش الأندلس(366-396) و قد اقتضت سياسة المنصور ورغبته في تأييد

[1]- تاريخ الفكر الأندلسي ، آنجل جياليث بالنثيا،:07-08

[2]- المصدر نفسه : 10 .

مركـــزه أن يضـــيف إلـــى مـــن كـــان يـــؤازره مـــن عناصـــر جـــيش الخلافـــة مـــن المولـــدين والصـــقالبة عنصـــرا جديـــدا عظـــيم الخطـــر شـــديد التأييـــد لـــه، فكـــوَّن جيشـــا مـــن البربـــر الـــذين جلـــبهم مـــن إفريقيـــة و جمـــع أزمـــة قيـــادتهم بيـــده وحـــده و تمكـــن بفضـــل هـــذا الجـــيش الجديـــد مـــن أن يوقـــف كـــل تقـــدم النصـــارى جنـــوبي نهر دُوَيْرُه.

و تمكـــن مـــن الاســـتلاء علـــى ليـــون و شـــنت ياقـــب و برشـــلونة[1] و اســـتبد بـــالأمر وحـــده و قهـــر الأندلســـيين علـــى الطاعـــة لحكومـــة اســـتبدادية عســـكرية فكانـــت النتيجـــة أن اضـــطر مـــن نيـــران الفتنـــة التـــي قصـــمت ظهـــر الأنـــدلس بعـــد وفاته وبعد أن تراخت يده الحديدية[2].

كانـــت ثـــورة قرطبـــة علـــى أولاد المنصـــور و الفتنـــة الكبـــرى التـــي أعقبتهـــا قاضـــيتين علـــى الخلافـــة. و قـــد تطاحنـــت علـــى دفـــة الأمـــور خـــلال هـــذه الفتنـــة المبيـــرة طوائـــف شـــتى كـــان كـــل منهـــا يحســـب أنـــه قـــادر علـــى قطـــع دابرهـــا وإعـــادة الدولـــة و تســـيير الأمـــور، فقامـــت عقـــب ســـقوط الخلافـــة حكومـــة فـــي قرطبـــة أشـــبه بحكومـــات البلـــديات(عام 431هـــ) وانتهـــى تطـــاحن الطوائـــف إلـــى تحزبهـــا خـــلال أدوار الفتنـــة الأهليـــة فـــي طوائـــف ثـــلاث متعاديـــة فيمـــا بينهـــا: البربـــر و قـــد اســـتولوا علـــى الجـــزء الجنـــوبي مـــن الأنـــدلس والصـــقالبة و قـــد

---

[1]- تاريخ الفكر الأندلسي ، آنجل جياليث بالينثيا : 10.
[2]- نفسه: 12.

انحازوا إلى شرقه واستبدوا به، و الأندلسيين و قد أقاموا دولهم فيما بقى للمسلين من الجزيرة[1].

" و لم يلبث بعض هذه الدويلات الناجمة أن صارت إلى صيرانها واختفت دون أن تخلف أي أثر يُذكر في التاريخ الأدبي، بينما استطاع بعضها الآخر البقاء في الميدان و قامت بينهما منافسة حامية في ميادين العلوم و الآداب.

و نشأ عن هذا التنافس أن نهضت الآداب نهضة بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس الإسلامي. و قد كان هذا الازدهار نتيجة لعوامل أخرى كثيرة، أهمها أن عصري الإمارة و الخلافة كانا بمثابة فترة إعداد طويلة تجمعت خلالها مواد وافرة غزيرة في كل فرع من فروع الدراسات واختمرت اختمارا طويلا، و ثانيها أن علماء قرطبة غادروها أثناء الفتنة و انتشروا في شتى نواحي الأندلس، وكذلك تفرقت في كل ناحية مجموعات الكتب التي كانت مختزنة في مكتبات قرطبة وثالثها تلك الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية بما فيها الحياة الدينية."[2]

ففي تاريخ قرطبة و في عصر ابن شهيد بالتحديد ، كانت تلك المدينة التي أحب الشّاعر طبيعتها و نعيمها و رغد العيش فيها، ترزح تحت سعير الحروب و الفتن المُتوالية التي عصفت بأمنها فبددته. فلم يملك ابن شهيد

---

[1]- نفسه : 13.

[2]- المصدر السابق :13

تجـــاه تلـــك الحـــال إلا السّـــخط البـــالغ والـــبغض العميـــق لتلـــك الفتنـــة الجـــائرة وأحـــداثها النّاقمـــة، حمـــل ذلـــك فـــي نفســـه و دَوَّنَـــه فـــي شـــعره ؛ ففـــي شـــعره الكثيـــر من رثاء قرطبة و البكاء على أمجادها.

و مـــن أجـــل ذلـــك " كانـــت نكبـــة قرطبـــة حادثـــة جلـــلا بالنســـبة لـــه ؛ لأنهـــا هـــوت بالمجـــد العـــامري وقضـــت علـــى الأيـــام الســـعيدة فـــي ظلّهـــم، و كانـــت نشـــأة "أبـــي عـــامر" لا تقويـــه علـــى الكفـــاح و المغـــامرة مـــن جديـــد...فبقي فـــي قرطبـــة ينظـــر معاهـــدها الدَّارســـة فـــي أســـى ، و يبكـــي قصـــورها و منتزهاتهـــا و يعلـــل عجـــزه عن مفارقتها بحبه للوطن، بحبه لقرطبة."[1]

فقـــد عاشـــت الأنـــدلس فتنـــة عميـــاء دامـــت اثنتـــين و عشـــرين ســـنة أفضـــت إلـــى تقطيـــع أوصـــالها؛ فقـــد اســـتمرت مـــن ســـنة 400 حتـــى ســـنة 422هـــ. و معنـــى هـــذا أن ابـــن شـــهيد قـــد قضـــى نصـــف حياتـــه فـــي الفتنـــة فعاصـــر بـــذلك أهوالهـــا ومصـــائبها وهـــي فتـــرة خطيـــرة مـــن الـــزّمن بالنســـبة لـــه، فقـــد بـــدأت وهـــو فـــي حـــوالي الثّامنـــة عشـــرة مـــن عمـــره، فواكبـــت شـــبابه المتفـــتّح و نفســـه المنطلقـــة ومواهبه التي كانت قد بدأت في الظهور بصورة واضحة.[2]

و كمـــا كـــان لتلـــك الأحـــداث السياســـيّة الأثـــر الموجـــع فـــي نفســـه كـــان لهـــا أيضـــا أثـــر معـــاكس خاصـــة و أنهـــا كانـــت ســـببا فـــي تجـــدد طموحـــه لنيـــل الـــوزارة فمـــا كـــان منـــه " إلاّ أن يُســـرع إلـــى الحكّـــام يسترضـــيهم و يواكـــب كـــل عهـــد وعصـــر

---

[1]- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس ، دار الشروق ،ط1، عمان ، الأردن ، 1997م : 247.
[2]- ابن شهيد الأندلسي ، حياته و أدبه : 33.

كـــي يبقـــى علـــى لذتـــه و لهـــوه."[1] و لكـــن ابـــن شـــهيد فـــي أعماقـــه كـــان مخلصـــا لآل العـــامريين الـــذين تربـــى فـــي كـــنفهم و عـــاش فـــي فتـــرة ملكهـــم حيـــاة النَّعـــيم والرّخاء.

" و دبـــت لـــه أيّـــام العلـــويين عقـــارب ، برئـــت بهـــا مـــن أباعـــد و أقـــارب واجهـــه بهـــا صـــرف قَطُـــوبٌ وانبـــرت إليـــه منهـــا خُطـــوب ، نبـــا لهـــا جنبـــه عـــن المضـــجع وبقـــي بهـــا يـــأرق و لا يهجـــع، إلـــى أن عَلِقَتْـــهُ مـــن الاعتقـــال حبالُـــه و عَقَلَتْـــهُ فـــي عِقالٍ أذهب مالَه فأقام مرتهنا و لقي وهنا."[2]

و مـــا لبـــث بعـــدها أن " اســـتقامت أحوالـــه زمـــن المعتلـــي، و توطـــدت علاقتـــه بـــه بعد أن أطلق سراحه فمدحه بالعديد من القصائد"[3]

و لـــم تســـتمر الحـــال علـــى مـــا هـــي عليـــه، فســـرعان مـــا نكـــب حكـــم المعتلـــي فخـــرج مـــن قرطبـــة إلـــى مالقـــة بعـــد أن اســـتولى عليهـــا عمـــه القاســـم ، و لـــم يغفـــل فـــي تلـــك الآونـــة صـــلته بـــابن شـــهيد ، و لـــم يتنكـــر لهـــا ، إذ عـــزم أبـــو عـــامر علـــى الخـــروج معـــه، و هنـــا يقـــف ابـــن شـــهيد مـــرة أخـــرى مـــع حبـــه لقرطبـــة، معبـــرا عن رغبته في عودة المعتلي إليها.

فبعـــد خلـــع القاســـم مـــن الحكـــم، و مبايعـــة المســـتظهر عبـــد الـــرحمن بـــن هشـــام بـــن عبـــد الجبـــار، الـــذي شـــهد فـــي زمـــن حكمـــه- علـــى قصـــره- تـــألق ابـــن شـــهيد حيـــث

---

[1]- المرجع السابق : 34.

2- مطمح الأنفس و مسرح التأنس في مدح أهل الأندلس ، أبو النصر محمد بن خاقان، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة ،ط1،1403هـ،1983م :198.

[3]- ديوان ابن شهيد الأندلسي و رسائله ، محي الدين ديب :32.

تـولى فيهـا – فيمـا يقـارب سـبعة و أربعـين يومـا – الـوزارة، و هـي الفتـرة مـا بين تولي المستظهر للخلافة و قتله من قبل المستكفي.

وبعـد أن عـاد المعتلـي إلـى قرطبـة، و بـايع هشـامًا المعتـد بالخلافـة كـان لابـن شـهيد قصـائد مـدح متجـددة، وولاء متميـز لمـن أعلـى شـأنه. و بعـد أن خُلـع ابـن هشـام مـن السـلطة وفُقِـدَ معـه العِـز الأمـوي ضـاع كـل أمـلٍ لابـن شهيد في الوزارة ، و قد بلغ من العمر آنذاك عتيا.

* الموازنة بين المعري و ابن شهيد في هذا الشأن:

إن لكـل مـن المعـري و ابـن شـهيد مواكبتـه الخاصـة لأحـوال بـلاده السياسـية فـالأول أثَّـرت فيـه تلـك النكبـات سـلبيا، حيـث فضـل العزلـة وراح ينتقـد أوضـاع بـلاده نقـدا صـريحا صـارما فكـان أدبـه مـرآة صـادقة عاكسـة لسـلبيات مجتمعه.

أمـا ابـن شـهيد فكـان أكثـر اسـتغلالا لتلـك السـلبيات حيـث كـان يواكـب عصـره طمعـا فـي بقـاء لذتـه فلـم يكـن صـادقا مثـل المعـري، بـل طامعـا و لـم يكـن مصـلحا بـل كـان يبحـث عـن مصـلحته فـي تـولي الـوزارة علـى الـرغم مـن حبـه القوي لقرطبة.

فـابن شـهيد عكـس المعـري فـي كـل شـيء مـع أنهمـا عاشـا تقريبـا الظـروف السياسية نفسها.

المبحث الثاني : عامـل الوراثـة

1- الصفات الخَلقية و الخُلقية:

1/1:صفات أبي العلاء المعرّي :

قال الحافظ السلفي :" أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره، فرآه قاعدا على سجادة لبد و هو شيخ قال: فدعا لي، ومسح على رأسي و كنت صبيا. قال: كأني أنظر إليه السَّاعة وعلى عينه: إحداهما بارزة والأخرى غائرة جدا و هو مجدور الوجه نحيف الجسم.

و لم يحفظ التاريخ الصحيح لنا من وصف المعري إلا هذا الخبر."[1] فهو فَذٌّ" عمي من الجذري أول سنة سبع و ستين ، غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة."[2]

إذا كشفنا عن شخصية هذا الرجل وجدناه يُسجل في رسالة الغفران على نفسه التواضع الشديد و عدم التعالي في أستاذيته يقول عنه طه حسين :" المسلمون لم يعهدوا بينهم في قديمهم و حديثهم فيلسوفا مثله قد جمع بين الفلسفة العلمية و العملية ، ثم بينهما و بين العلم و اللغة . وأبو العلاء هو الفيلسوف الفذ الذي التزم ما لا يلزم عند المسلمين في سيرته ولفظه.."[3]

أسنانه:

---

[1]- المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين- أبو العلاء المعري – طه حسين، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1974م 10/ 190:

2- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ،ط4، 2005م، مجلد / 1 : 113.

[3]- تجديد ذكرى أبي العلاء ، طه حسين:

و لـم تشـأ الأيـام أن تتـرك أسـنانه سـليمة، حتـى لا تسـلم لـه جارحـة مـن آفـة.

وقد قال في اللزوم:

فَمِـي أَخَذَتْ مِنْـهُ اللَّيَالِي وَ إِنَّنِي لأَشْرَبُ مِنْهُ فِي إِنَاءٍ مُثَلَّمَوَ أ

وْدَى بِظَلْم الثَّغْرِ صُبْـحٌ وَ حِنْدِسٌ مَتَى يَنْظُرُ فِي نَيِّرِ العَيْنِ يُظْلَمِ[1]

و الظـاهر أن أسـنانه و أضراسـه دب إليهـا الفسـاد قبـل أن يبلـغ الخمسـين. يـدل علـى ذلـك قولـه فـي رسـالة أرسـلها جوابـا لأبـي الحسـن محمـد بـن سـنان الحلبـي: "الآن علـت السـن، و ضـعف الجسـم.. و عطلـت رحـى كنـت أقصـر طحنهـا علـى نفسـي.. و لـم يبـق إلا أن يخلـو مكانهـا العـامر.. و إن تشـبه بهـا فـي الظعـن أخواتهـا، صـار لفظـي مـن أجـل ذلـك مشـينا، و جعلـت سـن الكلمـة شينا. فإذا قلت العسل ظُنَّ أني أقول العَشَل، بالشين المعجمة.."[2]

شَعْـــرُه:

كـان شـعره أسـود، و قـد خطـه الشـيب قلـيلا قبـل رحلتـه إلـى بغـداد،[3] و ذكـر ذلك في قصيدة، جاء فيها:

طَوَيْتُ الصِّبَا طَيَّ السِّجِلِّ وَ زَارَنِي زَمَانٌ بِهِ لِلشَّيْبِ حُكْمٌ وَ إِسْجَالُ[4]

سَمعُـــه:

---

[1]- اللزوميات:244. و الظَّلْمُ : بفتح و سكون، ماء الأسنان و بريقها.

[2]- رسائل أبي العلاء المعري ، شاهي عطية:222.

[3]- الجامع في أخبار أبي العلاء المعري و آثاره/ 1 :435.

[4]- شروح سقط الزند / 3: 1252.

يـدل قولـه فـي رسـالته إلـى داعـي الـدعاة:" و قـد علـم الله أن سـمعي ثقيـل.."[1].

وقوله لابن أخيه:

أَجِدَّكَ مَا تَرَكْتَ وَ أَنْتَ قَاضٍ تَعَهُّدَ مُقْعَدٍ أَعْمَى أَصَمِّ[2]

و هـو أيضـا ميّـال إلـى التلطـف و المجاملـة فـي قولـه مـن رسـالة الغفـران: "... إن فـي مسـكني حماطـة مـا كانـت قـط أفانيـه تثمـر مـن مـودّة مـولاي الشيخ الجليل.."[3]

و هـذا الضـرب مـن المجاملـة كـان جـزءا مـن الحيـاة الاجتماعيـة فـي تلـك الفتـرة وهـذا لـيس ملحوظـا فـي رسـالة الغفـران فقـط بـل نجـده فـي رسـائله كلها...[4]

و كـان مـن طبعـه: "العـزوف عـن التملـق و المـدح التكسـبي الـذي كـان سـبيل الشـعراء للكسـب و الشـهرة، و قـد كـان شـديد الحساسـية بسـبب عاهتـه ولكنـه قـوي الثقـة بعلمـه؛ و هـذا مـا جعلـه بعيـدا عـن الانسـجام مـع أهـل عصـره و لا سيما الخلفاء والأمراء"[5]

كمـا أن المعـري عـاش زاهـدا حتـى وفاتـه؛ لـزم منزلـه فـي عزلـة لا يبرحـه ولا يأكـل اللحـم و لـم يتـزوج قـط، و كـان يصـوم كـل أيـام السـنة مـا عـدا عِيـدَي الفطر والأضحى و كان يلبس خشن الثياب.

---

[1]- نفسه : 433.
[2]- تعريف القدماء بأبي العلاء:497.
[3]- رسالة الغفران: 129.
[4]- ينظر الظاهرة الدرامية و الملحمية في رسالة الغفران:117.
[5]- النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين، سناء خضر: 14.

و قد كان المعري " عزيز النفس فكان لا يرضى من الدنيا إلا بالسيادة عليها أو بالإعراض عنها، فإما الملك و إما الرهبانية و لا توسط عنده بين الأمرين."[1]

و قد كشف العقاد في موازنة عقدها بين المعري و بين عمر الخيام وأبي نواس فقال:"...فالخيام يشرب و ينعم لأنه عالج مشكلات الوجود فاستعصى عليه حلها فقنع بالساعة التي هو فيها و عمد إلى الكأس يغرق فيها شكوكه وأسفه على بطلان الحياة و عاقبة الحياة. أما أبو نواس فلا شكوى عنده و لا مشكلات ، و إنما هو شارب خمر لأنه يشتهيها ويتصدى لعقاب الآخرة في سبيلها ، فالآخرة عنده حقيقة مفروغ منها وليست قضية في طريق الحل والجلاء. كما كانت في مذهب عمر الخيام..

أما أبو العلاء فهو قريب من أبي نواس في الثقافة العربية و قريب من الخيام في التفكير والبحث عن أصول الأشياء، فهو يكون كهذا و لا كذاك حين يستسلم لمتاع الحياة ولكنه يكون نمط وحده يأخذ من كليهما بما هو قريب إليه..."[2]

إن ما قاله العقاد من أن الخيام قريب من المعري في طرح الأسئلة المتأملة الحائرة في الحياة و سر الوجود بيِّن غير أن الخلاف واضح في

---

[1]- رجعة أبي العلاء ، عباس محمود العقاد : 23.
[2]- المرجع نفسه: 30.

زهـــد المعـــري ومجـــون الخيام،كمـــا أن الخيَّـــام أوّل بعـــض فلســـفته وتصـــوفه على أنها إلحاد وزندقة مثل المعري الذي لم يُفهم تدينه من عدمه.

و تعليـق علـى قـول العقـاد إن المعـري نمـط وحـده يأخـذ مـن كليهمـا بمـا هـو قريب إليه".

فـإن المعـري لـم يأخـذ مـن الخيـام لأن الخيـام هـو المتـأثر بـه لأنـه سـبقه بنحـو خمسين عاما.

فـأبو العـلاء أسـير العـرف و التقاليـد و هـذا مـا جعـل منـه حكيمـا فـي أخلاقـه وتفكيره.

عفافه و إباؤه:

لقـد كـان المعـري قليـل المـال كثيـر العفـاف و الجـود، فقـد كـان يعـيش عيشـة الشـظف والجلـد، و لا يبـذل مـاء وجهـه بسـؤال، و لا يمـد يـده لقبـول منحـة ولو كانت من أمير أو ملك بل يكتفي بما أعطاه الله له في قوله:[1]

وَ لَمْ يُصِبْـنِي أَحَـدٌ نِعْمَةً وَ لَكِـن مَوْلَى المَوَالِي حَبَـا

[1]- اللزوميات :44

فقد ذكر ياقوت و ابن العديم أن المستنصر المستولي على مصر أحد العبيديين بذل لأبي العلاء ما بيت المال بمعرة النعمان من مال الحلال فلم يقبل منه شيئا، و قال:

كَأَنَّمَا غَانَةً لِي مِنْ غِنًى فَعَدِّ عَنْ مَعْدَنِ أُسْوانِ

سِرْتُ بِرَغْمِي عَنْ زَمَانِ الصِّبَا يَعْجِلُنِي وَقْتِي وَ أَلْوَانِي[1]

صَدَّ أَبِي الطَّيِّبِ لمَّا غَدَا مُنْصَرِفًا عَنْ شِعْبِ بَوَّانِ[2]

طهارة يده و لسانه :

لا يعرف التاريخ أن أبا العلاء لوث يده باقتراف منكر، و لا دنس ذيله بارتكاب فسوق أو فجور، بل كان يترك كثيرا من الحلال خشية الوقوع في الحرام. و يربأ بنفسه عن كثير من الملاذ المباحة زهدا فيها واحتقارا لشأنها. و لم يُحدِّثنا التاريخ أنه تصدى لإيذاء أحد بلسانه أو بغيره[3].

جرأته :

و كان على ضعف جسمه جريئا قوي القلب، لا يخاف في الحق لومة لائم وفي حديثه مع الشريف المرتضى حين أراد أن يغض من كرامة المتنبي دليل أوضح من الفلق على رباطة جأشه و جرأته، و كذلك قوله في مجلس المرتضى:" الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما" و أدل من ذلك كله تصريحه بما يعتقد، و مجاهرته بانتقاد الشرائع و النظم

---

[1]- الجامع في أخبار أبي العلاء: 309

[2]- نفسه : 325.

[3]- المرجع السابق : 325.

الاجتماعيـــة وغمـــزه قنـــاة الأمـــراء و الـــوزراء و الشـــعراء و ســـائر أصـــناف الناس من غير مبالاة ولا جزع.

و فـــي هـــذا مثـــال جلـــي علـــى مقـــدار مـــا كانـــت تكنـــه نفســـه الضـــعيفة مـــن قـــوة وجرأة كبيرة.[1]

تواضعــه:

كـــان أبـــو العـــلاء شـــديد التواضـــع، يحـــب أن يتضـــاءل و يصـــغر شـــأنه حتـــى يكـــاد يخفـــى لاســـيما فـــي علمـــه و أدبـــه، و قـــد قـــال التبريـــزي:" إنـــه كـــان يكـــره أن يُقـــرأ شـــعره فـــي صـــباه الملقـــب "بســـقط الزنـــد"...و يقـــول معتـــذرا مـــن امتنـــاع ســـماعه: مدحت نفسي فيه فلا أشتهي أن أسمعه"[2].

و كتبـــه مفعمـــة بمـــا يـــدل علـــى تواضـــعه، منهـــا قولـــه فـــي رســـالة المنيـــع:" هـــل أدبـــي فـــي أدبـــه إلا كـــالقطرة فـــي المطـــرة، و النحلـــة عنـــد النخلـــة.."[3]، و قولـــه فـــي رســـالته إلـــى صـــدقة بـــن يوســـف الفلاحـــي :" إن العامـــة عهـــدتني فـــي صـــدر العمـــر أستصـــحب شـــيئا مـــن أســـاطير الأولـــين، قالـــت عـــالم، و النـــاطق بـــذلك هـــو الظـــالم... و نشـــأت فـــي بلـــد لا عـــالم فيـــه و إنمـــا تشـــبثُ الناميـــة بـــالجوازع السامية..."[4]

زُهـــــــده :

---

[1]- ينظر المرجع نفسه : 349.
[2]- شروح سقط الزند / 1 :03.
[3]- رسائل أبي العلاء المعري، شاهي عطية : 29.
[4]- المرجع السابق:95-97.

يقول القفطي:" كان لأبي العلاء وقف يشاركه فيه غيره من قومه وكانت له نفس تشرف عن تحمل المنن، فمشى حاله على قدر الموجود فاقتضى ذلك خشن الملبوس و المأكل والزهد في ملاذ الدنيا، و كان الذي يحصل له في السنة مقدار ثلاثين دينارا قدر منها لمن يخدمه النصف، و أبقى النصف الآخر لمؤونته، فكان أكله العدس، إذا أكل مطبوخا، وحلاوته التين، و لباسه خشن الثياب من القطن، و فرشه من لباد في الشتاء وحصيره من البردى في الصيف و ترك ما سوى ذلك."[1]

يقول أبو العلاء في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة:" إن الذي لي في السنة بنيف و عشرون دينارا، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقى لي ما لا يعجب فاقتصرت على فول و بُلسن وما لا يعذب على الألسن"[2]

علمه و ثقافته:

أما ذكاؤه فإنهم يقولون: "إنه كان آية في الذكاء المفرط، عجبا في الحافظة"[3] و إنه لما ذهب إلى بغداد طلب أن تعرض عليه الكتب التي في خزائنها فأدخل إليها و جعل لا يقرأ عليه كتاب إلا حفظ منه جميع ما يقرأ عليه."[4] فقد أقبل أبو العلاء منذ نشأته على التعلم والإلمام بالمعارف المختلفة، يقول القفطي في ذلك :" لما كبر أبو العلاء ووصل إلى سن

---

[1]- تعريف القدماء بأبي العلاء: 31.
[2]- معجم الأدباء / 3 : 189.
[3]- تعريف القدماء: 285.
[4]- نفسه : 224.

الطلب أخذ العربية عن قوم من بلده كبني كوثر أو من يجري مجراهم من أصحاب ابن خالويه و طبقته، وقيَّد اللغة عن أصحاب ابن خالويه أيضا، و طمحت نفسه إلى الاستكثار من ذلك فرحل إلى طرابلس الشام، و كانت بها خزائن كتب قد وقفها ذوو اليسار من أهلها فاجتاز باللاذقية، و نزل دير الفاروس، و كان به راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل، فسمع منه أبو العلاء كلاما من أقوال الفلاسفة حصل به شكوك فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال...حتى فاه به في أول عمره وأودعه أشعارا له ثم ارعوى و رجع و استغفر واعتذر!"[1] و لكن أبا العلاء لم يرحل إلى بغداد طالبا للعلم بل رحل إليها من أجل الاطلاع على بعض الكتب و صرح بذلك في إحدى رسائله إذ يقول :" منذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراق و لا شام.. والذي أقدمني تلك البلاد- يريد العراق – مكانُ دار الكتب فيها"[2] ومدح أبو العلاء بغداد لكثرة ما فيها من علم فيقول:" وجدت العلم ببغداد أكثر من الحصى عند جمرة العقبة."[3]

دينه و معتقده:

---

[1]- تعريف القدماء بأبي العلاء : 31 .
[2]- رسائل أبي العلاء (طبع مرجليون) :ص :32.
[3]- نفسه : 30.

لقد كتب الكثيرون عن معتقد المعري و ديانته و ذهب هؤلاء الكتاب إلى رأيين متناقضين فبعضهم يراه زنديقا و ملحدا ويجده آخرون مؤمنا تقيا ورعا.

يقول أحمد تيمور :" و قد تأملت المختلفين فيه فوجدتهم على ثلاثة أقسام : فريق مزندقون يكفرونه و يصبون لكفره، و منهم متفرنجة هذا العصر ومؤمنون يبغضونه لذلك، و فريق يذهبون إلى صحّة إيمانه وربما تغالوا فألحقوه بالأولياء الواصلين ورووا له الكرامات وآخرون متحيّرون أمسكوا عنه و وكّلوا أمره لخالقه."[1]

و دفع "المعرّة عن شيخ المعرّة لمؤلف من الأعيان مجهول و هو أقدم من ابن العديم عصرا نقل عنه ابن الوردي في تاريخه: أن أبا العلاء وجد في اللّزوم متذبذبا حائرا في الدين لكن الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصا ضوء السقط تصلح هذا الفساد و توضح رجوعه إلى الحق وصحّة اعتقاده و الضوء خاتمة كتبه و الأعمال بخواتمها."[2]

فظهر" مصداق قول صاحب ابن العديم: إنّ الذين لقوه و عرفوه وصفوه بكل جميل والذين هتكوا عرضه لم يلقوه و لا عرفوه"[3]

فالمعري وصل بعلمه في الأديان و الفرق الإسلامية و الأخبار والتاريخ والنجوم مبلغا عظيما، و هذا شيء نلمسه بوضوح في آثاره التي وصلت

---

[1]- أبو العلاء المعري ، أحمد تيمور:65.
[2]- مع المعري اللغوي ، إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ،ط1، 1404هـ-1984م : 200.
[3]- المرجع نفسه: 200.

إلينـــا و فـــي غفرانـــه مـــادة جيـــدة عـــن الأديـــان و الفـــرق الاســـلامية.قال ابـــن الجـــوزي عـــن أبـــي زكريـــا أنـــه قـــال:" قـــال لـــي المعـــري: مـــا الـــذي تعتقد؟ فقلت له: ما أنا إلا شاك. فقال و هكذا شيخك"[1]

فقـــد حـــاول أعـــداء أبـــي العـــلاء أن يلتمســـوا لـــه نقصـــا فـــي علمـــه، و اجتهـــدوا ليجـــدوا مطعنـــاً فـــي ســـيرته، فلـــم يجـــدوا. فاتخـــذوا مـــن الـــدين ســـلاحا لمحاربتـــه فتألبو على تكفيره أو رميه بالإلحاد والزندقة..

مـــنهم مـــن ألصـــق بـــالمعري شـــيئا مـــن أقـــوال غيـــره، ليـــتمكن مـــن الطعـــن فيـــه ومـــن هـــؤلاء يـــاقوت، فقـــد أورد أبـــو العـــلاء فـــي (رســـالة الغفـــران) أبياتـــاً لســـمير بن أدكن مطلعها:

يَصُولُ أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا بِدِرَّةٍ رُوَيْدَكَ إِنَّ الحَقَّ يَطْفُو وَ يَرْسُبُ[2]

فقـــال يـــاقوت: «هـــذا يشـــبه أن يكـــون شـــعر المعـــرِّي، قـــد نحلـــه هـــذا اليهـــودي أو أن إيراده واستلذاذه به من أمارات سوء عقيدته و مذهبه" .

و هـــذا خطـــأٌ مـــن يـــاقوت، لأنـــه هـــو أورد هـــذه الأبيـــات، فيجـــوز لقائـــل أن يقـــول: إن إيـــراده الأبيـــات المـــذكورة ســـوء عقيدتـــه و مذهبـــه كمـــا قـــال ذلـــك فـــي أبـــي العـــلاء. و يـــاقوت أحـــد المفـــرطين فـــي التعصـــب علـــى المعـــري ولـــو اســـتطاع

---

[1]- الجامع / 1 : 379.

[2]- رسالة الغفران : 377.

أن يجعل كل أقواله مكفرة لما تأخر.[1] و منهم عبد الوهاب السبكي، فإنه نسب[2] هذين البيتين :

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَ جَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقا

هَذَا الذِي تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَا لِعَالِمِ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقا[3]

إلى أبي العلاء، و قال :" قبحه الله ما أجرأه على الله ! "

و زعم بعض المتعصبين على أبي العلاء أنه خرج ليلة إلى بعض مراقب موسى عليه السلام ورفع رأسه إلى السماء، و قال: يا رب كلمني، فإني أفصح من موسى، قال ذلك مراراً، فلم يجبه أحد، فأنشد هذين البيتين:[4]

لَقَد أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَ لَكِن لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَ لَوْ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ وَ لَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ[5]

و هذا افتراء محض من قائل ذلك، و أمثال هذا كثير في أقوال المتقدمين و المتأخرين ، و هذا الاتهام جاء إما لحسد أو عداء لأبي العلاء.

فقد اتهم كذلك بعدم الثبات على نحلة واحدة فمنهم من نسبه إلى التشيع وبعضهم إلى الاعتزال و آخرون إلى الجبر و البرهمية ثم المزدكية والدرزية و القرمطية و التقية.

---

[1]- الجامع / 1 : 388.

[2]- نسب ذلك في طبقات الشافعية/ 3: 97.

[3]- و هذان البيتان لابن الراوندي، كما ذكر ذلك في معاهد التنصيص: 71.

1- أنظر رسائل أبي العلاء المعري، شاهي عطية:97.(فقد ورد البيت الأول في الفصل الذي كتبه إلى أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي لما استدناه إلى حضرة الأمير عزيز الدولة)-.

[5]- و اليتان هما من نظم عمرو بن عدي كرب و قيل لدريد بن الصمة، كما ذكر ذلك بن نباتة في سرح العيون و شرح رسالة ابن زيدون: (ص231و 327) و الجامع/ :390.

أمـــا رســـالة الغفـــران فقـــد زعمـــوا أنَّ فيهـــا تهكمـــا و اســـتخفافاً. و همـــا مـــن الأمـــور النفســـية الخفيـــة التـــي لا يســـتطيع أحـــد أن يعلمهـــا، إلا إذا أخبـــره بهـــا صـــاحبها. ولـــم ينقـــل عـــن المعـــري أنـــه قـــال: أريـــد برســـالة الغفـــران الـــتهكم والاســـتخفاف. وإذا قيـــل: إن كلامـــه فـــي بعـــض المـــواطن يحتمـــل ذلـــك فنقـــول: إن الاحتمـــال يضـــعف الـــدليل، و يســـقط الاســـتدلال بـــه، و أكثـــر كـــلام النـــاس يحتمـــل مثـــل ذلـــك والتفكيـــر علـــى الاحتمـــال لا قيمـــة لـــه فـــي نظـــر العلم..[1](الجامع/1 :417).

2-1: صفاتُ ابن شهيد الخَلقية و الخُلقية:

لقـد أثّـرت التّربيـة النّاعمـة فـي بنـاء شخصـيّة ابـن شـهيد و فـي طبيعـة تكوينـه النفســي والفكــري و الاجتمــاعي، فجعلتــه منصــرفا لملذاتــه الذاتيــة و أهوائــه الشخصــية، فعــاش حيــاة العبــث و اللّهــو. يقــول ابــن بسّــام: " كــان لقرطبــة فــي رقتــه و براعتــه و ظرفــه خليعُهــا المنهمــكُ فــي بطالتــه و أعجــبُ النّــاس تفاوتــا مــا بــين قولــه و فعلــه، أحطهــم فــي هــوس نفســه و أهــتكهم لعرضــه وأجــرائهم على خلقه"[2].

و قــال عنــه فــي موضــع آخــر:" هــو رجــل غلبــت عليــه البطالــة فلــم يحفــل فــي آثارهــا بضــياع ديــن و لا مــروءة، فحــطّ فــي هــواه شــديدا حتــى أســقط شــرفه

---

[1]- الجامع في أخبار أبي العلاء/ 1 : 417.

[2]- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، 1395هـ، 1/1 :50.

ووهِـم نفســه راضــيا فــي ذلــك بمــا يلــذه فلــم يقصــر عــن مصــيبة و لا ارتكــاب قبيحة."[1]

و قــال الحجــاري فــي وصــفه:" كــان ألــزم للكــأس مــن الأطيــار بالأغصــان وأولع بها من خيال الواصل بالهجران."[2]

فــابن شــهيد كــان همــه فــي الحيــاة أن يعــيش، و العــيش فــي عُرفــه هــو مجموعــة مــن الحســن والخمــر و الأدب، فالحيــاة عنــده وجــه صــبيح، أو كــأس مترعــة أو رســالة أنيقــة فــإن خلــت الــدّنيا مــن بعــض ذلــك فهــي لغــو وفضــول، و عــيش الأديب فيها عبءٌ ثقيل"[3] فهكذا عاش ابن شهيد عبداً لشهوته و لذته.

كمــا عُــرف ابــن شُــهيد بــالكرم و بســط اليمــين فــي الجُــود و بــذل العطــاء للمحتــاجين فقــد كــان عنــد أهــل قُرطبــة " قصــص مشــهورة عــن جُــوده وســخائه تلحــق بالأســاطير"[4]، و ذكــر ابــن حيّــان " أن أبــا عــامر كــان لــه فــي الكــرم والجُود انهماك مع شرف و بطالة حتى شارف الإملاق."[5]

و كــان ابــن شُــهيد يُفــاخر بأُســرته و مجــد أجــداده، و كــان فــي أكثــر الأحيــان يعتــز بنســبه يقــول مخاطبــا نفســه :" ثكلتــك المكــارم يــا بــن الأكــارم ! ألســت

---

[1]- المصدر نفسه1/1 :193.
[2]- المُغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي/1 :85.
[3]- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، إحسان عباس : 369.
[4]- المرجع نفسه : 263.
[5]- الذخيرة 1/1 : 193.

مـــن أشـــجع فـــي العـــلا ومـــن شـــهيد فـــي الـــذرى"[1]. و مصـــدر افتخـــاره أمـــران: نسبه الشهيدي والأشجعي[2] وفي هذا الشأن يقول:

من شُهيد في سرّها [3] ثم من أشـ جع في السرّ من لباب اللّباب[4]

و الأمـــر الثّـــاني هـــو اقتـــداره علـــى النّثـــر و الشّـــعر ممّـــا جعلـــه يـــرى كـــلّ معاصريه وكثيرا من غير معاصريه دونه"[5]

و قـــد قـــال لـــه أصـــحابه ذات مـــرة: "إنـــك لآت بالعجائـــب وجـــاذب بـــذوائب الغرائب ولكنك شديد الإعجاب بما يأتي منك"[6]

وكـــان حصـــيف الـــرّأي صـــادق المشـــورة، يقـــول ابـــن حيّـــان:" و كـــان مـــع ذلـــك مـــن أصـــحّ النّـــاس رأيـــا لمـــن استشـــاره، و أضـــلّهم عنـــه فـــي ذاتـــه، و أشـــدّهم جناية على حاله"[7]

و هـــذا دليـــل علـــى أنـــه كـــان رجـــلا حكيمـــا يستشـــيره النـــاس فـــي أمـــورهم وقـــول ابـــن حيّـــان إنـــه أضـــلهم عنـــه يريـــد بـــذلك أنـــه ناصـــح لغيـــره مقصّـــر فـــي حـــق نفسه.

و كـــان أبـــو عـــامر يحـــب قرطبـــة جبّـــا جمّـــا؛ لأنهـــا "مســـقط رأســـه و مرتـــع صـــباه ومـــوطن ذكرياتـــه و قيـــل إنـــه لـــم يفارقهـــا إلا مـــرّة واحـــدة و عـــاد إليهـــا وحتـــى

---

[1]- المصدر نفسه : 1/1 : 230.
[2]- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : 264.
[3]- السر : الأصل و محض النسب و أفضله (لسان العرب، ابن منظور/3 :275.)
[4]- ديوان ابن شهيد و رسائله ، محي الدين ديب ، المكتبة العصرية ، ط1، صيدا ، بيروت ، 1417هـ، 1997 م : 57.
[5]- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : 264
[6]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني /4 :72.
[7]- الذخيرة 1/1 : 193.

بعد الفتنة و بعد أن صارت خرابا ظلّ ابن شهيد متمسّكا بحبّه لها"[1]

ويسميها العجوز البخراء[2] و يقول في ذلك:

عجوزٌ لعمرُ الصِّبا فانية لها في الحشا صورة الغانيهْ

زنت بالرّجال على سِنِّها فيا حبّذا هي من زانيهْ

تريك العقولَ على ضعفها تُدارُ كما دارت السَّانِيهْ[3]

فقد عُنِيَتْ بهواها الحُلو مُ فهي براحتها عَانِيهْ

تَقَاصَر عن طَوْلِهَا قَوْنَكَه[4] و تُبعد عن غُنْجِها دانيهْ[5]

تردّيت من حزن عيشي بها غراما فيا طُولَ أَحْزَانِيهْ[6]

فابن شهيد أحبّ قُرطبة و هذا الحب جعله لا يقبل دونها بديلا و إن أصابتها الفتن وطالت فيها الأحزان.

فإذا ما أجرينا مُوازنة بين الرّجلين وجدناهما مُتقاربين مُتباعدين يتقاربان في أمور و يتباعدان في أخرى، و هذا التقارب نجده في العاهة، إذ إنّ كليهما عانى منها؛ فالمعرّي عانى من العمى و ابن شهيد من الصمّ فالأول عاهته دفعته إلى العُزلة والثاني جعلته يترفع على نظرائه و يُسيئ

---

[1]- ابن شهيد و جهوده في النقد ، عبد الله سالم المعطاني:49-50.

[2]- البخراء : ذات رائحة نتنة (ابن منظور، لسان العرب/1 :1695مادة بخرا)

[3]- السانية: الناقة يستقى علها من البئر (ديوان ابن شهيد و رسائله : 139).

[4]- قونكه : مدينة بالأندلس من أعمال شنتمرية (ياقوت حموي/4 :)415.

[5]- دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا (المصدر نفسه / 2 : 434).

[6]- ديوان ابن شهيد و رسائله ، محي الدين ديب : 138-139.

الظّــن بهــم فكلاهمــا شــكلّت عنــده تلــك العاهــة عقــدة نفســية ولكــن الاخــتلاف كان في التعامل معها و هذا حسب الشخصيّة و القُدرة على المُواجهة.

فــالمعرّي اكتفــى بــالهرب و العزلــة، أمّــا ابــن شُــهيد فعــاش كــلّ حياتــه، وعلــى الــرّغم مــن عاهتــه، طامحــا إلــى الــوزارة ؛ فعاهتــه لــم تُحبطــه بــل كانــت لــه حافزا.

أمّــا الاخــتلاف فــيكمن فــي أنّ ابــن شُــهيد نقــيض المعــرّي فــي أشــياء، إذ إنّ المعــرّي عــاش حياتــه كلّهــا زاهــدا، فلــم يتــزوج، و حــرّم علــى نفســه أكــل اللّحوم وكان يصوم الدّهر و لم يلبس إلا الخشن من الثيّاب.

أمــا ابــن شُــهيد فعــاش حيــاة تــرف و بــذخ و اعتــاد اللّهــو و الخُــيلاء فــي الملــبس والمأكل.

و المعــرّي كــان شــديد التواضــع أمــا ابــن شُــهيد فكــان كثيــر التّفــاخر، و الأول كــان لا يتكســب بشــعره و يُنكــر ذلــك علــى فاعلــه، أمــا الثــاني فعــاش بالتكســب وبخاصّة في ظل الفتن و تغير الحكّام و الولاة.

1-2 أسرة المعرّي :

لقد كانت أسرة المعري ذات وجاهة و صلاح ، و قد كان آل أبيه يتوارثون القضاء في بلده و يعيشون بين الناس كما يعيش العلماء وكانت ميزتهم الهيبة و المروءة والتعفف..[1]

فقد وُلي جده سليمان بن داود قضاء المعرّة و حمص، و عرف بالفضل وكرم النفس ، و حين توفي خلفه ابنه أبو بكر محمد بن سليمان عم أبي العلاء و قد قصده الشعراء بالمدح.. و لما مات ولي القضاء بعده أخوه عبد الله بن سليمان والد أبي العلاء المتوفى سنة سبع و سبعين و ثلاثمئة و له غير أبي العلاء، أبو المجد محمد بن عبد الله ، و أبو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله و كانا شاعرين...[2]

و قد كان أكثر أفراد أسرة أبي العلاء يقرضون الشعر و يجيدونه فقد كان أبوه وأخواه شعراء وكذلك من جاء بعدهم من أبنائهم.[3]

2-2 اسمُه و لقبُه :

---

[1]- ينظر رجعة أبي العلاء ، عباس محمود العقاد :22.

[2]- ينظر معجم الأدباء ، ياقوت الحموي :

[3]- ينظر المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين (أبو العلاء المعري- /10 :)118.

هو "أبو العلاء بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة."[1] وهو المعروف بساطع الجمال ، رهين المحبسين.[2]

ينتهي نسبهُ إلى قضاعة ، و هي قبيلةٌ متشعبة كان لها شأن في الجاهليّة والإسلام و البعض يصلها بمعد بن عدنان؛ و بعضهم يرتقي بها إلى يَعرُب بن قحطان.[3]

وأما اللّفظ الذي اختاره لنفسه و كان يحب أن يدعى به فهو " رهين المحبسين " فقد كره كنية أبي العلاء و رأى من الظلم أن يضاف إلى التصعيد و العلو و إنما العدل أن يضاف إلى السقوط والهبوط [4] يقول :

دُعيتُ أبا العلاء و ذاك مِيْنٌ و لكنّ الصّحيح أبا النُّزُول[5]

و الملاحظُ من هذا أنّ أبا العلاء ، على الرّغم من علمه و ذكائه و حظّه من أُسرته فإنه كان شديد الحساسية من شكله الذي سبّب له عُقدة جعلته يحط من قدر نفسه ويزدريها.

---

[1]- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان /1 : 113.
[2]- المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين /10 : 121.
[3]- ينظر النظرة الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين :11.
[4]- ينظر المجموعة الكاملة ، طه حسين /10 :121-122.
[5]- اللزوميات :

و قد سميّ " رهن المحبسين " بعد رجوعه من بغداد و اعتزاله النّاس وأراد بالمحبسين منزلهُ الذي احتجب فيه ، و ذهاب بصره..[1]

2-3 نسبه من أُمِّه:

لم يقف المتقدمون على تفصيل لأسرة أم أبي العلاء إلاَّ ما قاله ابن العديم[2]:" أن أمه بنت محمد بن سَبيكة ، و أظن أن أباها من أهل حلب و خاله علي بن محمد بن سَبيكة الذي يقول فيه:

أرانا يا علي و إِن أقمنا نشاطرك الصبابة و السُّهادا[3]

و يقول أيضا:

كأن بني سَبيكة فَوْقَ طَيْرٍ يَجُوبُونَ الغَوَائِرَ و النِّجَادا

2-4 شكلـــه :

نقل ابن العديم عن ابن منقذ أنه رأى أبا العلاء و هو صبي دون البلوغ وأنه وصفه فقال: «وهو صبي دميم الخلقة مجدور الوجه، على عينيه

[1]- المجموعة الكاملة ، طه حسين /10 : 122
[2]- تعريف القدماء بأبي العلاء: 511.
[3]- شروح سقط الزند / 2 : 771.

بيـاض مـن أثـر الجـذري كأنـه ينظـر بإحـدى عينيـه قلـيلا، و ظـل موسـوما بهـذه السمة إلى آخر حياته."[1]

و مـن تتبـع شـعر أبـي العـلاء الـذي يعـرض فيـه لـذكر الجـدري و العمـى يجـده مغمـوراً بـالألم الشـديد والحـزن العميـق طافحـاً بالحسـرات والزفـرات. و هـذا يـدل علـى أن لهمـا فـي نفسـه أشـد وقـع و أمضـى أثـر.[2] مـن ذلـك قولـه فـي ذَمِّ الخمر:

أَضَرُّ مِنْ جُدَرِيٍّ شَانَ حَامِلُهُ بِحَمْلِهِ جُدَرِيٌّ جَاءَ مِنْ جَدَرَ

و قوله :

الحَظُّ لِي وَ لِأَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمِ أَن لاَ يَرَانِي أخرى الدَّهْرِ أَصْحَابِي[3]

وَ شِقْوَةٌ غَشِيَتْ وَجهي بِنَظْرَتِهِ أَبَـرُّ بِي مِنْ نَعِيمٍ جَرَّ إِشْحَابِي[4]

و قوله:

وَ كَيْفَ أَرَجِّى مِن زَمَانِي زِيادة وَ قَدْ حَذَفَ الأَصْلِيَّ الزَّوَائِدِ[5]

2-5 تربيتهُ و تعليمه :

لقـد كانـت عـادة أهـل الشّـام و العـراق و الـبلاد التـي غلبـت فيهـا اللّغـة العربيّـة فـي عهـد أبـي العـلاء أن يبـدأ النّاشـئُة فيهـا بـدرس علـوم اللّسـان والـدّين ، فـإذا

---

[1]- تعريف القدماء بأبي العلاء:514.
[2]- الجامع في أخبار أبي العلاء المعري و آثاره: 67.
[3]- اللزوميات : 149.
[4]- نفسه : 49.

[5]- اللزوميات: 105.

بلغوا منها ما أرادوا انتقلوا إلى درس ما أحبوا من العلوم العقلية والفلسفية.

و كانت دراسة أبي العلاء الأولى صالحة نافعة، يمدّها طبع جيّد و قلبٌ ذكيٌ واستعدادٌ للعلم موروث ، و يزيد نفعها أن أستاذه هو أبوه المحب له والحريص عليه.

و قد اتّفق المُؤرخون على أنّه بدأ قرض الشّعر في سنّ الحادية عشرة وكانت له رحلةٌ إلى حلب ليسمع اللّغة و الآداب من علمائها الذين شهدوا بن خالويه وأخذوا عنه و فيهم محمد بن عبد الله بن سعد.[1]

لقد أنفق المعريّ حياته كُلها في درس الأدب ، و كان للأمم الإسلامية الأخرى حظٌ وافرٌ في تكوين مزاجه العلمي و الفلسفي؛ و لا سيما أن بلاد الشّام إبّان الفتح الإسلامي ، كانت مزدحمة بالشّعوب المختلفة من الآراميين و النّبط والعبرانيين و الرّوم..[2]؛ كما أنه كان شديد الذّكاء وذا حافظة قوية و مُوسعا في شتّى العُلوم.

كما كان ابن شُهيد تلميذا لقاسم بن أصبغ و وهب بن مسرة، و كان خطيبا وشاعراً و صديقا للمنصور بن أبي عامر.

---

[1]- المجموعة الكاملة ، طه حسين /10 :126.

[2]- ينظر النظرية الخلقية : 12.

و قد كتب تاريخا في أكثر من مائة جزء، جعله على طريقة الحوليات روى فيه الحوادث سنةً سَنَةً، من عام أربعين للهجرة- أي من وفاة علي بن أبي طالب- إلى أَيَّامه.[1]

2-6 مولده و وفاته:

كانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشّمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث و ستّين وثلاثمئة بالمعرّة [2]

وتوفّي يوم الجمعة ثالث- و قيل ثاني شهر ربيع الأوّل، و قيل: ثالث عشر سنة تسع و أربعمائة بالمعرّة.

و أوصى أن يكتب على قبره:

هذا جَناهُ أبي عليّ و ما جنيتُ على أحد

و هو متعلق باعتقاد الحكماء، فإنَّهم يقولون: إيجاد الولد و إخراجه إلى هذا العالم جناية عليه لأنه يتعرض للحوادث و الآفات.[3]

و قال في الفصول و الغايات:" أُوصِيكُم إِن نفعت الوَصَاة، إِذَا أشفيتُ على موردِ جُرْهُم و عادٍ، أَلاَّ يَلِجَ عَلَيَّ آسٍ، و لا يكثُر حوليَ العُوَّادُ، ولا تَبْكِيَنَّ عِندي بَاكية ولا يُحِسَّ نَادِبِي في النُّدَابِ"[1]

---

[1]- تاريخ الفكر الأندلسي أنجل جنثالت ياليثيا.حسن مؤنس،ط1 مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1928، ص 207.
[2]- وفيات الأعيان /1 : 113.

[3]- المصدر السابق: /1 :114.

3- ابن شهيد الأندلسي :

3-1 اسمُه و لقبه :

هُو" أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شُهيد الأشجعيّ الأندلسّي القرطبي هو من ولد الوضاح بن رزاح ، الذي كان مع الضّحّاكِ بن قيس الفهري يوم مرج راهط[2]، وهذا الوضاح هو جد بني وضاح ، من أهل مرسية و إليه ينتسبون ، فبنو وضاح من أشجع ، من قيس عيلان بن مضر، و قد أُسر الوضاح بن رزاح في يوم المرج ومَنَّ عليه مروان بن الحكم."[3]

و قد نشأ ابن شهيد نشأة مترفة في قصر أبيه الوزير عبد الملك ، و شهد عز أبيه في ظل العامريين بل فتنة مجد العامريين و ثراءُهم وقصورهم، وكان طفلا شديد الحساسية فانطبعت في ذاكرته منذ الصغر ذكريات لم تنطمس نلمس فيها الثورة الخبيئة على أبيه والتشوق إلى الثراء و حب الظهور واستشعار السِّيادة في ذلك الدور المبكر من حياته."[4]

---

[1]- الفصول و الغايات:79.

3- معركة حدثت بين الضحاك بن قيس الفهري الذي كان قائد جيوش عبد الله بن الزبير و بين مروان بن الحكم و هي المعركة الحاسمة التي استعاد فيها بنوا أمية ملكهم من جديد و هُزم فيها الضحاك ، و جيئ برأسه أمام مروان بن الحكم فساءه ذلك (ينظر تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك) أبو جعفر بن جرير الطبري/3 :380-381.

[3]- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، للضبي/ 1 : 238.

[4]- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : 245.

و يـذكر لابنـه عبـد الملـك المظفـر يـدا عليـه و هـو ابـن ثمـاني سـنوات والمظفـر يومئـذ ولـيٌ للعهـد، لأن المنصـور تـوفي سـنة 392هـ (1002م) و أبـو عـامر بـن شُـهيد فـي نحـو العاشـرة مـن عمـره. و ذلـك أن والـده أبـا مـروان زهـد فـي الـدنيا وتنسـك، و نظـر إلـى الآخـرة بعـد إبلالـه مـن مـرض ألـمَّ بـه، فأشـاح بوجهـه عـن الجـاه و الشـهوات و همـا مـلء راحتيـه. و بـدا لـه أن يَصُـدَّ ولـده عـن مشـارع الحيـاة العذبـة، فحلـق لـه لمتـه، ونـزع عنـه ثيابـه الحريريـة وألبسه مدارع الكتان.

و حملـه علـى التقشـف و شـظف العـيش؛ فضـاق الصـبي ذرعـا بخطـة أكـره عليهـا، " و كانـت أفـدح نازلـة نزلـت بصـبوته وأقلـق حادثـة سـلبت رونـق بهجتـه." علـى حـد تعبيـره. فـذات يـوم زارهـم الـوزير ابـن مسـلمة يعـود والـده فسـأله عـن حالـه فكـان جوابـه نشـيجا و عـويلاً، فلمـا رجـع أخبـر المظفـر خبـره فاسـتقدمه إليـه، و أمـر بـه فـألبس ثيـاب الحريـر، و ضُـمِّخَ بالطيـب وحملـه علـى فـرس كـريم، و أتبـع ذلـك ألـف دينـار فـي طبـق، و عقـد لـه علـى الشـرطة لكي لا يجعل لأبيه سبيلا عليه، فكانت لسنه أرفع خطة كما يقول.

و لبـث أبـو عـامر متصـلا بـالمظفر بعـد وفـاة أبيـه المنصـور و انتقـال الأمـر إليه (392هـ).

<u>أُسرتُـــه</u> :

لقـد كانـت أسـرة بنـي شُـهيد مـن أشـهر الأسـر الأندلسـية و أكبرهـا فـي عصـر سـيَادة قرطبـة، وقـد تصـرف أفرادهـا لخلفـاء بنـي أميّـة فـي "الخطـط السّـنية

مـــن الحجابـــة ، مـــن الإمـــارة والـــوزارة والكتابـــة إلـــى انقـــراض الدّولـــة الأمويّـــة بالأندلس "[1]

و كـــان جـــدُّ أبـــي عـــامر" أحمـــد بـــن عبـــد الملـــك"[2] وزيـــر الخليفـــة الأمـــوي "عبـــد الرحمن الناصر"[3] و أول من تسمى بذي الوزارتين في الأندلس.[4]

و كـــان " عبـــد الملـــك أبـــو مـــروان"[5] ، والـــد أبـــي عـــامر ، مـــن شـــيوخ الـــوزراء فـــي الدّولـــة العامريـــة مقرّبـــا عنـــد " المنصـــور بـــن أبـــي عـــامر"[6] و قـــد اســـتعمله المنصـــور واليـــا علـــى الجهـــات الشـــرقية جهـــات بلنســـية وتُـــدمير فبقـــي هنالـــك تســـعة أعـــوام ، ثـــمّ ســـئم العمـــل فكتـــب إلـــى المنصـــور بإعفائـــه مـــن الخدمـــة ، وقـــد أعفاه حسب رغبته ، فعاد إلى قرطبة و قد أثرى.[7]

" و فـــي قرطبـــة أصـــبح أبـــو مـــروان مـــن نُـــدماء المنصـــور و مستشـــاريه[8].

وكـــان مـــن النّاحيـــة الثّقافيـــة " كثيـــر الاهتمـــام بالتـــاريخ و الخبـــر و اللّغـــة والأشـــعار، مـــع ســـعة روايتـــه للحـــديث و الآثـــار... وقـــد بقـــي فـــي شـــيخوخته قـــويّ الشّـــهوات منطلـــق الـــنّفس وراء لذّاتـــه إلاّ أنـــه نســـك فـــي أخريـــات أيامـــه

1- الحلة السيراء ، ابن الأبار /1 : 238.

2- هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد من أهل الأدب البارع ، له قوة في البديهة (بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس/1 : 237.

3- هو عبد الرحمن بن محمد ، تسمى بأمير المؤمنين ، تلقب بالناصر لدين الله ، و كان يكنى أبا المطرق ، اتصلت ولايته إلى أن مات في در رمضان سنة خمسين و ثلاثمئة (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس /الحميدي :18)

4- ينظر الحلة السيراء ، ابن الأبار /1 : 238.

1- هو عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ، أبو مروان سيخ من شيوخ الوزراء في الدولة العامرية... و كان أهل الأدب و الشعر (جذوة المقتبس : 248.)

2- هو محمد بن أبي عامر،أبو عامر أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد ، و كان أصله فيما يقال من الجزيرة الخضراء ، و له بها قدرة و أبوة ، وورد شابا إلى قرطبة، فطلب العلم و الأدب ، و سمع الحديث، و تميز في ذلك ، و كانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور و يزيد في ذلك :(جذوة المقتبس 69-70).

3- ينظر تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة :244.

8- المرجع نفسه : 245

وعـزف عـن الـدنيا إلـى أن أدركتـه منيّتـه مـن ذبحـة أصـابته ، و قبُيـل وفاتـه كـان المنصـور قـد نقلـه مـن مُنْيَـةِ المغيـرة إلـى منيـة النّعمـان ليكـون قريبـا منه.[1]

3-3علمـه:

وهـذا الشـخص المتـرف الـذي سـاق حياتـه فـي اللهـو و الخلاعـة كـان مثقفـا ثقافـة واسـعة ملمـا بمعـارف عصـره، فقـد ذكـر فـي إحـدى رسـائله أنـه درس ضـروب العلـم المختلفـة مـن أدب و خبـر و فقـه وطـب وصـنعة و حكمـة[2].

يقول ياقوت :" كان له من علم الطب نصيب وافر"[3].

علـى أن الجانـب الـذي تميـز بـه هـو الجانـب الأدبـي كونـه شـاعراً و كاتبـاً. يقـول صـاحب المطمـح فيـه :" عـالم بأقسـام البلاغـة و معانيهـا، حـائز قصـب السـبق فيهـا، لا يشـبهه أحـد مـن أهـل زمانـه، و لا ينسـق مـا نسـق مـن دُرِّ البيـان وجُمانـه توغـل فـي شـعاب البلاغـة و طرقهـا، و أخـذ علـى متعاطيهـا مـا بـين مغربهـا ومشـرقها، لا يقاومـه عمـرو بـن بحـر، و لا تـراه يغتـرق إلا مـن بحر[4]"

4-3 اللغـــــــة :

---

[1]- الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، ابن بشكوال /2 : 521.
[2]- الذخيرة/1/1 : 186.
[3]- معجم الأدباء/ 3 : 223.
[4]- مطمح الأنفس ، ابن خاقان :16.

كما كان يكثر من المبالغات و التهويلات و الأمثال و الاقتباس من القرآن الكريم[1] إلا أنه لم يعنَ بتعقيدات زخارف البديع جملة.

لقد انكبّ ابن شهيد على العلم و الأدب ، و نهل من مناهل الشّعر والنّثر حتى ثارت في نفسه ملكة التّذوق و النّقد ، ساعده في ذلك سُرعة البديهة ونبوغ الموهبة ، و صفاء الذهن وتوقد القريحة ، فأبدع في النَّظم ، وأجاد في التأليف والنَّقد ، و عجب ابن حيّان من قدرته الأدبية النّافذة فقال : " والعجب منه أنه كان يدعو قريحته إلى ما يشاء من نثره و نظمه في بديهته ورويته فيقود الكلام كما يريد من غير اقتناء للكتب و لا اعتناء بالطَّلب ولا رسوخ في الأدب، فإنه لم يوجد له – رحمه الله – فيما بلغني بعد موته كتاب يستعين به على صناعته ويشحذ من طبعه إلاّ ما لا قدر له فزاد ذلك في عجائبه ، و إعجاز بدائعه ، وكان في تنميق الهزل والنادرة الحارّة أقدر منه على سائر ذلك ، و شعره حسن عند أهل النّقد، تصرف فيه تصرف المطبوعين فلم يقصِّر عن غايتهم.

و له رسائل كثيرة في فنون الفُكاهة ، و أنواع التعريض و الأهزال قِصارٌ وطِوال ، برز فيها شأوه ، و بقاؤها في النّاس خالدة بعده ، وكان في سُرعة البديهة و حضور الجواب و حِدّته ، مع رقة حواشي كلامه

[1]- الذخيرة1 / 1: 191.171-193.

وسهولة ألفاظه وبراعة أوصافه و نزاهة شمائله و خلائقه، آية من آيات الله خالقه."[1]

و يقول عنه بن دحية :" و أبو عامر هذا أرسخ أهل الأندلس قاطبة بالأدب يَنْسِل إليه من كل حدب ، و لم ير لنفسه في البلاغة أحدا يجاريه ، ويساجله في جميع العلوم و يُباريه."[2]

3-5 مولده ووفاته :

ولد أبو عامر بن شهيد بقرطبة عام اثنين و ثمانين و ثلاثمئة للهجرة[3] وتوفي يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى من سنة سِتٍ و عشرين وأربعمئة و هي السنة التي قتل فيها المعتلي، و كان في الرابعة والأربعين من عمره.[4]

3-6 مرضته الأخيرة :

و لا نحسب أنه هجر قرطبة طويلاً، لأنه لم يكن يطيق الابتعاد عن ملاهيها ولذاتها، فجميع أخباره و أشعاره صادرة عنها، و إن لم يبلغ إلينا منها ما يطلعنا على علاقته بالمعتد آخر الخلفاء الأمويين، و لا ما كان من أمره بعد عودة الحكم إلى المعتلي، و إنما نعلم أنه اعتلَّ في آخر عمره فلزمه الدَّاء بضع سنين حتى غلب عليه الفالج في مستهل ذي القعدة من

---

[1]- الذخيرة 1/1 : 192.
[2]- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس /4 :133.
[3]- ديوان ابن شهيد:92.
[4]- رسالة التوابع و الزوابع: 20.

سنة 425هـ وذلك نتيجة انغماسه في حياة الراحة والترف، و إطلاقه العنان لشهوات النفس، و إدمانه مجالس الشراب وإجهاده الفكر والأعصاب في النظم والتأليف. و لكنه لم ينقطع عن الحركة أصلاً، فكان يمشي إلى حاجته معتمدا على عصا أو على إنسان، إلى قبل وفاته بعشرين يوما، فإنه صار يُنقل في المحفة، و لا يحتمل أن يُحرَّك لعظيم الأوجاع مع شدة ضغط الأنفاس، وعدم الصبر حتى همَّ بقتل نفسه، وفي ذلك يقول:

أنوح على نفسي و أندب نُبلها إذا أنا في الضَّرَّاء أزمعتُ قَتْلَهَا

رضيت قضاء الله في كل حالة عليَّ و أحكاما تيقَّنتُ عَدْلهَاَ

أظلُّ قعيد الدار تجنُبني العصا على ضعف ساقٍ أَوْهَنَ السُّقْم رِجْلَهَا

و مع ذلك لم يعطَّل لسانه، و لا انقطع عن قول الشعر، فكان يراسل به أصدقاءه من الوزراء و الأدباء.

قال ابن بسّام:" و لم يشهد على قبر أحد ما شُهد على قبره، من البكاء والعويل وأنشد على قبره من المراثي جملة موفورة لطوائف كثيرة."[1]

و قد أوصى أن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزّجالي و أن يكتب على قبره في لوح رخام هذا النثر و النظم :" بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون : هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب مات و هو يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، و أن

---

[1]- المصدرالسابق: 20.

محمـــدا عبـــده ورســـوله، و أن الجنـــة حـــق ، وأن النـــار حـــق ، و أن البعـــث حـــق ، و أن الســـاعة آتيـــة لا ريـــب فيهـــا ، و أن الله يبعـــث مـــن فـــي القبـــور مـــات فـــي شهر كذا من عام كذا:

يا صاحبي ، قُم فقد أَطلنا أنحْنُ ، طولَ المَدى ، هُجودُ؟

فقال لي : لن نَقُومَ منها ما دام مِنْ فوقِنا الصَّعيدُ

تَذَكَّرْ كم ليلة لَهَوْنَا فِي ظِلِّهَا، و الزمانُ عيدُ

و كم سُرُور هَمى علينـا سحابة ثَـرَّةً تجـودُ

كلٌّ ، كأن لم يكن ، تَقضَّى و شؤمُه حَاضِرٌ عتيدُ

حَصَّله كاتـبٌ حفيـظٌ، و ضَمَّهُ صادق شهيدُ

ياويلـــنا إن تَنَكَّبتـنَا رحمة من بَطْشُهُ شديدُ

ياربِّ عفـوًا ، فأنت مولىً قصَّر في أمرك العبيدُ"[1]

إن لعامـــل البيئـــة و الوراثـــة دورا أساســـاً فـــي تحديـــد ســـلوك الفـــرد و طبيعـــة ســـماته فتـــأثير عامـــل البيئـــة " يختلـــف بـــين الأفـــراد تبعـــا لاخـــتلاف اســـتعداداتهم الوراثيـــة كمـــا أن تـــأثير عامـــل الوراثـــة يختلـــف بـــين الأفـــراد تبعـــا لاخـــتلاف ظـــروف البيئـــة التـــي يعيشـــون فيهـــا وأنـــه مـــن الصـــعب أن نفصـــل فصـــلا تامـــا بين أثر كل من الوراثة و البيئة"[2]

---

[1]- رسالة التوابع و الزوابع : 20.

[2]- ينظر القدرات العقلية في علم النفس ، كامل محمد محمد عويضة : 47-48.

و لهذا نجد أن بيئتي المعري و ابن شهيد، بكل سلبياتها و عامل الوراثة في شخصيتيهما، قد أثمرت في ظل كل تلك المعاناة أديبين ناقدين وشاعرين اتخذا من الأدب متنفسا للتعبير عن الألم النفسي والاجتماعي.

المبحث الثالث : دور معلم اللغة :

لقد كانت هذه القضية التعليمية من أبرز القضايا التي وقف عندها الناقدان فابن شهيد لا يكف عن الإزراء و الحط من المعلمين، فينتقد أسلوبهم في التعليم و طرائقهم في الكتابة، و ما يصدر عنهم من نقد الشعر و نقد النثر.[1]

و قد وقفت بهم صنعتهم التي تقوم على الحفظ في اللغة دون الإبداع في مرتبة وسطى دون الإحسان و دون الإساءة، و السبب راجع إلى فقدانهم الموهبة الفطرية في أدبهم ونقدهم.[2] و لهذا فهم في نظر ابن شهيد ينطوون على حسد للمجيد و حقد على المبدع..[3]

و قد نال ابن شهيد من ابن الإفليلي و هو واحد من المعلمين نيلا عظيما وكان شديدا في الأخذ عليه و نقده، فهو ينظر إلى المعلمين على أنهم مقصرون لا يستطيعون الإحسان لذلك فهو يعرِّض ببعض معلمي قرطبة في قوله:" و قوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو وحفظ كلمات من اللغة يحنون على أكباد غليظة و قلوب كقلوب البعران

---

[1]- ينظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية :299-300.
[2]- الذخيرة 1/1 : 234.
[3]- ينظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : 300.

ويرجعون إلى فطن حمئة و أذهان صدئة، لا منفذ لها في شعاع الرقة ولا مدب لها في أنوار البيان ."[1]

و قد نقل ابن شهيد في موضع آخر قول الجاحظ " إنا إذا اكترينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهما في الشهر، و لو اكترينا من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهم."[2]

فالنحو عند ابن شهيد وسيلة إلى غاية أخرى هي سلامة التركيب وصحة اللغة وليست هي الغاية في ذاتها كما اعتقد بذلك المعلمون في قرطبة فزعموا أن البيان يتعلم بالنحو واللغة فعلموا التلاميذ ذلك وأوهموهم بأنهم من أرباب الفصاحة، فجاء كلامهم غثا متكلفا خاليا من عناصر البيان الصحيحة.[3]

يقول ابن شهيد موضحا ذلك في مناظرة إوزة من إوز الجن: " فقالت: أيها الغار المغرور، كيف تحكم في الفروع و أنت لا تحكم الأصول؟ ما الذي تحسن؟ قلت: ارتجال شعر، و اقتضاب خطبة على حكم المقترح والنصبة قالت: ليس عن هذا أسألك قلت و لا بغير هذا أجاوبك، قالت: حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال، و أنا إنما أردت بذلك إحسان

---

[1]- الذخيرة 1/1 :208.

[2]- المصدر السابق 1/1 : 198.

[3]- ينظر ابن شهيد و جهوده في النقد الأدبي ، عبد الله سالم المعطاني :90-91.

النحـــو و الغريـــب اللـــذين همـــا أصـــل الكـــلام، و مـــادة البيـــان، قلـــت لا جـــواب عندي غير ما سمعت."[1]

و ابـــن شـــهيد لـــم يكـــن أول مـــن هـــاجم المعلمـــين و انتقـــد طـــريقتهم بـــل ســـبقه إلـــى ذلـــك الجـــاحظ الـــذي ألـــف كتبـــا فـــي هـــذا الشـــأن فـــأخرجهم فـــي صـــورة مثيـــرة للضـــحك والســـخرية ، و لكـــن نقـــد ابـــن شـــهيد يختلـــف عـــن نقـــد الجـــاحظ فـــي كـــون الأول معزوا إلى عوامل شخصية أفرزتها الخصومات والمصادمات.[2]

فنـــرى ابـــن شـــهيد يهـــاجم كـــل المعلمـــين، حتـــى علمـــاء النحـــو المشـــهورين حينمـــا كـــان ينـــاظر صـــاحب ابـــن الإفليلـــي فقـــال:" فطـــارحني كتـــاب الخليـــل. قلـــت: هـــو عنـــدي فـــي زنبيـــل. قـــال: فنـــاظرني علـــى كتـــاب ســـيبويه. قلـــت: خريـــت الهـــرة عندي عليه، و على شرح ابن درستويه..."[3]

و لكنـــه يتراجـــع فـــي موقـــف آخـــر مـــن رســـالته ليقـــيس فصـــاحة العـــرب وكلامهـــا بعمـــل ســـيبويه و طريـــق الفراهيـــدي فـــي قولـــه عنـــدما ســـأله تابعـــة الجـــاحظ عـــن صـــفة كـــلام قومـــه: " فكيـــف كلامهـــم بيـــنهم؟ قلـــت : لـــيس لســـيبويه فيـــه عمـــل ولا للفراهيـــدي إليـــه طريـــق ولا للبيـــان عليـــه ســـمة. إنمـــا هـــي لُكنـــة أعجميـــة يـــؤدون بهـــا المعـــاني تأديـــة المجـــوس والنـــبط فصـــاح. إنـــا لله ، ذهبـــت العـــرب و كلامهـــا !"[4]

---

[1]- رسالة التوابع و الزوابع : 151.
[2]- ينظر ابن شهيد و جهوده في النقد الأدبي، عبد الله سالم المعطاني :91.
[3]- رسالة التوابع و الزوابع : 124. ، ينظر كذلك ديوان بن شهيد : 68.
[4]- رسالة التوابع و الزوابع : 117.

و إذا كنا لا ننفي خصومته لبعض النحاة، و هي التي جعلته ينتقدهم بسخرية لاذعة فإنه أنزه من أن يهاجم علم النحو و هو العلم الذي يعد أساسا من أسس البيان التي لا تتم الفصاحة إلا به.

و نجد المعري أيضا قد نحا نحو ابن شهيد في هذه القضية فقد قسا على المعلمين و جردهم من الغريزة ورماهم بإفساد الشعر بزيادتهم للواو وتشديدهم الثاء من الغثاء في قول امرئ القيس:

و كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل و الغثاء فلكة مغزل

ففي زيادة الواو قال المعري:" لقد أساؤوا الرواية، و إذا فعلوا ذلك فأي فرق يقع بين النظم و النثر، و إنما ذلك شيىء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض، فظنه المتأخرون أصلا في المنظوم و هيهات هيهات."[1]

و في تشديد الثاء يقول :" إن هذا لجهول ، و هو نقيض الذين زادوا الواو في أوائل الأبيات أولئك أرادوا النسق فأفسدوا الوزن، و هذا البائس أراد أن يصحح الزِّنة فأفسد اللفظ."[2]

و نزع المعري إلى حدة ابن شهيد في هجومه على المعلمين إذ نجده يقرع الأصمعي في نسبته البيت:

أرْعَدُوا ساعةً الهياج و أبْرَقْـ نا كما تُوعِدُ الفُحُول الفُحُولا

---

[1]- رسالة الغفران : 314.
[2]- المصدر نفسه : 315.

إلـــى المهلهـــل لأنـــه موَّلـــد إذ لا يقـــال أرعـــد فـــي الوعيـــد، فيقـــول علـــى لســـانه:" إن ذلـــك لخطـــأ وإن هـــذا البيـــت لـــم يقلـــه إلا رجـــل مـــن خـــدم الفصـــاحة إمـــا أنـــا وإمـــا سوا فخذ به، و أعرض عما يقول السفهاء."[1]

كمـــا نقـــد المعـــري أيضـــا مســـلك النحـــاة فـــي تأويـــل النصـــوص رغبـــة فـــي إخضاعها لقواعدهم التي يريدونها مطردة لا استثناء فيها.[2]

و هـو يعبـر عـن بعـض ذلـك فـي حكايـة عـن أبـي علـي الفارسـي الـذي يرويهـا علـى لسـان ابـن القـارح قـائلا : " و كنـت قـد رأيـت فـي المحشـر شـيخا لنـا كـان يـدرس النحـو فـي الـدار العاجلـة ، يعـرف بـ" أبـي علـي الفارسـي" و قـد امتـرس بـه قـوم يطالبونـه، و يقولـون: تأولـت علينـا وظلمتنـا فلمـا رآنـي أشـار إلـيَّ بيـده فجئتـه فـإذا عنـده طبقـة، مـنهم " يزيـد بـن الحكـم الكلابـي" و هـو يقول :ويحك أنشدت عني هذا البيت برفع الماء، يعني قوله :

فليت كفافا كان شرك كله و خيرك عني ما ارتوى الماء موترى

و لم أقل إلا الماء. و كذلك زعمت أني فتحت الميم في قولي:

تبدل خليلا بي، كشكلك شكله فإني خليلا صالحا بك مقتوى

و إنما قلت مقتوى بظمِّ الميم.

و إذا هناك راجز يقول: تأولت علي أني قلت:

---

[1]- المصدر السابق : 355.
[2]- ينظر نثر أبي العلاء المعري ، صلاح رزق :86.

يا إبلي ما ذنبه فتأبيه ؟ ماء رواء و نصي حوليه.

فحركت الياء في [تأبيــه]، و و الله ما فعلت و لا غيري من العرب."[1]

و هكــذا ينتقــد المعــري مســلك النحــويين و تــأويلاتهم التــي أخــرجتهم فــي بعــض الأحيان عن مسلك العرب.

و كــون المعــري حريصــا دائمــا علــى تحقيــق الآراء و المســائل النحويــة والصــرفية جعلــه ينــاقش أبــا ســعيد الســيرافي و يــرد قولــه[2]، كمــا يــتهم ســيبويه بالوهم حينا[3] و بالخطأ آخر.[4]

و ممــا ســبق يتبــين لنــا أن المعــري و ابــن شــهيد لا يثقــان فــي عمــل المعلمــين لافتقــادهم الموهبــة الفطريــة التــي قعــدت بهــم عــن ســلامة الــذوق النقــدي والأدبــي و لكــن يظــل المعــري أكثــر موضــوعية مــن ابــن شــهيد الــذي كــان هجومه على المعلمين لأسباب شخصية أكثر منها موضوعية.

لقــد ارتأينــا فــي هــذا المبحــث أن نــذهب مــع ابــن شــهيد و المعــري إلــى القضــايا التــي تفــرد بهــا كــل منهمــا و البــدء مــع ابــن شــهيد فــي رأيــه فــي الســجع الــذي يبــدو أنــه لا يؤيــده و إنمــا اتخــذه أســلوبا فــي الكتابــة و الســبب راجــع لــذوق عصــره وإعجــاب أهلــه بالســجع؛ و هــذا مــا يوضــحه الحــوار الــذي دار بينــه وبــين تابعــة الجــاحظ فــي قولــه:" فقــال: إنــك لخطيــب وحائــك للكــلام مجيــد، لــو

---

[1]- رسالة الغفران : 254-255.
[2]- ينظر المصدر نفسه:284.
[3]- ينظر نفسه:211.
[4]- ينظر نفسه : 210.

لا أنك مغرى بالسجع فكلامك نظم لا نثر. فقلت في نفسي: قرعك بالله بقارعته، و جاءك بمماثلته. ثم قلت له: ليس هذا أعزك الله، مني جهلا بأمر السجع، و ما في المماثلة و المقابلة من فضل، و لكني عدمت ببلدي فرسان الكلام ودهيت بغباوة أهل الزمان و بالحرا أن أحركهم بالازدواج .

و لو فرشت للكلام فيهم طولقا*، و تحركت لهم حركة مشوا لم، لكان أرفع لي عندهم و أولج في نفوسهم."[1]

و يضيف:" فقال: أهذا على تلك المناظر، و كبر تلك المحابر، و كمال تلك الطياليس؟ قلت: نعم، إنها لحاء الشجر، و ليس ثم ثمر و لا عبق. قال لي : صدقت، إني أراك قد ماثلت معي. قلت: كما سمعت. قال: فكيف كلامهم بينهم؟ قلت: ليس لسيبويه فيه عمل، و لا للفراهيدي * إليه طريق، و لا للبيان عليه سمة. إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط. فصاح: إنا لله، ذهبت العرب و كلامها! ارمهم يا هذا بسجع الكهان فعسى أن ينفعك عندهم، و يطير لك ذكرا فيهم. و ما أراك ، مع ذلك إلا ثقيل الوطأة عليهم، كريه المجيئ إليهم.

فقال الشيخ الذي إلى جانبه، و قد علمت أنه صاحب عبد الحميد، ونفسي مرتقبة إلى ما يكون منه، لا يغرنك منه، أبا عيينة، ما تكلف لك من

***- الطولق : نبات.**
1- رسالة التوابع و الزوابع : 116.
***- الفراهيدي أي الخليل.**
***- صلى : أنثى الفرس في الرهان بعد السابق. الكودن : الفرس الهجين.**

المماثلة إن السجع لطبعه وإن ما أسمعك كلفة. و لو امتد به طلق الكلام و جرت أفراسه في ميدان البيان لصلى كودنه*، و كل برثنه."[1]

و هذا دليل على موقفه السلبي من السجع الذي يرمي فيه أبناء عصره بالجهل لإيثارهم و إيَّاه، لأن هذا يجعل اهتمامهم منصبا على الشكل دون الجوهر.

و أما القضية الأخرى فهي المعارضة التي عدها ابن شهيد سمة من سمات التفوق؛ و أن الشاعر الذي يعارض الشعراء القدماء شاعر مجيد وبارع فقال في تضاعيف ترجمته لعبد الرحمن بن أبي فهد إنه" غزير المادة واسع الصدر، حتى إنه لم يكد يبقي شاعرا جاهليا و لا إسلاميا إلا عارضه وناقضه، و في كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمد لا يني ولا يقصر..."[2]

فقد اتخذ ابن شهيد مذهب المعارضة منافسة و تحديا و إثباتا للذات إزاء شعراء المشرق لا تبعية و تقليد. فقد كان التحدي أحد دوافعه إلى المعارضة لإثبات مقدرته الفنية وتفوقه.[3]

كما أقر ابن شهيد " بتغير العادة حسب تغير الأزمنة، و بأن ما يصلح في عصر ربما لم يبق صالحا في عصر آخر."[4]

---

[1]- رسالة التوابع و الزوابع : 117.
[2]- جذوة المقتبس : 277.
[3]- ينظر استيحاء التراث في الشعر الأندلسي ، إبراهيم منصور محمد الياسين : 115.
[4]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس:482.

فيقـــول :" ألا تـــرى أن الزمـــان لمـــا دار كيـــف أحـــال بعـــض الرســـم الأول فـــي هـــذا الفـــن إلـــى طريقـــة عبـــد الحميـــد و ابـــن المقفـــع و ســـهل بـــن هـــارون وغيـــرهم من أهل البيان ؟

فالصـــنعة معهـــم أفســـح باعـــا و أشـــد ذراعـــا وأنـــور شـــعاعا، لرجحـــان تلـــك العقـــول واتســـاع تلـــك القـــرائح فـــي العلـــوم، ثـــم دار الزمـــان دورانـــا ، فكانـــت إحالـــة أخـــرى إلـــى طريقـــة إبـــراهيم ابـــن العبـــاس و محمـــد بـــن الزيـــات و ابنـــي وهـــب ونظـــرائهم فرقـــت الطبـــاع و خـــف ثقـــل النفـــوس، ثـــم دار الزمـــان فـــاعترى أهلـــه باللطـــائف صـــلف، و برقـــة الكـــلام كلـــف، فكانـــت إحالـــة أخـــرى إلـــى طريقـــة البـــديع و شـــمس المعـــالي و أصـــحابهما؛ و كـــذلك الشـــعراء انتقلـــوا عـــن العـــادة فـــي الصـــنعة بانتقـــال الزمـــان و طلـــب كـــل ذي عصـــر مـــا يجـــوز فيـــه و تهـــش لـــه قلـــوب أهلـــه؛ فكـــان مـــن صـــريع الغـــواني و بشـــار وأبـــي نـــواس و أصـــحابهم فـــي البـــديع مـــا كـــان مـــن اســـتعمال أفانينـــه والزيـــادة فـــي تفريـــع فنونـــه، ثـــم جـــاء أبـــو تمـــام فأســـرف فـــي التجنـــيس و خـــرج عـــن العـــادة وطـــاب ذلـــك منـــه و امتثلـــه النـــاس فكـــل شـــعر اليـــوم لا يكـــون تجنيســـا أو مـــا يشـــبهه تمجـــه الآذان والتوســـط فـــي الأمـــر أعـــدل؛ و لـــذلك فضـــل أهـــل البصـــرة صـــريع الغـــواني علـــى أبـــي تمـــام لأنـــه لـــبس ديباجـــة المحـــدثين علـــى لأمـــة العـــرب، فتركـــب لـــه مـــن الحســـن بينهمـــا ما تركب."[1]

---

[1]- الذخيرة 1/1 : 203.

و مـــن القضـــايا التـــي تفـــرد بهـــا المعـــري قضـــية "الانتحـــال" فـــي الشـــعر ، فقـــد اهـــتم المعـــري بصـــحة نســـبة العمـــل الأدبـــي إلـــى صـــاحبه. و كـــان يســـلك مســـلكا علميـــا دقيقـــا فـــي قبـــول الروايـــة أو رفضـــها، و مـــن ذلـــك الأشـــعار المنســـوبة إلـــى الجـــن أو إلـــى آدم عليـــه الســـلام أو إلـــى الأمـــم البائـــدة كعـــاد و ثمـــود. يقـــول علـــى لســـان ابـــن القـــارح و امـــرئ القـــيس:" أخبرنـــي عـــن هـــذا التســـميط المنســـوب إليك ، أصحيح هو عنك، و ينشده الذي يرويه بعض الناس:

يا صحبنا عرجوا تقف بكم أسج

مهريـة دلـج في سيرها معج

فيقـــول : لا و الله مـــا ســـمعت هـــذا قـــط ، و إنـــه لفـــرى لـــم أســـلكه ، و إن الكـــذب لكثيـــر. و أحســـب هـــذا لـــبعض شـــعراء الإســـلام ، و لقـــد ظلمنـــي و أســـاء إلـــي : أبعد حكمتي التي أولها :

ألا أنعم صاحبا أيها الطلل البالي و هل ينعمن من كان في العصر الخالي

و قـــولي :

خليلي مرا على " أم جندب" لأقضي حاجات الفؤاد المعذب

يقـــال لـــي مثـــل هـــذا ؟ و الرجـــز مـــن أضـــعف الشـــعر، و هـــذا الـــوزن مـــن أضـــعف الرجز"[1]

---

*- أي ابن القارح

1- رسالة الغفران : 230-231.

فـأبو العـلاء يضـع هـذا التسـميط جنبـا إلـى جنـب مـع شـعر امـرئ القـيس أمـام القارئ،و يبين ما بينهما من تفاوت، ليصل بنا إلى نتيجة لا شك فيها.[1]

و مـن النتـائج التـي توصـل إليهـا، باعتمـاد هـذا المـنهج، مـا وصـل إليـه بعـد موازنتـه بـين "عـدي بـن زيـد العبـادي" و " طرفـة بـن العبـد " فـي بيـت مـن الشـعر ينسـب إليهمـا معـا[2]، فيقـول فـي حكمـه عليـه مخاطبـا طرفـة :" و هـو بكلامـك أشـبه" [3] كمـا تطـرق بالنقـد إلـى نظـم " الرجـز" فحـط مـن منزلتـه بـأن جعـل للرجـاز بيوتـا منخفضـة، لـيس لهـا سـموق أبيـات الجنـة؛ فقـال ابـن القـارح حـين مـر بهـا:" لقـد صـدق الحـديث المـروي و إن الرجـز لمـن سفاسف القريض."[4]

و هـذا مـا جعلـه يعيـب قـوافي رؤبـة علـى لسـان ابـن القـارح حـين قـال: " مـا كـان أكلفـك بقـواف ليسـت بالمعجبـة، تصـنع رجـزا علـى الغـين و رجـزا علـى الطاء وعلى الظاء و على غير ذلك من الحروف النافرة."[5]

و يضـيف قـائلا: " لـو شـبك رجـزك و رجـز أبيـك لـم تخـرج منـه قصـيدة مستحسنة، و قد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق."[6]

---

[1]- ينظر ، نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 85.
[2]- ينظر نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 85.
[3]- رسالة الغفران : 251.
[4]- نفسه : 373-377.
[5]- نفسه : 375.
[6]- المصدر السابق : 367-368.

كما أن استحسان المعري لأوزان الشعر جعله يعقد لها المجالس فاستساغ الأوزان الغنائية والمجزوءة التي تقاس ألحانها بمقاييس العروض، و من ذلك ما جاء في غفرانه عند ما عقد مجلسا مع قينة وهي تلحن قول المخبل السعدي فيبهره غناؤها فيقول متأثرا: " فلا يمر حرف و لا حركة إلا ويوقع مسرة لو عدلت بمسرات أهل العاجلة منذ خلق الله آدم إلى أن طوى ذريته من الأرض لكانت الزائدة على ذلك."[1]

كما أشار أن الزحاف جائز و ليس بمكروه عند الشعراء الفحول و ذلك في قوله على لسان امرئ القيس:"... و إنما حملهم على التشديد كراهة الزحاف و ليس عندنا بمكروه."[2]

فهذه الرخصة قد أجازها المعري للشعراء الجاهليين المخضرمين لا سيما الفحول منهم لأنهم كانوا في نظره ينظمون أشعارهم على أوزان يدركونها بالغرائز، فإن حدث خلل في الوزن ووقع هؤلاء في الزحاف فلا إنكار عليهم إن لم يفرطوا في ذلك.

و لأن أبا العلاء كان حريصا على ضرورة ترفع الشعر عن كل ما يخل بالأخلاق نجده يذم الأغراض المنحرفة كالتشبيب.[3]

كما استقبح الأبيات التي فيها فحش و مجون ، من ذلك قوله على لسان النابغة الجعدي للأعشى" لحقك أن تكون في الدرك الأسفل من النار ولقد

---

[1]- نفسه : 225.
[2]- نفسه : 315.
[3]- ينظر المصدر السابق في معرض حديثه على لسان النابغة الذبياني:205.

صـلي بهـا مـن هـو خيـر منـك و لـو جـاز الغلـط علـى رب العـزة لقلـت إنـه غلـط بك ألست القائل ؟:

و دخلت إذ نام الرقيـ ـب فبت دون ثيابها

حتى إذا ما استرسلت للنوم بعد لعابها."[1]

ذِكر اللَّفظ و ما يرادفه أو يشابهه:

كمـا نجـد أبـا العـلاء يـذكر المعنـى الواحـد للفـظ، ثـم يُقفِّـي علـى آثـار ذلـك بمرادفاتـه أو مشـابهاته، و لـو علـى سـبيل التقريـب، كمـا تـرى فـي لفـظ الخمـر التـي ذكرهـا فـي رسـالته فـي الصـفحات 32،41،43،46،47،176،177،182،194،159.

فقـد ذكـر مـن مرادفاتهـا " الخـرداذي، و القرقـف، و الفـيهج، و الإسـفنط والقهـوة، و الصـهباء والمُـدام،و أم زنبـق، و الـراح، و الجمهـوري والبخـتج والمنصـف، و الطـلاء، و أم ليلـى، و العقـار و السـبيئة، و الكميـت والصرخدي، و السلاف، و الخرطوم، و العاني، و المعتقة، والشمول".

وزنُ اللَّفظ و اشتقاقه:

و قـد يـذكر اللفـظ، و يبـين وزنـه و اشـتقاقه. مثـال ذلـك قولـه:" و لمـا مـرَ بملطيـة أنكـر وزنهـا، وقـال فَعَلْيَـة، مثـال لـم يـذكر، و إذا حملناهـا علـى التصريف وجب أن تكون باؤها زائدة، لأنَّ قبلها ثلاثة من الأصول.."[2]

---

[1]- رسالة الغفران : 230.

[2]-المصدر السابق:190.

و ذكـــر أيضـــا فـــي الصـــفحة 108 أصـــل إنســـان و اشـــتقاقه و أســـبابه. و قـــال أيضاً:" و إنِّي لَكَارِهٌ قَوْلَكَ:

وَ الخَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ القَسْطَالِ.

أخرجـــت الاســـم إلـــى مثـــال قليـــل، لأنَّ (فعـــلالا. لـــم يجـــئ فـــي غيـــر المضـــاعف وقد حكي: ناقة بها خَزْ قال.أي [بها] ظلع"[1]

و هذه من أمثلة نقده الألفاظ المفردة.

إن الموازنـــة الفنيـــة و النقديـــة بـــين الابـــداعات الأدبيـــة أســـاس قـــام عليـــه النقـــد العربـــي منـــذ القـــدم؛ و هـــو مـــا أســـهم بشـــكل فاعـــل فـــي رقـــي الآداء الفنـــي والأسلوبي عند العرب.

و نحـــن هـــا هنـــا نـــوازن بـــين ناقـــدين لهمـــا بـــاع طويـــل فـــي النقـــد و النثـــر والشـــعر ولكـــن مـــا يهمنـــا فـــي هـــذا الفصـــل هـــو الفكـــرة النقديـــة التـــي شـــغلت كـــلا مـــن ابـــن شـــهيد و أبـــي العـــلاء فـــي تلـــك الفتـــرة؛ فقـــد تنـــاولا عـــددا مـــن القضـــايا النقديـــة وسنلاحظ أن لكل منهما صبغته الخاصة في معالجة تلك القضايا النقدية.

[1]- نفسه: 100.

المبحث الأول: الآراء النقدية بين ابن شهيد و المعري:

1- الشعر بين الوعي و الإلهام:

إن إعجابنا بالنص الشعري يجعلنا نفكر مليا في سرِّ هذا الإبداع أهو منطلق من الذات الشاعرة بكل إمكاناتها الحسية و الذهنية أم إلى قوة خارجية خفية غير إنسية يتلقاها المبتدع كما يتلقى الهبة! و إذا كانت غير ذلك فلماذا ينسب الشعراء فضل إبداعاتهم إلى الجن ؟ و ما هي مواقف ابن شهيد و المعري إزاء هذه القضية و كيف عالجاها ؟

هناك من يؤمن بأن أداة خفية وراء قدرة الشاعر الإبداعية " فأفلاطون رائد هذه النظرية يرى أن الشعراء لا ينطقون بالشعر الرائع إلا غير شاعرين بأنفسهم و أن الإله نفسه هو الذي يكلمنا و يحدثنا بألسنتهم"[1]

و يرى نيتشه أنه " حينما يهبط على الإنسان الإلهام المفاجئ يخيل إليه أنه قد أصبح مجرد واسطة أو أداة لسان حال لقوة عليا فوق الطبيعة فيسمع الإنسان دون أن يتعب ويأخذ دون أن يبحث و يعرف دون أن يتساءل عن المانع وتنبثق لديه الفكرة كأنها برق خاطف دون أدنى تردد و بلا أدنى اختيار."[2]

و لعل هذا ما قصده أيضا أحمد أمين حين أشار إلى أن " للشاعر قوة إلهام لا تكتسب بتعلم وللشاعر نوع غامض من لطف النظر أو الإلهام أو اللقانة

---

[1]- الإبداع الفني ، علي عبد المعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985 م : 43.
[2]- المرجع السابق: 53.

ولعل هذا ما جعل شعراء العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا ينفث فيه الشعر، فيقول أحدهم شيطانه أنثى و شيطاني ذكر."[1]

فمسألة الإلهام هي نفسها فكرة شياطين الشعراء عند العرب، و قد تعددت آراء النقاد في هذه القضية؛ و لعل أفضل من علل هذه النظرة عند العرب ابن حزم الذي رَدَّ ذلك إلى ما ألقى في روعهم من أن الجن مصدر قوة خارقة يعجز الإنس عن القيام بمثلها.[2]

و نذكر كذلك أبا زيد القرشي (-171هـ) الذي سجل من الأخبار والروايات ما تبين هذا الاعتقاد السائد بأن لكل شاعر شيطان ينفث الشعر على لسانه إذ لولا الجن لما نطق الإنس ببيت واحد، و في هذا يروي " أن رجلا أتى الفرزدق فقال: إني قلت شعرا فانظرهُ، قال أنشد فقال :

وَ مِنْهُمْ عَمْرُو المَحْمُودُ نَائِلُهُ كَأَنَّمَا رَأْسُهُ طِينُ الخَوَاتِيمِ

قال: فضحك الفرزدق ثم قال: يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل*، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره و صح كلامه و من انفرد به الهوجل فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت فكان معك الهوبر في أوله فأجدت وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت"[3]

---

[1]- النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، ط4 ، بيروت ، 1387هـ/ 1967م : 86.

[2]- ينظر، ابن شهيد و جهوده في النقد الأدبي ، عبد الله سالم المعطاني : 116.

*- الهوبر و الهوجل: من أسماء الجن.

1- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية،بيروت، ط2،1412هـ-1992م : 72-73

و من هنا نجد أن نشأة هذه الفكرة ربما تعود إلى كون الشاعر يأتيه الشعر في بعض الأحيان عفويا و أحيانا أخرى يستعصي عليه، فلجأ إلى فكرة الشياطين ليفسر هذه الظاهرة التي لم يفهمها.

إن مشاركة شعراء إسلاميين مثل جرير و الفرزدق و الكميت و أبي النجم العجلي وغيرهم إلى ما بعد عصر بشار في الاعتقاد بشياطين الشعراء ليدل على أن الإسلام لم يجتث هذه الفكرة و لم يضعفها في البداية، ذلك أن الإسلام أقر للشعراء بعالم مستقل وميزهم بالإنحياز إلى الخيال- دون أن يسمي ذلك خيالا-، و هذا هو معنى (في كل واد يهيمون)، و بسبب هذا الهيام نفسه تجدهم يقولون أشياء لا يستطيعون تحقيقها. و لكن القرآن أحدث شيئين بالنسبة لنظرية الإلهام: أولهما أنه جعل الإلهام الحق منوطا بمصدر إلهي، و هو إلهام النبوة و إلهام الصالحين من الشعراء الذين يؤيدهم (روح القدس).

أي أنه أكد بطريقة غير مباشرة انتماء إلهام الشعراء (غير الصالحين) إلى عالم الشياطين والثاني أنه جعل لكل إنسان شياطانا يوحي إليه بالباطل و الشر (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) فنزع عن الشعراء ما كانوا يظنون أنفسهم متميزين فيه حين قرن بكل إنسان شيطانه الخاص به و ذكر أبو العلاء المعري أنه جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم حديث معناه أن الإنسان لا يخلو من شيطان موكَّل به.[1]

---

[1]- تاريخ النقد العربي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني إلى الثامن هجري) إحسان عباس :23.

و قد أرجع الجاحظ (-255هـ) نشأة هذه الفكرة إلى " أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة و من انفرد و طالت إقامته في الفلاة والخلاء والبعد عن الأنس استوحش و لا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين، و الوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالتفكير، و الفكر ربما كان من أسباب الوسوسة ، و إذا استوحش الإنسان مثل له الشيئ الصغير في صورة الكبير؛ و ارتاب و تفرق ذهنه فيرى ما لا يرى و يسمع ما لا يسمع و يتوهم الشيء الصغير الحقير على أنه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه و أحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيمانا و نشأ عليه الناشئ و ربي به الطفل فصار أحدهم حين يتوسط الفيافي و تشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس فعند أول وحشة أو فزعة و عند صياح بوم و مجاوبة صدى تجده و قد رأى كل باطل وتوهم كل زور... فيقول في ذلك الشعر على حسب هذه الصفة."[1]

فالجاحظ قد أرجع اعتقاد الشعراء بالشياطين إلى التوهم من كثرة استوحاشهم ووحدتهم. و هذا الاعتقاد بشياطين الشعراء قديم جدا؛ حتى إنهم تخيلوا أن للجن قبائل و بطونا متعددة قياسا على حياتهم التي يعيشونها، فمنهم بنو الشيصبان[2] الذين ذكرهم حسان بن ثابت في قوله :

إِذَا مَا تَرَعْرَعَ فِينَا الغُلاَمُ فَمَا إِنْ يُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَهْ

إِذَا لَمْ يَسُدْ قَبْلَ شَقِّ الإِزَارِ فَذَلِكَ فِينَا الذِي لاَهُوَهْ

---

[1]- الحيوان ، الجاحظ/6 : 249 -250 .

[2]- ينظر ابن شهيد و جهوده في النقد الأدبي ، عبد الله سالم المعطاني : 115 .

وَ لِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ فَطَوْرًا أَقُولُ وَ طَوْرًا هُوَهْ.[1]

و إذا ما حاولنا أن نتبين موقف ابن شهيد من قضية شياطين الشعر، فإننا نرى هذا بداية في مدخل رسالته عندما تحدث عن أن بعض معاصريه استغرب منه هذه العبقرية واتهمه بأن هناك قوى أخرى تساعده فتساءل قائلا:" كيف أوتي الحكم صبيا، و هز بجذع نخلة الكلام فاساقط عليه رطبا جنيا؟ أما أن به شيطانا يهديه، و شيصبانا يأتيه ! و أقسم أن له تابعة تنجده، و زابعة تؤيده ليس هذا في قدرة الإنس، و لا هذا النفس لهذه النفس"[2] فيسوق له ابن شهيد حديثا فيه إجابة عن سؤاله و مبينا قصة اتصاله بعالم الجن و كيف كان له تابعة من الجن يدعى أحدهما زهير بن نمير و الآخر فاتك بن الصقعب يستحضرهما إذا أراد أن ينظم شعرا.[3]

و لكن ابن شهيد فيما يبدو لم يكن يؤمن بفكرة شياطين الشعراء و إنما كان ذكره لها على سبيل الفكاهة و المزاح و لاسيما و أن ابن بسام قال عن رسالة التوابع و الزوابع أنها صدرت عن صاحبها مصدر هزل،[4] وابن شهيد نفسه سماها "شجرة الفكاهة".[5]

" و حين كان الشاعر الأندلسي ابن شهيد يستذكر هذا المعتقد و يحاول أن يستغله لإبراز تفوقه الشعري و النثري بشهادة شياطين الفحول من

---

[1]- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات ، بيروت، 1974 م. /1 :520 .
[2]- رسالة التوابع و الزوابع : 88
[3]- المصدر السابق: 88- 90.
[4]- الذخيرة 1/1 : 245.
[5]- ينظر تاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف و المرابطين- إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1962 : 150.

الشـــعراء الجـــاهليين والإســـلاميين و مشـــاهير كتـــاب الإســـلام كتـــب رســـالة التوابــع و الزوابــع و احــتفظ مــن ســمات ذلــك المعتقــد بــأن شــيطان كــل شــاعر يحمل إسما على النحو الآتي:

الشــاعر	شيطـانــه
امرؤ القيس	عتيبة بن نوفل
طرفة بن العبد	عنتر بن العجلان
قيس بن الخطيم	أبو الخطار
أبو تمام	عتاب بن حبناء
البحتري	طوق بن مالك
أبو نواس	حسين الدنان
المتنبي	حارثة بن المغلّس"[1]

و قــد أضــاف ابــن شــهيد إلــى الفكــرة العامــة إضــافات قليلــة منهــا أنــه مــد الفكــرة بحيــث تشــمل النــاثرين مثــل عبــد الحميــد بــن يحــي و الجــاحظ و بــديع الزمــان وكــان لــه فــي ذلــك غرضــان فهــو نــاثر أيضــا و لــذلك أراد أن يحــرز شــهادات النــاثرين الكبــار، كمــا أراد أن يــدخل فــيهم بعــض كتــاب الأنــدلس مثــل ابــن الإفليلــي و يمســخ رمــوزهم فــي عــالم الشــياطين (علــى نحــو تهكمــي) فيجعــل بعضهم بغلا وبعضهم حمارا و بعضهم إوزة و هكذا..[2]

---

[1]- تاريخ النقد العربي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، إحسان عباس:21.
[2]- المرجع السابق :21.

كـذلك جعـل ابـن شـهيد الجـن قبائـل، كـل قبيلـة تحمـل اسـم قبيلـة مـن الإنـس وجعـل لكـل شـيطان بيئـة خاصـة تماثـل البيئـة التـي كـان يحبهـا صـاحبه فـي ديـار الآدميـين، أي أنـه عمـد إلـى الإلحـاح علـى التطـابق التـام بـين العـالمين الجنـي والإنسـي. و مـع كـل ذلـك فإنـا إذا اسـتثنينا الفصـول التهكميـة التـي أدخلهـا ابـن شـهيد فـي رسـالته نجـد أنـه لـم يضـف شـيئا مهمـا علـى الفكـرة الأصلية و أن خياله كان يقف عند حدود الواقع.[1]

و تعقيبـا علـى مـا قالـه إحسـان عبـاس فإننـا إذا نظرنـا إلـى الرسـالة نظـرة عامـة فإننـا نجـد ابـن شـهيد قـد تطـرق إلـى مجـال لـم يتطـرق إليـه أحـد و هـو مسـاواته بـين الكتـاب و الشـعراء حينمـا جعـل التوابـع لكليهمـا، لأن الاعتقـاد منـذ القـديم أن الشياطين تتصل بالشعراء دون غيرهم.

ومـن المتعـارف عليـه فـي فكـرة الشـياطين أن للشـاعر شـيطانا واحـدا يلهمـه الشـعر و لكـن ابـن شـهيد اختـرق هـذا الانطبـاع و جعـل لنفسـه تـابعتين و همـا زهيـر بـن نميـر الـذي سـار بـه إلـى أرض الجـن و فاتـك بـن الصَّـقْعَبْ الـذي ينشد شعرا جميلا يعجب أدباء الجن.

و موقـف أبـي العـلاء المعـري لـم يبتعـد عمـا قالـه ابـن شـهيد فـرفض هـو أيضـا فكـرة شـياطين الشـعر و كانـت سـبيله فـي هـذا الـرفض أيضـا السـخرية والهـزل فقـال عـن الشـعر أنـه " قـرآن إبلـيس المـارد"[2]. وقـال عنـه أيضـا:" إنمـا هـو

---

[1]- نفسه :21.

[2]- رسالة الغفران : 252.

للجـــان وعلمـــوه ولـــد آدم...لأن إبلـــيس اللعـــين نفثـــه فـــي إقلـــيم العـــرب فتعلمـــه نســـاء و رجال "[1]، مؤكدا بذلك أن للشعر شياطين على لسان غيرهم.

و ذكـــر المعـــري أيضـــا أن ابـــن القـــارح لقـــي شـــيخا مـــن الجـــن اســـمه الخيثعـــور أحـــد بنـــي الشيصـــبان و كنيتـــه أبـــو هـــدرش، و ســـاق حـــديثا دار بينهمـــا حـــول الشـــعر وقلتـــه عنـــد البشـــر و كثرتـــه عنـــد الجـــن فـــي قولـــه:"...و إنمـــا لهـــم خمســـة عشـــر جنســـا مـــن المـــوزون قـــل مـــا يعـــدوها القـــائلون وإن لنـــا لـــلآلاف أوزان مـــا ســـمع بهـــا الإنـــس وإنمـــا كانـــت تخطـــر بهـــم أُطَيْفَـــالٌ منـــا عـــارمون، فتنفـــث إلـــيهم مقـــدار الضُّـــوازة*...ولقد نظمـــت الرجـــز و القصـــيد قبـــل أن يخلـــق الله "آدم" بكـــور* أو كـــورين"[2] ثـــم جعـــل أبـــا هـــدرش ينشـــد ابـــن القـــارح قصـــائد [3] هـــي فـــي الأصل من نظم أبي العلاء.

و الظـــاهر أن أبـــا العـــلاء أراد بـــذكر جنـــة العفاريـــت و الجـــن و أشـــعارهم أن ينقـــد تلـــك الفكـــرة بـــذكر طـــرف مـــن مـــزاعم النـــاس فـــي الجـــن و يبـــين أن مـــا جمعـــه المرزبـــاني فـــي كتابـــه " فـــي أشـــعار الجـــن" هـــذيان لا معتمـــد عليـــه.[4] وفـــي هـــذا دليل على عدم إيمانه بهذه الفكرة.

و عليـــه فـــإن قضـــية شـــياطين الشـــعراء قـــد أخـــذت منحـــى الهـــزل و الدعابـــة عنـــد كـــل مـــن أبـــي العـــلاء و ابـــن شـــهيد، و قـــد اســـتطاعا مـــن خـــلال آرائهمـــا إثبـــات أن

---

[1]- المصدر السابق : 252 .
***- الضوازة بالضم : شظية من السواك.**
***- الكور بفتح فسكون : الدور . و من استعمالاته بهذا المعنى : تكوير الليل و النهار و تكوير العمامة أي لفها أدوارا.**
[2]- رسالة الغفران :291.
[3]- نفسه : 294-304.
[4]- ينظر رسالة الغفران : 291.

العبقرية الشعرية هي من صنع الشاعر و لا دخل لقوى الجن في إبداع الشاعر وصنيعه.

2- السَّرقات الشعرية:

تعد السرقة الأدبية من أقدم القضايا التي تنبه لها النقاد و شغلتهم؛ فلا يكاد يخلو كتاب من الكلام عن هذا الموضوع؛ و لكن كلمة سرقة في ذاتها تبدو أخلاقيا، غير مستساغة؛ و تعد من أقبح ما يتهم به الشعراء قديما ولعل هذا هو السر في اهتمام الباحثين بها، فعرفوها و فصَّلوا القول فيها فمنهم من نعتها : سرقة و انتهاباً و إغارة و غصباً و مسخاً إلى كثير من هذه الأوصاف التي تشين صاحبها، و منهم من تحرز الخطأ و أحسن الظن فسماها: اقتباسا و أخذا و تضمينا و استشهادا وعقدا و حلا و تلميحا . والاختلاف بين النقاد في هذا الأمر هو الذي أدى إلى الاختلاف في وصفهم بتلك الألفاظ المتفاوتة.[1] فالآمدي، مثلا ذهب إلى أن المعاني المشتركة التي شاعت بين الناس لا يعد تداولها سرقة، و أن التشابه في الألفاظ ليس من السرقة في شيئ.[2].

---

[1]- ينظر السرقات الأدبية – دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية و تقليدها، بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1986 : 34.

[2]- ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس:323.

وقولـــه :" إن مـــن أدركـــه مـــن أهـــل العلـــم بالشـــعر لـــم يكونـــوا يـــرون ســـرقات المعـــاني مـــن كبيـــر مســـاوئ الشـــعراء و خاصـــة المتـــأخرين مـــنهم إذ كـــان هـــذا بابا ما نعري منه متقدم و لا متأخر."[1]

و قـــد اعتمـــد الجرجـــاني آراء الآمـــدي فـــي هـــذه القضـــية و لكـــن بنـــوع مـــن التـــدقيق والتحليـــل ، فهـــو يـــرى أنـــه مـــن الســـخف أن يـــتهم الشـــاعر بالســـرقة فـــي المعـــاني[2] وذلـــك فـــي قولـــه " و الســـرق، أيـــدك الله، داء قـــديم و عيـــب عتيـــق و مـــازال الشـــاعر يســـتعين بخـــاطر الآخـــر و يســـتمد مـــن قريحتـــه ويعتمـــد علـــى معنـــاه ولفظـــه ، و كـــان أكثـــره ظـــاهرا كـــالتوارد الـــذي صـــدرنا بـــذكره الكـــلام وإن تجـــاوز ذلـــك قلـــيلا فـــي الغمـــوض لـــم يكـــن فيـــه اخـــتلاف الألفـــاظ، ثـــم تســـبب المحـــدثون إلـــى إخفائـــه بالنقـــل و القلـــب و تغييـــر المنهـــاج و الترتيـــب، و تكلفـــوا جبـــر مـــا فيـــه مـــن النقيصـــة بالزيـــادة و التأكيـــد والتعـــريض فـــي حـــال و التصـــريح فـــي أخـــرى، و الاحتجـــاج والتعليـــل فصـــار أحـــدهم إذا أخـــذ معنـــى أضـــاف إليـــه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه و إبداع مثله."[3]

فهـــو يؤكـــد أن الســـرقة لا تكـــون ســـرقة إذا كانـــت فـــي الألفـــاظ و المعـــاني ممـــا هـــو مشـــترك عـــام، و تكـــون فـــي الألفـــاظ و المعـــاني الخاصـــة المنفـــردة غيـــر المتداولة.

---

[1]- الموازنة : /1 : 291.

[2]- ينظر النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، محمد مندور ، دار النهضة مصر للطبع و النشر ، مصر:285.

[3]- الوساطة : 214.

و" سئل أبو عمرو بن العلاء: أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ، لم يلق واحد منهما صاحبه، و لم يسمع شعره ؟ قال: تلك عقول رجال توافت على ألسنتها!"[1]

أما الجاحظ فلم يول هذه القضية اهتماما، بل تناولها ضمن حدود موضوعية فهو يرى أن السرقة تكون في أخذ الشاعر المعاني والاحتيال يقول:" و متى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكالة على السرقة والاحتيال، لم ينل طائلا، و شق عليه النزوع، و استولى عليه الهوان واستهلكه سوء العادة والوجه الضار أن يحفظ ألفاظا بعينها من كتاب بعينه أو لفظ رجل، ثم يود أن يعد لتلك الألفاظ قسمها من المعاني، فهذا لا يكون إلا نجيلا فقيرا، و حائفا سروقا، و لا يكون إلا مستكرها لألفاظه متكلفا لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع النظام."[2]

أما ابن بسام فقد كان أكثر تحفظا في رأيه في السرقات يقول:" إذا ظفرت بمعنى حسن أو وقفت على لفظ مستحسن ذكرت من سبق إليه و أشرت إلى من نقص عنه أو زاد عليه ولست أقول: أخذ هذا من هذا قولا مطلقا فقد تتوارد الخواطر و يقع الحافر حيث الحافر، إذ الشعر ميدان والشعراء فرسان."[3]

---

[1]- السرقات الأدبية ، بدوي طبانة : 42.
[2]- النقد الأدبي عند الجاحظ ، محمود الأطرش:119.
[3]- الذخيرة 1/1 : 08 .

فابن بسام وقف موقف المتأني؛ لأنه، و بحكم تجربته في الإبداع، أدرك أن أسهل شيئ هو قذف الآخرين بالسرقة، و لكن تسويغ ذلك و إثباته بالأدلة ليس أمرا يسيرا.[1] كما تطرق إلى هذا الموضوع أيضا أبو البقاء بن شريف الرندي قائلا: " و أما السرقة فهي على أنواع و بابها متسع والتخلص منها بالجملة يكاد يمتنع، و يدل على استحسان الآخذ لما أخذه و عجزه عن الإتيان بما يغنيه عنه أو على قلة المبالاة بها."[2]

أما حازم القرطاجني فاعتبر السرقة عيبا في مجملها في قوله: "والسرقة كلها معيبة و إن كان بعضها أشد قبحا من بعض."[3]، و قد قسم في أثناء حديثه عن السرقة، المعاني قسمين: قديمة متداولة و هذا القسم مثل ما شاع بين الناس من تشبيه الشجاع بالأسد، و مثل هذا القسم لا تدخله سرقة لأن معانيه ثابتة في وجدانات الناس مرتسمة في خواطرهم. و قسم ثان: جديدة مخترعة، و هذا النوع من المعاني يعتمد الزيادة في المتداول أو قلبه أو التركيب عليه: غير أن المرتبة العليا في الشعر تتمثل في استنباط المعاني.. و هذا النوع المبتكر لا يمكن أن يسرق و إنما يتحاماه الشعراء لضيق المجال في إخفاء السرقة[4] ..

---

[1]- ينظر النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ، محمد مرتاض : 95.

[2]- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية :463-464 أو الوافي في نظم القوافي ، أبي الطيب الرندي : 148-149.

[3]- منهاج البلغاء و سراج الأدباء : 192-196 .

[4]- المصدر السابق : 192-194.

أمـــا بالنســـبة لابـــن شـــهيد فـــإن نظرتـــه لـــم تختلـــف كثيـــرا عـــن آراء النقـــاد الســـابقين وقـــد بـــين رأيـــه فـــي الســـرقة فـــي حـــوار أداره علـــى لســـان شـــيخ مـــن الجـــن يعلـــم ابنـــه صـــناعة الشـــعر قـــائلا:" إذا اعتمـــدت معنـــى قـــد ســـبقك إليـــه غيـــرك فأحســـن تركيبـــه و أرق حاشـــيته، فاضـــرب عنـــه جملـــة. و إن لـــم يكـــن بـــد ففـــي غيـــر العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن، لتنشط طبيعتك وتقوى منتك*."[1]

و يمكننا تلخيص رأيه في أربع نقاط هي:

1- أن الشاعر إذا أخذ المعنى وزاد عليه لا يعد سارقا بل محسنا.

2- أن المعـــاني العقـــم التـــي ســـبق بهـــا الشـــعراء غيـــرهم إذا أخـــذت بعـــدهم افتضح أمر سارقها.

1- أن الشـــاعر إذا اعتمـــد معنـــى ســـبق إليـــه و أحســـن تركيبـــه و رققـــت حاشـــيته فالأفضـــل تركـــه، و إلا فعليـــه تغييـــر عروضـــه حتـــى تقـــوى منتـــه و تنشـــط طبيعتـــه فـــابن شـــهيد هنـــا لا يبـــيح أخـــذ المعنـــى الـــذي تفـــرد به أصحابه إلا بعد تغيير وزنه.

4- علـــى الشـــاعر أن يســـتوفي الحـــال التـــي يصـــفها، و لا يخـــرج عنهـــا فـــي الإبداع والاختراع و إلا كان كلامه سرقة من غيره.[2]

و هـــذا مـــا أورده كـــذلك أبـــو هـــلال العســـكري فـــي حديثـــه عـــن حســـن الأخـــذ فـــذهب إلـــى أنـــه لـــيس لأحـــد مـــن أصـــناف القـــائلين غنـــى عـــن تنـــاول المعـــاني ممـــن

---

[1]- التوابع و الزوابع : 135.

***- المنة بالضم : الضعف و القوة ، من الأضداد.**

[2]- ينظر النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري ، هدى شوكة بهنام ، ط1 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1977 ، :250.

تقـــدمهم والصـــب علـــى قوالـــب مـــن ســـبقهم، ولكـــن علـــيهم إذا أخـــذوها أن يكســـوها ألفاظـــا مـــن عنـــدهم، و يبرزوهـــا فـــي معـــارض مـــن تـــأليفهم ويوردوهـــا فـــي غيـــر حليتهـــا الأولـــى، و يزيـــدوا فـــي حســـن تأليفهـــا وجـــودة تركيبهـــا و كمـــال حليتهـــا ومعرضـــها فـــإذا فعلـــوا ذلـــك فهـــم أحـــق بهـــا ممـــن ســـبق إليهـــا..[1] و لا شـــك أن تغييـــر العـــروض الـــذي تحـــدث عنـــه ابـــن شـــهيد يقتضـــي تغيـــرا فـــي الصـــياغة، لأن تغيـــر الـــوزن يوجـــب تغيـــرا فـــي البنـــى اللفظيـــة فالتراكيـــب فـــي عـــروض الطويـــل غيرهـــا فـــي عـــروض المتـــدارك ، لأن النغمـــة تـــزدوج بالدلالـــة اللغويـــة فتتذبذب الموسيقى بناء على تذبذب وتخلخل بنى التفاعيل و الكلمات .[2]

و قـــد حـــذر ابـــن طباطبـــا الشـــاعر مـــن اللجـــوء إلـــى تغييـــر العـــروض بغيـــة إخفـــاء الســـرقة، لأنـــه " يتـــوهم أن فـــي تغييـــره للألفـــاظ و الأوزان ممـــا يســـتر ســـرقته ".[3]

أمـــا القاضـــي الجرجـــاني فقـــد جعلهـــا دلـــيلا علـــى حـــذق الشـــاعر و مهارتـــه التـــي يحتاج الناقد إلى الفطنة في الكشف عنها أو ملاحظتها.[4]

و تعـــرض ابـــن شـــهيد أيضـــا إلـــى الزيـــادة فـــي المعنـــى المـــأخوذ و مبلـــغ الحســـن فيهـــا فـــذكر فـــي رســـالته نصـــا يـــدور حـــول معنـــى عرفـــه المشـــارقة و كثـــر حـــديثهم عنـــه فقـــال: " و حضـــرت أنـــا أيضـــا و زهيـــر مجلســـا مـــن مجـــالس

---

[1]- كتاب الصناعتين : 196.
[2]- ينظر النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ط4 ، الأنجلو المصرية ، القاهرة : 463
[3]- عيار الشعر ، ابن طباطبا : 08
[4]- ينظر الوساطة : 204.

الجـــن، فتـــذاكرنا مـــا تَعَاوَرتـــهُ الشـــعراء مـــن المعـــاني، و مـــن زاد فأحســـن الأخـــذ و من قصر. فأنشد قول الأفوه* بعض من حضر:

وَ تَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ ، ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ*

و أنشد آخر قول النابغة:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تهتدِي بِعَصَائِبِ

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا* عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ المَرَانِبِ*

جَوَانِحَ ، قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ، إِذَا مَا التَقَى الجَيْشَانِ ، أَوَّلُ غَالِبِ

و أنشد آخر قول أبي نواس:

تَتَـأَيَّا * الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جِزَرِهْ*

و أنشد آخر قول صريع الغواني * [1]:

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا، فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

و أنشد آخر قول أبي تمام:

وَ قَدْ ظُلِّلَتْ عُقْبَانُ* أَعْلاَمِهِ ضُحًى بِعُقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الجَيْشِ، إِلاَّ أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

***- الأفوه :أي الأفوه الأودي الشاعر الجاهلي.**
***- ستمار : أي ستعطي ميرتها من جثث القتلى.**
***- الخزر : جمع الأخزر ، و هو الذي ينظر بمؤخر عينيه.**
***- المرانب : ثياب سود أو أكسية من جلود الأرانب يشبه النسور و سواها من الجوارح ، و ما عليها من الريش ، بشيوخ عليهم الفراء.**
***- تتأيا : تقصد و تتعمد . غدوته : أي إلى الحرب . من جزره : أي مما يترك من لحوم القتلى فريسة لها.**
1- صريع الغواني : مسلم بن الوليد، الشاعر العباسي.
***- العقبان : الرايات.**

فقال شمردل السحابي: كلهم قصر عن النابغة؛ لأنه زاد في المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح، و كلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر، و إن كان أبو تمام قد زاد في المعنى. وإنما المحسن المتخلص المتنبي حيث يقول:

لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَ طَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ تَبْقَ إِلاَّ جَمَاجِمُهْ

و كان بالحضرة فتى حسن البزة، فاحتد لقول شمردل، فقال: الأمر على ما ذكرت يا شمردل و لكن ما تسأل الطير إذا شبعت أي القبيلين الغالب؟ وأما الطير الآخر فلا أدري لأي معنى عافت الطير الجماجم دون عظام السوق والأذرع و الفقارات والعصاعص ؟ و لكن الذي خلص هذا المعنى كله وزاد فيه، و أحسن التركيب، و دلَّ بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبي، من أن القتلى التي أكلتها الطير أعداء الممدوح فاتك بن الصقعب في قوله :

وَ تَدْرِي سِبَاعُ الطَّيْرِ أَنَّ كُمَاتَهُ ، إِذَا لَقِيَتْ صِيدَ الكُمَاةِ ، سِبَاعُ

لَهُنَّ لُعَابٌ فِي الهَوَاءِ وَ هِزَّةٌ ، إِذَا جَدَّ بَيْنَ الدَّارِعِينَ قِرَاعُ

تَطِيرُ جِيَاعًا فَوْقَهُ وَ تَرُدُّهَا ظُبَاهُ إِلَى الأَوْكَارِ وَ هْيَ شِبَاعُ

تَمَلَّكَ بِالإِحْسَانِ رِبْقَةَ رِقِّهَا، فَهُنَّ رَقِيقٌ يُشْتَرَى وَ يُبَاعُ

وَ أَلْحَمَ مِنْ أَفرَاخِهَا فَهْيَ طَوْعُهُ، لَدَى كُلِّ حَرْبٍ، وَ المُلُوكُ تُطَاعُ

تُمَاصِعُ* جَرْحَاهَا فَيُجْهِزُ نَقْرُهَا عَلَيْهِمْ ، وَ لِلطَّيْرِ العِتَاقِ مِصَاعُ

فـاهتز المجلـس لقولـه، و علمـوا صـدقه. فقلـت لزهيـر: مـن فاتـك بـن الصـقعب ؟ قال: يعني نفسه ." [1]

و يبـدو أن اعتبـار الزيـادة الحسـنة فـي المعنـى المـأخوذ استحسـنها أيضـا ابـن قتيبة حين قال :" و كان الناس يستجيدون للأعشى قوله :

وَ كَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَ أُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا[2]

حتى قال أبو نواس:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَ دَاوِنِي بِالتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ[3]

فسـلخه و زاد فيـه معنـى آخـر، اجتمـع لـه بـه الحسـن فـي صـدره و عجـزه فللأعشى فضل السبق إليه و لأبي نواس فضل الزيادة فيه."[4]

فـابن شـهيد يُعتبـر الشـاعر الـذي أخـذ المعنـى و زاد عليـه محسـنا و لـيس سـارقا فهـو يـربط السـرقة بالبديهـة و يجعلهـا امتحانـا لقـدرة الشـاعر علـى الإضـافة والابـداع فـ" السـرقة لا يفضـحها إلا القـول علـى البديهـة عنـد ضـيق المجـال فلـيس هنـاك تـرو و لا اسـتعداد حينـذاك يعـرف السـارق بسـكوته ويظهر المحسن و يبرز بتدفق طبعه و غريزته"[5]

***- تماصع : تقاتل .**
1- رسالة التوابع و الزوابع : 132-134.
[2]- ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، 1966: 24
[3]- ديوان أبي نواس:6
[4]- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة /1 : 18.
[5]- الذخيرة / 1 :242.

و الملاحظ على ابن شهيد أنه كان مولعا " بمساماة الفحول و الجري على حلبتهم والأخذ- عنده – على المقاييس التي ارتضاها – أمر مسلم به مندوب له."[1]

قال:" قال لي فاتك بن الصقعب: فهل جاذبت أنت أحدا من الفحول ؟ قلت: نعم قول أبي الطيب:

أَأَخْلَعُ المَجْدَ عَنْ كَتِفِي وَ أَطْلُبُهُ، وَ أَتْرُكُ الغَيْثَ فِي غِمدِي و أَنْتَجِعُ؟

قال لي: بماذا ؟ قلت: بقولي :

و مِن قُبَّةٍ لا يُدركُ الطَّرفُ رَأْسَهاَ، تَزِلُّ بها رِيحُ الصَّبَا فَتَحَدَّرُ.

إِذَا زَاخمَتْ منها المَخَارِمَ * صَوَّبَت هُوِيًّا ، على بُعدِ المَدى ، و هْيَ تجأر

تكلفتها، و الليل قد جاش بحره، و قد جعلت أمواجه تتكسر

و من تحت حضني أبيض ذو سفاسق*، و في الكف من عسالة الخط أسمر.

هما صاحباي من لدن كنت يافعا، مقيلان من جد الفتى حين يعثر

فذا جدول في الغمد تسقى به المنى، و ذا غصن في الكف يجنى فيثمر

فقال: و الله لئن كان الغيث أبلغ، فلقد زدت زيادة مليحة طريفة واخترعت معاني لطيفة."[2]

و على الرغم من أن ابن شهيد يؤكد دائما على ضرورة حسن الأخذ إلا أنه لم يحسن الأخذ من أبي الطيب في قوله :

---

[1]- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية : 303 .
***- المخارم : أنوف الجبال ، و المعنى هنا أعالي الخيمة .**
***- السفاسق : طرائف السيف و شطبه.**
1- رسالة التوابع و الزوابع : 137.

و خيل تمشى للوغى ببطونها إذا جعلت بالمرتقى الصعب تزلق

فعلق ابن بسام قائلا:" و هذا البيت مما لم يحسن أبو عامر سرقته و لا بلغ به طبقته، وهو من قول أبي الطيب:

إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى في الصعيد الأراقم."[1]

فقد قصَّر ابن شهيد " عن الوصف المقارب الذي قدمه المتنبي للخيل في انسيابها الذي يشبه انسياب الأفعى السوداء في الرمال، و لا يستر هذا القصور عنده ما خصه من انزلاقها في المرتقى الصعب فهو مفهوم ضمنا من الزلق في بيت المتنبي، و أضف إلى ذلك أن الأخذ وقع في الألفاظ برمتها و هو دليل عجز واضح."[2]

و أما المعري فقد تعامل مع قضية السرقات بحيادية إلى حد كبير؛ كما أنه لم يطلق مصطلح "سرقة" بل استخدم مصطلح الأخذ؛ كما ورد عنه أيضا مصطلح(السلخ).

و علل وليد محمود خالص إطلاق المعري مصطلح الأخذ بدل السرقة بقوله:

1- إن السرقة فعل منكر قبيح يتهم الشاعر في شاعريته و موقفه الأخلاقي نفسه.

---

[1]- الذخيرة 1/1 : 274.

[2]- تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، مصطفى عليان عبد الرحيم : 439.

2- إن مصطلح السرقة يحاول سلب جهد الشاعر، و يرده إلى من هم قبله.

2- ابتعاد المعري عن النزاع القائم بين الشعراء و أنصارهم وخصومهم.[1]

فالمعري تعامل مع حدود السرقات الأدبية بحذر و إنصاف فألحقها مسميات تعطي لكل ذي حق حقه؛ فمثلا في تعليقه على قول البحتري:

مهلا فذاك أخوك ذو ألهيته عن لهوه و شغلته عن غمضه

فيقول له :" و إنما اتبع أبا تمام لأنه كان يقفو أثره"[2]

كما أورد في كتبه تطرقه لما استفاده المتنبي من سابقيه، ووقف كثيرا على ما أخذه المتنبي ممن سبقه.

وأما رسالة الغفران فلم يتعد أمر السرقة فيها الإشارة العابرة ؛ لأن المعري لم يأبه لتناول اللاحق لمعاني السابق ، إلا أنه عجب من ورود أبيات بألفاظها و معانيها في قصائد لشعراء مختلفين من شعراء الجاهلية .[3]

إذ يقول :" يا أوس إن أصحابك لا يجيبون السائل فهل عندك جواب فإني أريد أن أسألك عن هذا البيت :

---

[1]- ينظر أبو العلاء المعري ناقدا ، وليد محمود خالص، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1982 : 137.

[2]- عبث الوليد ، أبي العلاء المعري ، الشركة المتحدة ، دمشق ، 1978 : 256.

[3]- ينظر تيارات النقد الأدبي في الأندلس : 585.

وقارقت و هي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسير

فإنه في قصيدتك التي أولها :

هل عاجل من متاع الحي منظور أم بيت درمة بعد الوصل مهجور

و يروى في قصيدة النابغة التي أولها :

و دع أمامة و التوديع تعير و ما وداعك من قفت به العير

و كلاهما معدود من الفحول، فعلى أي شيء يحمل ذلك."[1]

و نجد المعري أيضا قد تأثر بشعر المتنبي و أخذ منه بعض المعاني من أبياته و قد تتبع ذلك البطليوسي في شروحه لسقط الزند؛ فمثلا قول المعري:

قيم النصل في طرفي نقيض يكون تباين منه اشتكالا

قال :" و هذا المعنى موجود في قول أبي الطيب:

تحسب الماء خط في لهب النا ر أدق الخطوط في الأحراز

فقد "ذكر أبو الطيب النقيضين اللذين أشار إليهما أبو العلاء و زاد عليه زيادة مليحة لأنه شبه فرند السيف و وشيةُ بالخط الذي يكتب في الأحراز و خص الأحراز بالذكر لمعنيين: أحدهما خط الحرز مختلط لا يقدر على قراءته فهو أليق بأن يشبه به فرند السيف، و الثاني أنه جعل

[1]- رسالة الغفران: 340.

السيف كأنه حرز يقي من تقلده كما يقي الحرز، فأخذ ذلك أبو العلاء وقصر عنه كل التقصير."[1]

و في قول أبي العلاء أيضا :

لك الله لا تذعر وليا بغضبة لعل له عذرا و أنت تلوم

قال بن السيد:" عجُز هذا البيت مأخوذ من قول القائل :

تأن و لا تعجل بلومك صاحبا لعل له عذرا و أنت تلوم[2]

و عليه، فإن قضية السرقات قد وفق فيها ابن شهيد أكثر من المعري الذي أشار إليها إشارة خفيفة ، فابن شهيد قد استخدم مصطلح (أخذ) بدل (سرقة) و هذا ما ورد أيضا عند المعري .

و ابن شهيد اعتبر أن الأخذ الحسن لا يعد سرقة و قد وقف على غرار المعري بالتحديد و التوضيح بالمثل و الشاهد .

و ما يجتمع فيه الناقدون هو أخذهم عن المتنبي بعض معانيه، على الرغم من أن ابن شهيد تعدى المتنبي إلى شعراء آخرين؛ و ربما هذا ما جعلهم يستخدمان مصطلح (أخذ) بدل (سرقة) لأنهم، اعتبروا هذا دليل ثقافة وشاعرية، و خصوصا إذا أحسن الشاعر الأخذ و زاد عليه، وهي الفكرة

---

[1]- شروح سقط الزند1/ : 186-187 .
[2]- المصدر نفسه 2/ : 665

التـــي أشـــار إليهـــا فـــي قولـــه: " إن اتكـــال الشـــاعر علـــى الســـرقة بـــلادة وعجـــز وتركه كل معنى سبق إليه جهل، و المختار له أوسط الحالات."[1]

3- القدماء و المحدثون :

لقـد انقسـم النقـاد فـي النظـر إلـى قضـية القـديم و الحـديث[2] إلـى ثلاثـة أقسـام قسـم مـنهم يؤيـد القـديم و يعتبـره مسـتودعا للغـة العربيـة الفصـيحة الصـافية وقسـم يسـاند المحـدث و يعتبـر التجديـد أمـرا إيجابيـا لتغيـر الحيـاة الاجتماعيـة و قسـم فضـل التوسـط بـين الأمـرين محافظـا علـى أصـالة القـديم و ابتكـار الجديـد. فـأين ابن شُهيد و المَعرِّي من هذا التقسيم ؟

فالجـاحظ مـثلا لـم يتـأثر حكمـه بـآراء السـابقين و المتعصـبين باعتبـاره ناقـدا موضـوعيا، بـل أطلـق حكمـه علـى التجربـة الإبداعيـة مـن خـلال الجمـال والجـودة و لـيس مـن خـلال المقـاييس الزمنيـة فالشـعر عنـده متطـور ومتجـدد بتغيـر الحيـاة، فهـو صـورة مـن صـورها ولهـذا فهـو قابـل للتغييـر ومـن المسـتحيل أيضـا أن نحصـر الإبـداع فـي زمـن دون زمـن لأن القـدماء أنفسـهم لـم يعبـروا عـن كـل المعـاني و الصـور الشـعرية الموجـودة فـي حيـاتهم فمـا بالـك بأزمان غير أزمانهم.[3]

و قـد اعتبـر مبـدأ الإجـادة هـي النقطـة الفاصـلة فـي تقويمـه الأدب، لهـذا فهـو يفضـل قصـيدة أبـي نـواس و هـو محـدث علـى قصـيدة مهلهـل بـن ربيعـة وهـو

---

[1]- العمدة /2 : 216 .

2- المقصود بالقديم الأدب العربي بعامة و الشعر بخاصة ؛ و هو الذي قيل في العهد الجاهلي و الإسلامي و الأموي؛ أما الجديد فهو الشعر الذي يبدأ مع قيام الدولة العباسية بدأ مع بشار بن برد و أبي نواس و مسلم بن الوليد و أبي تمام و انتهى مع المتنبي و المعري

[3]- ينظر النقد الأدبي عند الجاحظ، محمود الأطرش : 90.

شاعر قديم في قوله:" أبيات أبي نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر مهلهل في إطراق الناس في مجلس كليب."[1]

و في قوله أيضا في شعر أبي نواس:" و إن تأملت شعره فضلته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر، و أن المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا ."[2]

و هذا لا يعني أنه يقلل من شأن الشعر القديم و لكن الجاحظ يحكم على النص بما يتضمنه من قيم جمالية فنية و صور مبتدعة و معاني و ألفاظ مبتكرة مجردة من العصر والزمن الذي قيلت فيه.

و قد نحا ابن قتيبة المنحى ذاته حين ذهب إلى القول إنه لا فضل لقديم على محدث، و لا لمحدث على قديم إلا بقدر جودة شعر أحدهما و تفوقه على الآخر .[3]

و لكن ابن عبد ربه يفضل المحدثين لما يتميزون به في رأيه من تفوق على القدماء في عذوبة اللفظ و سهولة التركيب، و إحكام المذهب ووضوح الأسلوب حين قال:" ثم إني رأيت آخر كل طبقة، وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب، أعذب ألفاظا وأسهل بنية، و أحكم مذهبا وأوضح طريقة من الأول "[4].

---

[1]- كتاب الحيوان /2 : 182 .
1- المصدر السابق / 1 : 228.
[3]- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ، عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع،ط1، بيروت ، 2003 : 7
[4]- العقد الفريد : /1 : 4

أمـــا ابـــن شـــهيد و هـــو الـــذي يهمنـــا رأيـــه فقـــد أبـــدى إعجابـــا مطلقـــا بالقـــديم والمحـــدث مـــن الشـــعراء،" فلـــم يقـــل إعجابـــه بـــالمتنبي عـــن إكبـــاره لامـــرئ القـــيس، و لا يختلـــف إقـــراره ببهـــاء شـــعر قـــيس بـــن الخطـــيم عـــن إقـــراره بجمـــال شعر أبي نواس."[1]

و قـــد اعتمـــد ابـــن شـــهيد مقياســـا فيصـــلا بـــين القـــدماء و المحـــدثين و هـــو الأســـلوب الـــذي" يرعـــى تـــلاع الفصـــاحة و يســـتحم بمـــاء العذوبـــة و البراعـــة شـــديد الأســـر جيد النظم في أي معنى من المعاني."[2]

و اســـتطاع ابـــن شـــهيد أن يلتـــزم بمقياســـه فلـــم يخـــل بـــه فـــي أي مـــن منتخباتـــه ســـواء أكـــان ذلـــك مـــن الشـــعر القـــديم أو المحـــدث أو مـــن شـــعره، فهـــو يوعـــث فيـــه و لا ينجد.[3]

و قـــد كـــان ابـــن شـــهيد مفـــرط الإعجـــاب بـــأبي تمـــام و المتنبـــي؛ غيـــر أن إعجابـــه بـــالمتنبي يفـــوق إعجابـــه بـــأبي تمـــام إذ ذكـــره فـــي موضـــعين مـــن رســـالته، كـــان الموضـــع الثـــاني فـــي مجلـــس أدب طلـــب إليـــه أن يجـــري علـــى نمـــاذج مـــن شـــعره فاســـتفظع ابـــن شـــهيد ذلـــك و تمنـــى لـــو كـــان الطلـــب فـــي غيـــر شـــعر المتنبـــي[4] وقـــد عبـــر ذلـــك بقولـــه:" فـــأدني* و الله بمـــا قـــرع بـــه ســـمعي وقلـــت لـــه، أي مـــاء لـــو كـــان من جمامك* و استهلت به عيون غمامك !"[5]

---

[1]- تيارات النقد الأدبي في الأندلس : 581.
[2]- الذخيرة : 1/1 : 247.
[3]- المصدر السابق 1/1 : 223.
[4]- تيارات النقد الأدبي في الأندلس :584.
***- أدني : دهاني بالأمر الفظيع.**
***- الجمام : جمع الجم ، و هو الماء أو معظمه . و المراد لوكان هذا الشعر من نظمك.**

و علـــى ذلـــك فـــالمتنبي الشـــاعر الوحيـــد الـــذي نعـــت بالفحولـــة فـــي التوابـــع والزوابـــع و ذلـــك فـــي قولـــه:"...فهل جاذبـــت أنـــت أحـــدا مـــن الفحـــول ؟ قلـــت: نعـــم قول أبي الطيب ..."[1]

فنجـــد أن ابـــن شـــهيد قـــد ســـاوى بـــين القـــديم و المحـــدث مســـتخدما مقيـــاس الفصاحة و العذوبة الفيصل بينهما.

أمـــا المعـــري، فقـــد احـــتكم إلـــى ثقافتـــه اللغويـــة، فضـــاق بهـــا وجـــده فـــي عصـــره مـــن غلبـــة الـــذوق المحـــدث فـــآثر كغيـــره مـــن النقـــاد اللغـــويين العـــودة إلـــى الشـــعر القـــديم لأنه في نظرهم مستودع اللغة العربية الفصيحة.

فعبـــر مـــن خـــلال انشـــغاله باللغـــة و النحـــو و العـــروض عـــن بعـــض ضـــيقه بالشـــعر المحـــدث ويتجلـــى ذلـــك فـــي قولـــه:" و قـــد ســـمعت فـــي أشـــعار المحـــدثين إلي و علي و نحو ذلك و هو دليل على ضعف المُنة و ركاكة الغريزة "[2]

و عنـــدما أنشـــد كلمـــة نـــودي بتســـكين اليـــاء قـــال:" لا أحـــب ذلـــك و إن كـــان جـــائزا وإنما يوجد في أشعار الضعفة من المحدثين."[3]

علـــى حـــين نجـــده منحـــازا إلـــى الشـــعر القـــديم فيـــرى فيـــه الشـــاهد اللغـــوي علـــى عكـــس الشـــعر المحـــدث و ذلـــك فـــي معـــرض حديثـــه عـــن بيـــت للحـــلاج اســـتخدم

---

[5]- رسالة التوابع و الزوابع : 140.
[1]- المصدر السابق: 137.
[2]- رسالة الغفران : 456.
[3]- نفسه : 582.

فيــه لفــظ الكــل يقــول:" الكــل إدخالــه الألــف و الــلام مكروه...،فأمــا الكــلام القــديم فيفتقد فيه الكل و البعض."[1]

و لهــذا فهــو يعتبــر أن شــعراء الخضــرمة و الإســلام (القــدماء) هــم" الــذين أصــلوا كــلام العــرب، و جعلــوه محفوظــا فــي الكتــب، و غيــرهم ممــن يتــأنس بقليل الأدب."[2]

و علــى الــرغم مــن حــب أبــي العــلاء للشــعر القــديم فإنــه لــم يمنعــه مــن الإعجــاب بالشــعر المحــدث فقــد أجــزل حبــه للمتنبــي وتعصــب لــه كــل تعصــب ؛ فهــو الــذي قــال عنــه " لــو لــم يكــن المتنبــي إلا قولــه : لــك يــا منــازل فــي القلــوب منــازل ، لكفــاه فضــلا."[3] كمــا دافــع عــن المتنبــي فــي رســالته فــي شــأن الديانــة [4] كمــا دافــع عنــه عنــدما عــاب عليــه ابــن القــارح أســلوب التصــغير الــذي كــان المتنبــي مولعــا بــه فــي قولــه: أذم الــى هــذا الزمــان أهيلــه – فقــال المعــري:" صــغرهم تصــغير تحقيــر غيــر تكبيــر و تقليــل غيــر تكثيــر ...و هــو ســائغ فــي مجــاز الشــعر و لكنــه وضــعه غيــر موضــعه و خاطــب بــه غيــر مســتحقه، و مــا يستحق زمان ساعده بلقاء سيف الدولة أن يطلق على أهله الذم."[5]

فنجــد أن مــا قالــه بعــض المتعصــبين فــي أن الشــعراء المتقــدمين مــا تركــوا بابــا مــن أبــواب الشــعر إلا ولجــوه و لا غرضــا إلا تنــاولوه غيــر صــحيح بــدليل أن

---

[1]- المصدر السابق : 456.
[2]- المصدر نفسه : 268.
3- أبو العلاء المعري – نسبه و أخباره و شعره و معتقده ، باك أحمد تيمور ، تحقيق ، محمد طاهر الجبلاوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،ط2 ، 1970 :111.
[4]- ينظر رسالة الغفران : 419.
[5]- رسالة الغفران : 28.

الشعر غيث لا ينفذ من الإبداع في كل الأزمان يقول الجاحظ:" إذا سمعت الرجل يقول ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم أنه ما يريد أن يفلح."[1]

و قد أيده المعري في ذلك حيث ذهب إلى أن إبداع المعاني لا ينقطع كما أنه غير محصور بزمن ويوضح ذلك ما تناوله في حواره لعنترة في قوله :" و إني إذا ذكرت قولك : هل غادر الشعراء من متردم، لأقول : إنما قيل ذلك و ديوان الشعر قليل محفوظ . و أما الآن و قد كثرت على الصائد الضباب و عرفت مكان الجهل الرباب و لو سمعت ما قيل بعد مبعث النبي (صلى الله عليه و سلم) لعتبت نفسك على ما قلت و علمت أن الأمر كما قال حبيب بن أوس :

و لو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب

و لكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب."[2]

فنجد أن عنترة في بيته الذي ذكرناه وقف عاجزا على أن يأتي بشيء جديد إزاء من سبقه من الشعراء، فباح بذلك تعبيرا عن صعوبة الإبداع فكان من أصحاب العبارة الشهيرة " ما ترك الأول للآخر شيئا."[3]

فرد عليه أبا تمام ببيتين رد فيهما على كل الذين اعتبروا أن الشعراء المتقدمين ما تركوا بابا من أبواب الشعر إلا تناولوه في قوله:

يقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر.[1]

---

[1]- الحيوان ، للجاحظ / 1 : 221-222.
[2]- رسالة الغفران : 323-324.
[3]- العمدة /1 : 96 .

و هكـذا فقـد اعتبـر المعـري أن تجـدد المعـاني الشـعرية مسـتمر و دائـم ولـيس وقـف علـى زمـن دون زمـن، و بـاب ابتـداعها كمـا قـال ابـن الأثيـر" مفتـوح إلـى يوم القيامة و من الذي يحجر على الخواطر و هي قاذفة بما لا نهاية له."[2]

و لكـن المعـري و إن أثنـى علـى شـعر المحـدثين فـي تجديـدهم للمعـاني الشـعرية وإكثـارهم مـن الصـور الفنيـة فقـط، فقـد دعـا إلـى المحافظـة علـى القـديم و الالتـزام بعمـود الشـعر العربـي* ويتجلـى ذلـك فـي قولـه علـى لسـان عنتـرة بعـدما أنشـده أبـي تمـام شـيء مـن نظمـه" إنمـا ينكـر عليـه المسـتعار "[3] و هـذا الـرأي قـد أجمـع عليـه نقـاد الشـعر إذ إن اسـتعارات أبـي تمـام " تعبـث بصفة الوضوح و تخل بمبدأ التمايز و انفصال الحدود بين الأشياء"[4]

و إذاً، فـلا فضـل عنـد المعـري لقـديم علـى محـدث و لا محـدث علـى قـديم إلا بالإجـادة التـي حـددها فـي اللغـة العاليـة (الصـحة اللغويـة و النحويـة والألفـاظ الجزلة) و في الصور الشعرية المبتدعة و المعاني المبتكرة.

و ذهـب ابـن شـهيد المـذهب ذاتـه، عنـدما سـاوى بـين القـديم و المحـدث فـي ضوء مقياس الفصاحة و العذوبة التي تندرج ضمن الأسلوب.

---

[1]- ديوان أبي تمام /2 : 161.

[2]- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ابن الأثير، تحقيق بدوي طبانة، و أحمد الحوفي، دار الرفاعي، الرياض ط2 ، 1983 /3 : 262-263.

***- المراد بعمود الشعر طريقة العرب الأوائل و مذهبهم في الشعر الذي التزم به البحتري و حاد عنه أبو تمام، و يتكون هذا العمود من عناصر متفق عليها بين النقاد و هي : شرف المعنى و صحته ، جزالة اللفظ و استقامته، الإصابة في الوصف، المقاربة في التشبيه، كثرة الأمثال السائرة و الأبيات الشاردة، مشاكلة اللفظ للمعنى و شدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، إلتحام أجزاء النظم على تخير من لذيذ الوزن، مناسبة المستعار للمستعار له.**

[3]- رسالة الغفران : 324.

[4]- الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، دار التنوير ، بيروت ،ط2،1983 : 200.

و أما المعري، و من منطلق اهتمامه بالقضايا اللغوية فقد جعل اللغة العالية شرطا في تمييزه بين القديم و المحدث؛ فهو يميل إلى القديم من حيث الشكل والتزام عمود الشعر أما المحدث فأثنى عليه من حيث التجديد في المعاني الشعرية.

و قد تجلى هذا الإنصاف في شعره حيث إنه اتخذ طريق القدماء في متانة اللفظ والأسلوب و طريق المحدثين في إبداع المعاني الشعرية الجديدة.

4- الطبع و الصنعة :

لقد تفاوت الشعراء و النقاد في تعريف هذين المصطلحين النقديين؛ و قد شهد هذين المفهومين تغيرات عبر العصور، ففي العصر الجاهلي كان يقصد بالطبع الاستعداد الفطري و بالصنعة إعادة النظر، ثم بعد ذلك بدأت النظرة تتغير مع العصر العباسي الذي أصبح يعتبر الطبع جمع بين الاستعداد الفطري و الصقل و الدراسة و أصبحت الصنعة تعني تكلف وإجهاد للفكر و العقل و الخيال .

و قد نظر القاضي الجرجاني إلى الطبع بمفهومه الجديد فأكد قيمة الطبع وهذا الطبع هو المهذب في قوله:" و مِلاك الأمر في هذا الباب خاصة ترك التكلف و رفض التعمل و الاسترسال للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به، و لست أعني بهذا كل طبع، بل المهذب الذي قد صقله الأدب و شحذته الرواية، و جلته الفطنة، و ألهم الفصل بين الرديء و الجيد وتصور أمثلة الحسن والقبح، و متى أردت أن تعرف ذلك عيانا وتستثبته

مواجهة فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضل ما بين السمع المنقاد والعصي المستكره فاعمد إلى شعر البحتري." [1]

و كل من تناول أبي تمام و البحتري بالدراسة و البحث تناول تبعا لذلك مسألة الطبع و الصنعة لأن كلا الشاعرين ينتمي إلى إحدى المدرستين فأبو تمام شاعر صنعة والبحتري شاعر طبع ولا يمكن أن يذكر أبو تمام والبحتري و لا يذكر رأي الآمدي في هذه القضية التي تبدو في موازنته أنه يميل إلى الشعر المطبوع الذي يمثله البحتري و إن كان رأيه غير صريح ولكن يفهم بالرمز و الإشارة في قوله:

" فإن كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام و قريبه، و يؤثر صحة السبك و حسن العبارة، و حلو اللفظ وكثرة الماء و الرونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة.. و إن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص و الفكرة و لا تلوى على ما سوى ذلك فأبو تمام أشعر عندك لامحالة .[2]

و المرزوقي أيضا قد مال إلى الطبع في قوله:" و متى رفض التكلف والتعمل و خلى الطبع المهذب بالرواية، المدرب في الدراسة لاختياره فاسترسل غير محمول عليه، و لا ممنوع مما يميل إليه، أدى من لطافة

---

[1]- الوساطة ، القاضي الجرجاني، عيسى الحلبي ،دار إحياء الكتب العربية ،مصر ، 1371،1951 ، ط2 :25

[2]- الموازنة.

المعنى و حلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر، وعفوا بلا جهد؛ و ذلك هو الذي يسمى المطبوع."[1]

و قد جعل ابن رشيق المطبوع أصلا أول للشعر حيث قال:" و من الشعر مطبوع ومصنوع فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا و عليه المدار والمصنوع إن وقع عليه هذا الإسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد وتعمل لكن بطباع القوم عفويا، فاستحسنوه و مالوا إليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره."[2]

و قد اختلف النقاد في مفهوم الصنعة: فمنهم من ذهب إلى أن الصنعة هي التكلف والتعسف المذموم الذي يحط من الشعر، و من هؤلاء المرزوقي الذي قال:" و متى جعل زمام الاختيار بيد التعمل، و التكلف، عاد الطبع مستخدما متملكا، و أقبلت الأفكار تستحمله أثقالها، و ترددده في قبول ما يؤديه إليها، مطالبة له بالإغراب في الصنعة، و تجاوز المألوف إلى البدعة، فجاء مؤداه و أثر التكلف يلوح على صفحاته، و ذلك هو المصنوع."[3]

أما ابن قتيبة فقد وردت عنده الصنعة أكثر وضوحا في قوله:" ...فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف و نقحه بطول التفتيش و أعاد فيه

---

[1]- شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ،ط1، 1371هـ،1951م ،1/ 12:.

[2]- العمدة، ابن رشيق / 1: 129.

[3]- شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي / 1 : 12.

النظـــر بعـــد النظـــر كزهيـــر والحطيئـــة و أشـــباههما مـــن الشـــعراء عبيـــد الشـــعر لأنهم نقحوه و لم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين.

و كـــان الحطيئـــة يقـــول: "خيـــر الشـــعر الحـــولي المـــنقح المحكـــك، و كـــان زهيـــر يسمي كبر قصائده الحوليات..."[1]

و الواضـــح أن الصـــنعة المســـتحبة هـــي المعتدلـــة التـــي لا يفـــرط صـــاحبها فـــي اســـتعمال الكنايـــات والاســـتعارات إلـــى حـــد يبعـــدها عـــن المعقـــول؛ و لهـــذا نجـــد عبـــد القـــاهر الجرجـــاني يقـــول:" و قـــد تجـــد فـــي كـــلام المتـــأخرين الآن كلامـــا حمـــل صـــاحبه فـــرط شـــغفه بـــأمور ترجـــع إلـــى مـــا لـــه إســـم فـــي البـــديع إلـــى أن ينســـى أنـــه يـــتكلم لـــيفهم، و يقـــول ليبـــين، و يخيـــل إليـــه أنـــه إذا جمـــع بـــين أقســـام البـــديع فـــي بيـــت فـــلا ضـــير أن يقـــع مـــا عنـــاه فـــي عميـــاء، و أن يوقـــع الســـامع مـــن طلبـــه فـــي خـــبط عشـــواء، ربمـــا طمـــس بكثـــرة مـــا يتكلفـــه علـــى المعنـــى و أفســـده كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها."[2]

أمـــا الأندلســـيون فقـــد أعجبـــوا بالبديهـــة و الارتجـــال لمـــا فيهمـــا مـــن تـــيقظ خـــاطر الشـــاعر وســـرعة ورود الشـــعر فـــي ذهنـــه مناســـبا فـــي معنـــاه للحـــال التـــي يطلـــب فيهـــا قـــول هـــذا اللـــون مـــن الشـــعر، كمـــا يتميـــز الشـــاعر النـــاظم للبديهـــة بالإلهـــام والخـــاطر الســـريع ممـــا يـــدل علـــى أن هـــذه البديهـــة موهبـــة مـــن الله للشـــاعر لأنهـــا كذلك لا تقال في كل وقت و إنما هي تأتي في لحظتها المناسبة.[3]

---

[1]- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ، دار إحياء العلوم، بيروت –لبنان ،ط5،1414 هـ ، 1994م : 33.

[2]- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة المنار ، ط2، 1344هـ ، 1925م :6

[3]- ينظر النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري : 152.

و قد وقف ابن شهيد الموقف ذاته ، تقريبا، من قضيتي الطبع و الصنعة وهو ما يفهم من قوله : "و إنما يتبين تقصير المقصر، وفضل السابق المبرز، إذا اصطكت الركب و ازدحمت الحلق واستعجل المقال، و لم توجد فسحة لفكرة، و لا أمكنت نظرة لرويـة أو في مجالس الملوك عند أنسها و راحتها ، فإنه يقع فيها ، و يجري لديها، ما لا ينفع له الاستعداد ولا ينفذ فيه غير الطبع و الغريزة المتدفقة. فترى الجواد السابق إذ ذاك متشوقا بأذنه باحثا لكديد الإحسان بيده طامح النظر، صهصلق الصهيل وأهل الصنعة خرس لا يسمع لهم جرس، و لا شيئ عندهم غير حسو الكأس، و شم الآس وتنفس الصعداء، و قد اصفرت ألوانهم، وقلصت شفاههم كأنهم من رجال عذرة."[1]

ففي هذا القول دليل واضح على ميل ابن شهيد إلى الطبع، أو ما يسمى بشعر الارتجال لأن الطبع و الغريزة وحدهما الغالبان خاصة في المواقف التي تكون فيها المناقشات و المحاورات الشعرية كمجالس الملوك التي لا مكان فيها للتروي و إعادة النظر و فيها تتضح الشاعرية واللاشاعرية.

و لكنه، في موقف آخر، لا ينكر على الشاعر التنقيح و التروي ليكون بعيدا عن الزلل الذي يقع نتيجة الاستعجال فيقول على لسان تابعة أبي تمام:" إن كنت و لابد قائلا، فإذا دعتك نفسك إلى القول فلا تَكُدَّ قريحتك فإذا أكملت فجمام ثلاثة* لا أقل.

---

[1]- الذخيرة 1 /1 : 209.

***- فجمام ثلاثة : أي فراحة ثلاثة أيام.**

و نَقَّح بعد ذلك، و تذكر قوله[1] :

و جشمني خوف ابن عفان ردها فثقفتها حولا كريتا و مربعا

و قد كان في نفسي عليها زيادة فلم أر إلا أن أطيع و أسمعا"[2]

و لكن ابن شهيد هنا يتحدث بلسان أبي تمام الذي يعد من مدرسة الصنعة فالأغلب أن هذا ليس رأيه، وله في الصنعة رأي يكاد يكون معتدلا حين قال:" و كذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه، و تهش له قلوب أهله فكان من صريع الغواني و بشار و أبي نواس و أصحابهم في البديع ما كان من استعمال أفانينه، و الزيادة في تفريع فنونه.

ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس ، و خرج عن العادة. و طاب ذلك منه وامتثله الناس فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان والتوسط في الأمر أعدل، و لذلك فَضَّل أهل البصرة صريع الغواني على أبي تمام لأنه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب فتركب له من الحسن بينهما ما تركب."[3]

فابن شهيد اتخذ الموقف الوسط بين الطبع و الصنعة؛ فهو يؤيد الطبع في مكانه المناسب و لا ينكر قيمة الصنعة المعتدلة.

1- قوله : أي قول سويد بن كراع العكلي ، و هو شاعر أموي هجا بعض قومه ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه و يحبسه فهرب منه و لم يزل متواريا حتى عفا عنه.

2- رسالة التوابع و الزوابع : 101.

3- الذخيرة 1 /1 :203

أمـا المعـري فلـم يفصـح عـن رأيـه بوضـوح و لكنـه ممـن يحبـذ الطبـع والسـليقة فـي الشـعر وهـذا مـا يتضـح مـن خـلال موقفـه ممـا اختبـر بـه خلـف الأحمـر بعـض جلسـائه، إذ طلـب مـنهم تحديـد قافيـة البيـت الثـاني إذا غيـرت القافيـة –أم حصن- إلى – أم حفص – في قول النمر بن تولب :

ألم بصحبتي و هم هجوع خيال طارق من أم حصن

لها ما تشتهي عسلا مصفى إذا شاءت و حوارى بسمن[1]

فقـد قلـب المعـري قـافيتي البيتـين علـى الـنمط المقتـرح و علـى حـروف الهجـاء جميعـا، دون أن يتلعـثم أو يتكلـف و هـذا لمـا أتـاه الله مـن طبـع فـي نظـم الشعر.[2]

و مـا يـروى عـن فطنـة أبـي العـلاء و ارتجالـه الشـعر و بديهتـه أن جماعـة مـن أهـل كبـار حلـب جـاؤوا إلـى أبـي العـلاء بعـدما سـمعوا عـن ذكائـه لينظـروه ويمتحنـوه فـي شـعره، فقـال لهـم :" هـل لكـم فـي المقافـاة بالشـعر ؟ فقـالوا : نعـم فجعـل كـل واحـد ينشـد بيتـا و هـو ينشـد علـى قافيـة ، حتـى فـرغ محفـوظهم بـأجمعهم و قهـرهم فقـال لهـم: أعجـزتم أن يعمـل كـل واحـد مـنكم بيتـا عنـد الحاجـة إليـه علـى القافيـة التـي يريـد؟ فقـالوا لـه : فافعـل أنـت ذلـك فقـال: فجعـل

---

[1]- رسالة الغفران : 154.

[2]- نفسه : 155-164.

كلما أنشده واحد منهم بيتا أجابه من نظمه على قافيته حتى قطعهم كلهم فعجبوا منه وانصرفوا."[1]

و أغلب الظن أن المعري اعتبر الطبع و الموهبة شرطين يجب توفرهما في الشاعر، و جعل التكلف نقيض ذلك لأنه ليس من سمة الشعراء المجيدين وإنما هو من صنع رقيع القوم في قوله:"...و أنشدني بعضهم أبياتا قافية طويلة الوزن، و قافيتها مثل هذه القافية، قد نسبت إلى (عضد الدولة) و قيل إنه أفاق في بعض الأيام، فكتبها على جدار الموضع الذي كان فيه، و قد نحي بها نحو أبيات(البصري). و أشهد أنها متكلفة صنعها رقيع من القوم ، و أن (عضد الدولة) ما سمع بها قط"[2] و إلى جانب الطبع يحتاج الشاعر إلى المعرفة و لهذا طالب النقاد الشاعر بهذا الشرط حتى يلتحق بركب الشعراء المجيدين فقد أكد حازم القرطاجني على ضرورة الدربة و المران و التعليم وألا يقف الشاعر بشعره إلى حدود الطبع و معرفة القوافي و الأوزان كما في قوله: " و أنت لا تجد شاعرا مجيدا منهم إلا و قد لزم شاعرا آخر المدة الطويلة، و تعلم منه قوانين النظم، و استفاد عنه الدربة في إنحاء التصاريف البلاغية، فقد كان كُثَيِّر يأخذ الشعر عن جميل و كان جميل يأخذ الشعر عن هدبة بن خشرم وأخذه هدبة عن بشر بن أبي خازم. و كان الحطيئة قد أخذ علم الشعر عن زهير، و أخذه عن أوس بن حجر ، و كذلك جميع شعراء العرب

---

[1]- النقد الإجتماعي في آثار أبي العلاء ، يسرى محمد سلامة : 156-157.
[2]- رسالة الغفران : 449.

المشـــهورين المجيـــدين، فـــإذا كـــان أهـــل ذلـــك الزمـــان قـــد احتـــاجوا إلـــى التعلـــيم الطويل فما ظنك بأهل هذا الزمان، بل أية نسبة بين الفريقين في ذلك."[1]

و يـــرى الجـــاحظ أن الشـــاعر و إن تـــوفر لـــه الطبـــع و الموهبـــة الفطريـــة فإنـــه يجـــب ألا يســـتغني عـــن "إتقـــان أدوات الشـــعر و التمـــرس بهـــا وروايـــة الشـــعر وحفظـــه وإتقـــان اللغـــة و الصـــرف و النحـــو و الأوزان. و الأصـــمعي جعـــل الثقافة الواسعة شرط من شروط الفحولة فقال:

" لا يصـــير الشـــاعر فـــي قـــريض الشـــعر فحـــلا حتـــى يـــروي أشـــعار العـــرب ويســـمع الأخبـــار ويعـــرف المعـــاني و تـــدور فـــي مســـامعه الألفـــاظ و أول ذلـــك أن يعلـــم العـــروض ليكـــون ميزانـــا علـــى قولـــه، و النحـــو ليصـــلح بـــه لســـانه و ليقـــيم إعرابـــه والنســـب و أيـــام النـــاس ليســـتعين بـــذلك علـــى معرفـــة المناقـــب والمثالـــب وذكرها بمدح أو ذم."[2]

و يهمنـــا هنـــا رأي أبـــي العـــلاء الـــذي يوافـــق فيـــه مـــن ســـبقه؛ عنـــدما اشـــترط علـــى الشـــاعر بعـــد الطبـــع الأخـــذ بـــالحظ الـــوافر مـــن الثقافـــة. فقـــد ســـخر فـــي رســـالة الغفـــران مـــن الشـــعراء الـــذين لـــم يغرفـــوا مـــن بحـــر العربيـــة، و يكفـــي أن نقـــرأ تلـــك المشـــاجرة بـــين النابغـــة الجعـــدي و الأعشـــى عنـــدما لـــم يـــدرك النابغـــة معنـــى كلمـــة الربـــاب[3] فعابـــه الأعشـــى علـــى ذلـــك و تحـــول الموقـــف إلـــى شـــجار . فهـــو بهـــذا الموقف أراد أن يبين قلة ثقافة النابغة اللغوية.

---

[1]- منهاج البلغاء و سراج الأدباء :27
[2]- الفحولة ، للأصمعي :
[3]- ينظر رسالة الغفران : 227-228.
***- ابن الثأداء : ابن الأمة.**

و سخر أيضا من رؤبة لضيق اطلاعه على دلالات الألفاظ في العربية لعدم معرفته معنى ابن ثأداء*.[1]

و أشار أيضا إلى ضرورة معرفة الشاعر علمي النحو و الصرف حتى ينزه شعره عن الخطأ في قوله على لسان النابغة الجعدي لابن القارح في من لا يفقه هذين العلمين ويراعي قواعدهما في نظمه "...فإن أنشد منشد مستنكر ما تصنع به؟ فيقول أجزره وأزبره نطق بأمر لا يخبره."[2]

و قد أشار ابن شهيد أيضا في نص له إلى المصادر الأولية لثقافة الشاعر التي حصرها في اللغة و الخبر و النسب، و هو مما لا يستطيع الشاعر الاستغناء عنه في أكثر أغراضه الشعرية فقال:" و الفرق بين أبي عمر وغيره أن أبا عمر مطبوع النظام، شديد أسر الكلام، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر و اللغة و النسب، و ما تراه ما حوله للكلام وملكه لأحرار الألفاظ، و سعة صدره، و جيشة بحره، و صحة قدرته على البديع، و طول طلقه في الوصف و بعيته للمعنى و ترديده وتلاعبه به وتكريره و راحته بما يتعب الناس، و سعة نفسه فيما يضيق الأنفاس."[3]

---

[1]- ينظر نفسه : 376.

[2]- نفسه: 210.

[3]- الذخيرة 1/1 :45.

فالبديهة و الارتجال عند ابن شهيد ملكة فطرية تولد مع الإنسان ، فالبيان عنده نتاج الطبع فهو من تعليم الله تعالى حيث قال :" الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان."[1] ليس من شعر يفسر و لا أرض تكسر".[2]

و مع ذلك فهو لا ينكر أن الثقافة اللغوية أمر حيوي في تعزيز البديهة، إذ يقول: " وإصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب و استيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين."[3]

فهو لا ينكر الثقافة و لكنه لا يحب المغلاة فيها، إذ إنه ينكر إلحاح المؤدبين عليها وإفراطهم في تعليمها .

و قد وافقه ابن حزم في ذلك مع قليل من التوضيح في قوله:" فلا بد لمن أراد البلاغة من أن يضرب في جميع العلوم التي قدمنا قبل هذا بنصيب وأكثر هذا القرآن و الحديث و الأخبار و كتب عمرو بن بحر و يكون مع ذلك مطبوعا فيه و إلا لم يكن بليغا والطبع لا ينفع مع عدم التوسع في العلوم."[4]

و أقسام الشعر عند نقاد الأندلس تختلف عن التقسيم المشرقي المعروف في الطبع والصنعة و إن كانت لا تفارق جوهره، فأصحاب صنعة الكلام لا يستحقون اسم البيان إذا خرجوا عن طبقات ثلاث عند ابن شهيد[5] هي:

---

[1]- سورة الرحمان الآيات :1-4.
[2]- الذخيرة 1/1 : 234.
[3]- نفسه 1/1 : 197.

[4]- التقريب لحد المنطق ، ابن حزم: 205.
[5]- ينظر تيارات النقد الأدبي في الأندلس : 459.

" الأولى: الشعراء أصحاب الطبع المصنوع و هم الذين لا يتأتى لهم الكلام إلا بكد القريحة فلا يتجاوزون الأبيات القليلة و المقطعات القصير "فمنهم الذي ينظم الأوصاف و يخترع المعاني ويحرز جيد اللفظ إلا أنه يصعب عليه الكلام ، و يكد قريحته التأليف ، حتى إنه ربما قصر في الوصف وأساء الوضع فهذا في الأبيات القليلة نافر، و في القريبة المأخذ سائر، و في طريقة سائر الجمهور الأعظم ذاهب حتى إذا ازدحمت عليه وانحشدت إليه و طالبته ببهاء البهجة و شرف المنزلة وقف وانفل وتلاشى و اضمحل.

و الثانية : شعراء التدفق و الغزارة في البديهة و الروية " و منهم الكارع في بحر الغزارة القادح بشعاع البراعة الذي يمر مر السيل في اندفاعه والشؤبوب في انصبابه، لا يشكو الفشل، و لا يكل على طول العمر، إذا ازدحمت عليه الصعاب و الغرائب استقل بها كاهله، و اضطلع بثقلها غاربة، و أعارها شعاع بهائها، و بقى كالقوة في المرقب سام نظره، قد ضم جناحيه ووقف على مخلبه، لا تتاح له جارحة إلا اقتصها، و لا تنازله طائرة إلا اختطفها جرأته كشفرته، و بديهته كفكرته، فذلك الألسن يوم حرب الكلام لا تخطئ ضربته و لا تصاب غرته.

الثالثة: شعراء الصنعة المهرة ذوي الحيلة في الزخرفة و لكنهم لا يصيبون من الإحسان إلا قليلا. و منهم من يتجافى الكلام، و يروغ عن المقال، فإذا منى به أخذ بأطراف المحاسن و شارك في أنحاء الصنعة

وجل ما عنده تلفيق و حيلة، و بذلك يصاحب الأيام و يجاري أبناء الزمان ما كان له عقل يغطي على نقصان، و سياسة يسوس بها فحول زمانه." [1]

و لا يخفى أن الطبقة الثانية عند ابن شهيد هي التي تحقق فيها عيار البديهة من انصباب و غزارة و هي التي جمعت بين بهاء الشكل وإصابة الغرض في المضمون.

و خلاصة هذه القضية؛ أن ابن شهيد قد مال إلى الطبع و بخاصة في المواقف التي فيها مناقشات و محاورات، فلا مكان له فيها للصنعة والتروي و إعادة النظر.

و قد وضع المعري الطبع و الموهبة شرطين يجب توفرهما في الشاعر. وكلاهما اشترط بعد الطبع الأخذ بالحظ الوافر من الثقافة اللغوية..

5- ثنَائِيَّة اللَّفظ و المعنى

إن قضية اللفظ و المعنى من القضايا النقدية الكبرى التي أثارت اهتمام النُقَّاد لما فيها من صراع و جدال؛ دافع فيها أنصار كل فريق عن ميوله و آرائه ، فمنهم من آثر جمال البنية و الإيقاع والصورة؛ و منهم من اهتم بالمعنى و ما يَحوِيهِ الموضوع من حكمة بليغة لم يسبقه أحد إليها كما آثر فريق آخر التَّوسُّط في الأمر لأنه يصعب على المرء تصور أحدهما

[1]- الذخيرة 1/1 : 203-204.

دون الآخر. و هذا ما يدفعنا إلى التساؤل و البحث في آراء كل من ابن شهيد و المعري النقدية لمعرفة أي فريق يناسب آراءهما.

و من الإجحاف أن نذكر هذه القضية و لا نورد اسم الجاحظ فيها؛ و هو الذي فسح المجال للنقاد و الأدباء كي يدرسوا تلك الثنائية التي ما لبثت تميد بهم إلى الاعتقاد بوجود الاستقلال بين قطبيها في عملية الإبداع.

يقول الجاحظ :"المَعَانِي مَطروحة في الطَّريق، يعرفها العَجَمِي والعربيّ والبَدَوِيّ و القَرَوِيّ، و إنما الشأنُ في إقامة الوَزن، و تَخَيُّر اللفظ وسهولة المَخرج، و في صِحَّة الطَّبع، و جودة السَّبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج و جنس من التصوير."[1]

فيرى بعض النقاد أن الجاحظ أحد المتعصبين للألفاظ على حساب المعاني لقوله: " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي القروي والبدوي "..ولكن لابد من توضيح أي المعاني قصد في مقولته؟

فالمعاني التي قصدها الجاحظ هي تلك المعاني العادية الشائعة بين عامة الناس ولم يقصد تلك المعاني المبتكرة و الأفكار المبتدعة، و لهذا إذا تساوى الناس في المعاني فإنهم يتفاضلون في النظم و اختيار الألفاظ المناسبة.[2]

---

[1]- كتاب الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتاب ، لبنان ، ط3،1969 : 130-131.

[2]- ينظر النقد الأدبي عند الجاحظ، محمود الأطرش،ط1،مكتبة ربيع، حلب ، 1979م : 174.

و منه فإن الجاحظ لم يكن منحازا إلى الألفاظ، بل وجد أن حاجة الأديب إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ و لهذا أعطى لكل منهما حقه.[1]

كما بين عبد القاهر الجرجاني أن قيمة اللفظ تكمن في موقعه من النظم ومساعدته على إدراك المعنى الكلي لا من حيث دلالته اللفظية المفردة فقال:" فإنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع و نراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل و لا كثير وإنما كان كذلك لأن المزية التي من أجلها نصف اللفظ-في شأننا في هذا- بأنه فصيح، مزية تحدث بعد أن لا تكون، و تظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم، و هذا شيء إن أنت طلبته فيها- وقد جئت بها أفرادا لم تَرُم فيها نظما و لم تحدث لها تأليفا – طلبت محالا."[2]

بيد أن ابن الأثير خالف هذا الرأي مستندا في ذلك إلى طبيعة الإدراك فهو يعتقد بأن جمال اللفظ المفرد يدرك إدراكا حسيا؛ و أنه المعول عليه في الفصاحة يقول: " إن أرباب النظم و النثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا و قسّموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه؛ فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها و بيانها، فالفصيح إذًا من الألفاظ هو الحسن ولو كانت الفصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة

---

[1]- ينظر المرجع نفسه : 173-175.

[2]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، دار المنار ، مصر، 1367هـ، ط4: 307-308.

عليه سواء ليس منها حسن و منها قبيح، و لما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى." [1]

أما ابن رشيق فقد جعل اللفظ و المعنى في مكانة واحدة، و اعتبرهما معا شرطين في جمال النص الشعري إذ يقول :" اللفظ جسم و روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، و يقوى بقوته فإذا سلم المعنى و اختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر ، و هجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج و الشلل و العور و ما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، و كذلك إذا ضعف المعنى و اختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ... ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ و جريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم...فإن اختل المعنى كله و فسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإذا كان حسن الطلاوة في السمع ...وكذلك إن اختل اللفظ جملة و تلاشى لم يصلح له معنى لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة."[2]

أما ابن خلدون فيرى أن اللفظ هو الأصل في صناعتي النظم و النثر وأن المعاني تابعة له، في قوله:" اعلم أن صناعة الكلام، نظما و نثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، إنما المعاني تبع لها وهي أصل."[3]

---

[1]- المثل السائر/1 : 142-143.

[2]- العمدة / 1 :124.

[3]- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ،ط1، القاهرة،1425هـ– 2004م: 736.

أمـا ابـن عبـد ربـه فقـد ربـط سـلامة الكـلام مـن التكلـف و التعقيـد ببـديع المعنـى الذي تكون ألفاظه موثقة شريفة.[1]

و قـد أورد رأيـه هـذا حـين قـال:" كلمـا احلـولى الكـلام، و عـذب و راق وسـهلت مخارجـه، كـان أسـهل ولوجـا فـي الأسـماع، و أشـد اتصـالا بـالقلوب و أخـف علـى الأفـواه؛ لا سـيما إذا كـان المعنـى البـديع مترجمـا بلفـظ موثـق شريف، لم يسمه التكلف بميسمه، و لم يفسده التعقيد باستغلاقه."[2]

إن مـا يهمنـا فـي هـذه القضـية هـو رأي ابـن شـهيد و المعـري؛ و قـد كـان ابـن شـهيد مـن الـذين أدلـوا بـآراءهم فـي قضـية اللفـظ و المعنـى حيـث قـال:" وإنمـا يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان وتعمد كرائم المعاني والكلام*"[3]

فالألفـاظ و المعـاني عنـده تتسـاوى مـن حيـث الأهميـة و لكـن المهـم أن يختـار الأديب الجيد منهما."[4]

لقـد تعـرض ابـن شـهيد إلـى نقـد الشـعر فمـدد موقفـه مـن اللفـظ و المعنـى فـأدرك الصـورة الأدبيـة التـي تعـد النتيجـة النهائيـة لكـل مـن اللفـظ و المعنـى و بـين أنهمـا يشـتركان فـي أبرزهمـا و أن أي تـأثير علـى أحـدهما يـؤثر علـى كمـال

---

[1]- ينظر النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمعري ، هدى شوكة بهنام،ط4، دار الرائد العربي ، بيروت، 1977-1984 : 199.

[2]- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2007م-1428هـ / 4 : 235.

[*]- عبر ابن شهيد عن الألفاظ بالكلام .

2- الذخيرة 1 / 1 : 266.

[4]- ينظر ابن شهيد الأندلسي و جهوده في النقد الأدبي ، عبد الله سالم المعطاني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر:65.

تلك الصورة يقول:" و من الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام ويفتش عن شرف المعاني.

و ينظر مواقع البيان. و يحترس من حلاوة خداع اللفظ، و يدع تزويق التركيب. و يراطل بين أنواع البديع. و يمثل أشخاص الصناعة.. ثم يقول أن الحروف أنسابا و قرابات تبدو في الكلمات. فإذا جاوز النسيب النسيب و مازج القريب القريب طابت الألفة و حسنت المناظر و طابت المخابر. و كما ختار مليح اللفظ و رشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو و فصيح الغريب و تهرب من قبيحه."[1]

ويرى ابن شهيد أن أي تأثير على اللفظ أو المعنى يؤثر على الصورة الأدبية التي هي بالنتيجة مزيج من كل منهما.[2]

و يشير ابن شهيد أيضا إلى ناحية مهمة و هي " الإحتراس من خداع الألفاظ حلاوتها إذا كانت لا تحمل معنى كريما أو كان من الممكن التعبير عن هذا المعنى بجملة واحدة فيعبِّر بعشرات الجمل مما يؤدي إلى تكرير الألفاظ وتعدد الأسماء دون الحاجة إلى ذلك إذا أخذنا بعين الإعتبار أن البلاغة في الإيجاز بأن تكون الألفاظ على قدر معناها دون زيادة أو نقصان."[3]

---

[1]- الذخيرة 1 / 1: 265.

[2]- ينظر ، ابن شهيد الأندلسي و جهوده في النقد الأدبي:66.

[3]- المرجع السابق: 67.

***- الكنهور من السحاب المتراكب الثخين، قال الأصمعي وغيره ، هو قطع من السَّحاب أمثال الجبال (لسان العرب، ابن منظور: 217.)**

يقول ابن شهيد:" فقد ترى الشعر فضّيّ البشرة و هو رصاصي المكسر ذا ثوب معضد أو مهلهل، و هو مشتمل على بهق أو برص مبنيا بلبن التماثيل، و صفوان التهاويل، و هو لا يجن صاحبه عن النسيم فضلا عن الحرجف، و لا يقيه رقيق ريق الندى فضلا عن شؤبوب الكنهور* و قد ملحته ملاحة الأسماء و انقد فيه الهوى واضطرمت في جانبه نيران الجوى، و لمع فيه البرق، و استن فيه الودق، و سفحت عليه الدموع وبان فيه الخشوع، و هو (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)[1] لا يستحق صاحبه غير أن يكون تلعابة أو صاحب براعة." [2]

فابن شهيد ينصح بالبحث عن اللفظ الرائق و المعنى الرفيع ليحصل باجتماعهما البيان؛ و يحذر من تزويق اللفظ و بهرجته بما يذهب بأصالته.[3]

فهو قد فهم قضية اللفظ و المعنى فهما واضحا و لم يفصل بينهما بل ساوى بينهما من حيث الأهمية.

و نجد الأمر نفسه عند المعري الذي لا يبتعد في رأيه عن ضرورة الملائمة بين اللفظ و المعنى حتى تحصل الجودة في الإبداع بهما معا.

---

[1]- سورة:

[2]- الذخيرة 1 / 1 : 266 .

[3]- ينظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية: 304-305 .

و يتجلى لنا رأيه حين عاب على الشعراء استعمالهم من الألفاظ ما كان غير متمكن في دلالته على المعنى و من ذلك انتقاده للحارث اليشكري إذ قال له :" لقد أتعبت الرُّواة في تفسير قولك:

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العِيرَ مُوَالٍ لَنَا وَ أَنَا الوَلاَءُ

و ما أحسبك أردت إلا العير الحمار."[1]

المراد هنا أن استعمال الشاعر للفظة العير جعلت المعنى بعيدا عن الفهم كون هذه الكلمة تطلق على السيد كما يراد بها الحمار؛ و الحارث في هذا البيت أراد بها السيد وهو كليب وائل، ولكن مقصوده هذا لا تقبله كل الأذهان فهناك من يفهم الكلمة بمعناها الثاني ، فكان الأولى به أن يعبر عن المعنى بلفظ يناسبه بعيدا عن التعقيد و التكلف.[2] لأن " للمعاني ألفاظا تُشاكلها فتحسن فيها و تقبح في غيرها"[3] و هذا ما عبر عنه بشر بن المعتمر في قوله:" و من أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف و من حقهما أن تصونها عما يفسدهما و يهجنهما."[4]

و يواصل أبو العلاء توكيده ضرورة مشاكلة الألفاظ للمعاني حيث جعله هذا ينصرف بانتقاده إلى من لا يحسن إقامة الصفة مقام موصوفه و من

---

[1]- رسالة الغفران : 232.

2- ينظر : المعنى النقدي في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري – نقد الشعر دراسة و تحليلا، حاج ميمون نسيمة ،رسالة الماجستير، اشراف محمد زمري، جامعة تلمسان:2007 / 2008م : 63.

[3]- عيار الشعر، ابن طباطبا:46.

[4]- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، محمد زغلول سلام، دار المعارف ، القاهرة ، 1964م، / 1 : 67.

ذل قولـــه لعـــديّ:" جئـــت بشـــيئين مـــن شـــعرك وددت لـــو أنـــك لـــم تـــأتي بهمـــا أحدهما قولك:

فَصَافَ يُفَرِّي*جُلَّهُ* عَنْ سَرَاتِهِ يَبُذُّ الرِّهَانَ فَارِهاً*مُتَتَابِعًا"[1]

و مأخـــذ المعـــري علـــى عـــدي فـــي هـــذا البيـــت هـــو أنـــه لـــم يقـــم الصـــفة مقـــام موصوفها حين نعت الفرس بالفاره وهو نعت للحمار و البغل.

و قـــد عابـــه الأصـــمعي علـــى ذلـــك أيضـــا فـــي قولـــه:" كـــان عـــدي لا يحســـن أن ينعـــت الخيـــل...و لا يقـــال للفـــرس فـــاره و إنمـــا يقـــال لـــه جـــواد و عتيـــق و يقـــال للبغـــل والحمـــار فـــاره"[2] فعـــدي جانـــب الدّقـــة فـــي وصـــفه فلـــم تـــؤد اللفظـــة وظيفتهـــا و غايتها من المعنى المراد.

و أكـــد المعـــري فـــي موضـــع آخـــر أن المعنـــى الســـليم يكـــون فـــي إســـناد الصـــفة إلى موصوفها فنطق على لسان النابغة الذبياني معلقا على بيته:

زَعَمَ الهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذْبٌ، إِذْ مَا ذُقْتَهُ قُلْتَ ازْدَدِ.

زَعَمَ الهُمَامُ وَ لَمْ أَذُقْهُ بِأَنَّهُ يَشْفَى بِبَرْدِ لَثَّاتِهَا العَطِشُ الصَدِي[3]

***- يفري : يشق**
***- جله: ما يلبسه الفرس على ظهره و الضمير عائد إلى فرس الشاعر الموصوف.**
***- الفاره : النشيط و هو نعت للحمار و البردون.**
1- رسالة الغفران: 200.
2- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة:115.
3- ديوان النابغة الذبياني : تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت:41.
***- الهمام : الملك الهمام أي السيد الشجاع.**

فقال :" فرأيتُ أن أسند الصفة إليه فأقول زعم الهمام إذ كنت لو تركت ذكره لظن السامع أن صِفتَي على المشاهدة و الأبيات التي جاءت بعد داخلة في وصف الهمام* فمن تأمل المعنى وجده غير مختل."[1]

فإسناد النابغة للصفة في هذين البيتين للهمام يجعل المعنى غير مختل موافقا لمعنى الأبيات التي تليها حيث أنه أسند صفة الهمام للملك ، ولو أسند لنفسه صفة المشاهدة لتذبذب المعنى و ابتعد عن الأفهام.

و إذاً؛ فإن ابن شهيد و المعري قد أعطى كل منهما رأيه في هذه القضية فالأول كان واضحا في جعله الألفاظ و المعاني درجة واحدة من حيث الأهمية و لم يفصل بينهما، و أكد على ضرورة استخدام الألفاظ على قدر معانيها دون زيادة أو نقصان لتجنب التكرار.

كما أكد أيضا على ضرورة جمع المعنى الكريم في اللفظ الكريم و حذَّر من تزويق اللفظ بما يذهب بأصالته و نصاعته.

كما أصر المعري كذلك على عدم الفصل بينهما، لأن الألفاظ هي عيون المعاني وسبيلها لإبراز مقاصدها؛ و المهم عنده أن تشاكل الألفاظ المعاني لتكون قريبة إلى الأفهام بعيدة عن التعقيد.

المبحث الثاني: التفرد و التجديد في القضايا النَّقدية عند ابن شُهيد والمعرِّي:

لقد ارتأينا في هذا المبحث أن نذهب مع ابن شهيد و المعري إلى القضايا التي تفرد بها كل منهما و البدء مع ابن شهيد في رأيه في السجع الذي يبدو أنه لا يؤيده و إنما اتخذه أسلوبا في الكتابة و السبب راجع لذوق عصره و إعجاب أهله بالسجع؛ و هذا ما يوضحه الحوار الذي دار بينه وبين تابعة الجاحظ في قوله:" فقال: إنك لخطيب وحائك للكلام مجيد، لو لا أنك مغرى بالسجع فكلامك نظم لا نثر. فقلت في نفسي: قرعك بالله بقارعته، و جاءك بمماثلته. ثم قلت له: ليس هذا، أعزك الله، مني جهلا بأمر السجع، و ما في المماثلة والمقابلة من فضل، و لكني عدمت ببلدي فرسان الكلام ودهيت بغباوة أهل الزمان ، و بالحرا أن أحركهم بالازدواج .

و لو فرشت للكلام فيهم طولقا*، و تحركت لهم حركة مشوا لم، لكان أرفع لي عندهم و أولج في نفوسهم."[1]

و يضيف:" فقال: أهذا على تلك المناظر، و كبر تلك المحابر، و كمال تلك الطياليس؟ قلت: نعم، إنها لحاء الشجر، و ليس ثم ثمر و لا عبق. قال لي : صدقت، إني أراك قد ماثلت معي. قلت: كما سمعت. قال: فكيف كلامهم بينهم؟ قلت: ليس لسيبويه فيه عمل، و لا للفراهيدي * إليه طريق، و لا للبيان عليه سمة. إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس

***- الطولق : نبات.**

1- رسالة التوابع و الزوابع : 116.

***- الفراهيدي أي الخليل.**

***- صلى : أنثى الفرس في الرهان بعد السابق. الكودن : الفرس الهجين.**

و النـــبط. فصـــاح: إنـــا لله، ذهبـــت العـــرب و كلامهـــا! ارمهـــم يـــا هـــذا بســـجع الكهـــان، فعســـى أن ينفعـــك عنـــدهم، و يطيـــر لـــك ذكـــرا فـــيهم. و مـــا أراك ، مـــع ذلك إلا ثقيل الوطأة عليهم، كريه المجيئ إليهم.

فقـــال الشـــيخ الـــذي إلـــى جانبـــه، و قـــد علمـــت أنـــه صـــاحب عبـــد الحميـــد، و نفســـي مرتقبـــة إلـــى مـــا يكـــون منـــه، لا يغرنـــك منـــه، أبـــا عيينـــة، مـــا تكلـــف لـــك مـــن المماثلـــة إن الســـجع لطبعـــه وإن مـــا أســـمعك كلفـــة. و لـــو امتـــد بـــه طلـــق الكـــلام وجرت أفراسه في ميدان البيان لصلى كودنه*، و كل برثنه."[1]

و هـــذا دليـــل علـــى موقفـــه الســـلبي مـــن الســـجع الـــذي يرمـــي فيـــه أبنـــاء عصـــره بالجهـــل لحـــبهم المتنـــاهي للســـجع، لأن هـــذا يجعـــل اهتمـــامهم منصـــبا علـــى الشـــكل دون الجوهر.

و أمـــا القضـــية الأخـــرى فهـــي المعارضـــة التـــي عـــدها ابـــن شـــهيد ســـمة مـــن ســـمات التفـــوق؛ و أن الشـــاعر الـــذي يعـــارض الشـــعراء القـــدماء شـــاعر مجيـــد و بـــارع فقـــال فـــي تضـــاعيف ترجمتـــه لعبـــد الـــرحمن بـــن أبـــي فهـــد إنـــه" غزيـــر المـــادة واســـع الصـــدر، حتـــى إنـــه لـــم يكـــد يبقـــي شـــاعرا جاهليـــا و لا إســـلاميا إلا عارضـــه وناقضـــه، و فـــي كـــل ذلـــك تـــراه مثـــل الجـــواد إذا اســـتولى علـــى الأمـــد، لا ينـــي ولا يقصر..."[2]

---

[1]- رسالة التوابع و الزوابع : 117.

[2]- جذوة المقتبس : 277.

فقد اتخذ ابن شهيد مذهب المعارضة منافسة و تحديا و إثباتا للذات إزاء شعراء المشرق لا تبعية و تقليد. فقد كان التحدي أحد دوافعه إلى المعارضة؛ لإثبات مقدرته الفنية وتفوقه.[1]

كذلك بحث ابن شهيد في طبيعة علم الجمال، ينتهي منه إلى القول بأن طبيعة الجمال غير قابلة للحليل فيقول:" و إصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب، و استيفاء مسائل النحو، بل بالطبع مع وزنه من هاذين ومقدار طبع الانسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه من جسمه، فمن كانت نفسه في أصل تركيبه مستولية على جسمه، كان مطبوعا روحانيا يطلع صور الكلام و المعاني في أجمل هيئاته و أروق لباساتها، و من كان جسمه مستوليا على نفسه من أصل تركيبه و الغالب على حسه، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا من الدرجة الأولى في الكمال و التمام وحسن الرونق و النظام، صور رائقة من الكلام تملأ القلوب و تشغف النفوس. فإذا فتشت لحنها أصلا لم تجده و لجمال تركيبها أُسا لم تعرفه. و هذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير الحسن، كقول امرئ القيس:

(ألا عم صباحا أيها الطلل البالي)[2]

كما أقر ابن شهيد " بتغير العادة حسب تغير الأزمنة، و بأن ما يصلح في عصر ربما لم يبق صالحا في عصر آخر."[3]

---

[1]- ينظر استيحاء التراث في الشعر الأندلسي ، إبراهيم منصور محمد الياسين : 115.

[2]- مقدمة ديوان ابن شهيد : 70.

[3]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس :482.

فيقـول :" ألا تـرى أن الزمـان لمـا دار كيـف أحـال بعـض الرسـم الأول فـي هـذا الفـن إلـى طريقـة عبـد الحميـد و ابـن المقفـع و سـهل بـن هـارون و غيـرهم مـن أهل البيان ؟

فالصـنعة معهـم أفسـح باعـا و أشـد ذراعـا وأنـور شـعاعا، لرجحـان تلـك العقـول واتسـاع تلـك القـرائح فـي العلـوم، ثـم دار الزمـان دورانـا ، فكانـت إحالـة أخـرى إلـى طريقـة إبـراهيم ابـن العبـاس و محمـد بـن الزيـات و ابنـي وهـب ونظـرائهم، فرقـت الطبـاع و خـف ثقـل النفـوس، ثـم دار الزمـان فـاعترى أهلـه باللطـائف صـلف، و برقـة الكـلام كلـف فكانـت إحالـة أخـرى إلـى طريقـة البـديع و شـمس المعـالي وأصـحابهما و كـذلك الشـعراء انتقلـوا عـن العـادة فـي الصـنعة بانتقـال الزمـان و طلـب كـل ذي عصـر مـا يجـوز فيـه و تهـش لـه قلـوب أهلـه؛ فكـان مـن صـريع الغـواني و بشـار و أبـي نـواس وأصـحابهم فـي البـديع مـا كـان مـن اسـتعمال أفانينـه والزيـادة فـي تفريـع فنونـه ثـم جـاء أبـو تمـام فأسـرف فـي التجنـيس و خـرج عـن العـادة و طـاب ذلـك منـه و امتثلـه النـاس فكـل شـعر اليـوم لا يكـون تجنيسـا أو مـا يشـبهه تمجـه الآذان والتوسـط فـي الأمـر أعـدل؛ و لـذلك فضـل أهـل البصـرة صـريع الغـواني علـى أبـي تمـام لأنـه لـبس ديباجـة المحـدثين علـى لأمـة العـرب، فتركـب لـه مـن الحسـن بينهمـا مـا تركب."[1]

[1]- الذخيرة 1/1 : 203.

و كـــذلك تحـــدث ابـــن شـــهيد عـــن أثـــر الضـــروف السياســـية و الاجتماعيـــة فـــي الأذواق و الملكـــات و بالتـــالي فـــي النتـــاج الأدبـــي، و بـــيّن أن إفســـاد الأزمنـــة ونبـــو الأمكنـــة و انتشـــار الفـــتن تجعـــل الفهـــم ســـلعة بـــائرة و الفـــن صـــفقة خاســـرة يقـــول:" لا كقـــوم عنـــدنا حظهـــم مـــن الفهـــم الحفـــظ، و مـــن العلـــم الـــذكر و هـــذا حـــظ القصـــاص و أعلـــى مراتـــب انـــواح فتـــرى الممخـــرق مـــنهم إذا قـــرئ عليـــه الشـــعر يـــزوي أنفـــه و يكســـر طرفـــه. و إذا عرضـــت عليـــه الخطبـــة يميـــل شـــقه، و يلـــوي شـــدقه.. و أصـــل قلـــة هـــذا الشـــأن و عـــدم البيـــان ، فســـاد الأزمنـــة و نبـــو الأمكنـــة.. و إن الفتنـــة نســـخ للأشـــياء مـــن العلـــوم و الأهـــواء، تـــرى فيهـــا الفـــم بـــائر الســـلعة خاسر الصفقة يلمح بأعين الشنان و يستثقل بكل مكان".[1]

و مـــن القضـــايا التـــي تفـــرد بهـــا المعـــري قضـــية "الانتحـــال" فـــي الشـــعر ، فقـــد اهـــتم المعـــري بصـــحة نســـبة العمـــل الأدبـــي إلـــى صـــاحبه. و كـــان يســـلك مســـلكا علميـــا دقيقـــا فـــي قبـــول الروايـــة أو رفضـــها، و مـــن ذلـــك الأشـــعار المنســـوبة إلـــى الجـــن أو إلـــى آدم عليـــه الســـلام أو إلـــى الأمـــم البائـــدة كعـــاد و ثمـــود. يقـــول علـــى لســـان ابـــن القـــارح و امـــرئ القـــيس:" أخبرنـــي عـــن هـــذا التســـميط المنســـوب إليـــك ، أصحيح هو عنك، و ينشده الذي يرويه بعض الناس:

يا صحبنا عرجوا تقف بكم أسج

مهرية دلج في سيرها معج

[1]- المصدر السابق 1 /1 : 197.

فيقــول : لا و الله مــا ســمعت هــذا قــط ، و إنــه لفــرى لــم أســلكه ، و إن الكــذب لكثيــر. وأحســب هــذا لــبعض شــعراء الإســلام ، و لقــد ظلمنــي و أســاء إلــي : أبعد حكمتي التي أولها :

ألا أنعم صاحبا أيها الطلل البالي و هل ينعمن من كان في العصر الخالي

و قــولي :

خليلي مرا على " أم جندب" لأقضي حاجات الفؤاد المعذب

يقــال لــي مثــل هــذا ؟ و الرجــز مــن أضــعف الشــعر، و هــذا الــوزن مــن أضــعف الرجز"[1]

فــأبو العــلاء يضــع هــذا التســميط جنبــا إلــى جنــب مــع شــعر امــرئ القــيس أمــام القارئ،و يبين ما بينهما من تفاوت، ليصل بنا إلى نتيجة لا شك فيها.[2]

و مــن النتــائج التــي توصــل إليهــا، باعتمــاد هــذا المــنهج، مــا وصــل إليــه بعــد موازنتــه بــين "عــدي بــن زيــد العبــادي" و " طرفــة بــن العبــد " فــي بيــت مــن الشــعر ينســب إليهمــا معــا[3]، فيقــول فــي حكمــه عليــه مخاطبــا طرفــة :" و هــو بكلامك أشبه" [4]

***- أي ابن القارح**
1- رسالة الغفران : 230-231.
[2]- ينظر ، نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 85.
[3]- ينظر نثر أبي العلاء ، صلاح رزق : 85.
[4]- رسالة الغفران : 251.

كما تطرق بالنقد إلى قضية " الرجز" الذي حقر من منزلته بأن جعل للرجاز بيوتا منخفضة ليس لها سموق أبيات الجنة؛ فقال ابن القارح حين مر بها:" لقد صدق الحديث المروي و إن الرجز لمن سفاسف القريض."[1]

و هذا ما جعله يعيب قوافي رؤبة على لسان ابن القارح حين قال: " ما كان أكلفك بقواف ليست بالمعجبة، تصنع رجزا على الغين و رجزا على الطاء و على الظاء وعلى غير ذلك من الحروف النافرة."[2]

و يضيف قائلا: " لو شبك رجزك و رجز أبيك لم تخرج منه قصيدة مستحسنة، و قد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق."[3]

كما أن استحسان المعري لأوزان الشعر جعله يعقد لها المجالس فاستساغ الأوزان الغنائية والمجزوءة التي تقاس ألحانها بمقاييس العروض، و من ذلك ما جاء في غفرانه عند ما عقد مجلسا مع قينة وهي تلحن قول المخبل السعدي فيبهره غناؤها فيقول متأثرا: " فلا يمر حرف و لا حركة إلا ويوقع مسرة لو عدلت بمسرات أهل العاجلة منذ خلق الله آدم إلى أن طوى ذريته من الأرض لكانت الزائدة على ذلك."[4]

---

[1]- المصدر السابق : 373-377.
[2]- نفسه : 375.
[3]- نفسه: 367-368.
[4]- نفسه: 225.

كما أشار أن الزحاف جائز و ليس بمكروه عند الشعراء الفحول و ذلك في قوله على لسان امرئ القيس:"... و إنما حملهم على التشديد كراهة الزحاف وليس عندنا بمكروه."[1]

فهذه الرخصة قد أجازها المعري للشعراء الجاهليين المخضرمين لا سيما الفحول منهم لأنهم كانوا في نظره ينظمون أشعارهم على أوزان يدركونها بالغرائز، فإن حدث خلل في الوزن ووقع هؤلاء في الزحاف فلا إنكار عليهم إن لم يفرطوا في ذلك.

و لأن أبا العلاء كان حريصا على ضرورة ترفع الشعر عن كل ما يخل بالأخلاق نجده يذم الأغراض المنحرفة كالتشبيب.[2]

كما استقبح الأبيات التي فيها فحش و مجون ، من ذلك قوله على لسان النابغة الجعدي للأعشى" لحقك أن تكون في الدرك الأسفل من النار ولقد صلى بها من هو خير منك و لو جاز الغلط على رب العزة لقلت إنه غلظ بك ألست القائل ؟:

و دخلت إذ نام الرقيـ ـب فبت دون ثيابها

حتى إذا ما استرسلت للنوم بعد لعابها."[3]

و قد انتقد كثيرا من القراءات التي قرأها، و سلك في نقده الطريق التي سلكها في نقده المفردات. و مثال ذلك قوله:" إن حيّة كانت تسكن في دار

---

[1]- المصدر السابق : 315.

[2]- ينظر المصدر السابق في معرض حديثه على لسان النابغة الذبياني:205.

[3]- نفسه : 230.

الحسن البصري، فيتلو القرآن ليلاً: فتلقت منه الكتاب من أوَّله إلى آخره. فيقول لها ابن القارح: كيف سمعته يقرأ "فالق الإصباح)[1]، فإنه روي عنه بفتح الهمزة كأنَّه. جمع صبح، و كذلك (بالعشي و الابكار)[2] كأنه جمع بكر...؟ فنقول: لقد سمعته يقرأ هذه القراءة .. فلما توفي انتقلت إلى جدار في دار أبي عمرو بن العلاء، فسمعته يقرأ فرغبت عن حروف من قراءة الحسن كهذين الحرفين، و كقوله الأنجيل بفتح الهمزة فلما تُوفيَّ أبو عمرو كرهت المقام، فانتقلت إلى الكوفة؛ فأقمت في جوار حمزة بن حبيب، فسمعته يقرأ بأشياء ينكرها عليه أصحاب العربيَّة، كخفض "الأرحام" في قوله تعالى(وَ اتَّقُوا اللَّهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَام)[3] وكسر الياء في قوله تعالى(وَ مَا أَنْتُم بِمُصْرِخِي)[4] و كذلك سكون الهمزة في قوله تعالى(اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَ مَكر السَّيئ)[5] و هذا إغلاق لباب العربيَّة، لأنَّ القرآن ليس بموضع ضرورة، و إنما حكي مثل هذا في المنظوم..."[6]

فقد كان للآراء الخلقية حضور في غفرانه؛ فجمع بذلك بين النقد والفلسفة و الأخلاق والدين والشعر و النحو و الصرف و العروض فكان ناقدا شاملا أكثر من ابن شهيد مع أن كليهما قد أسهم بنقده و فنه في الارتقاء بالشعر و النقد معا.

---

[1]- سورة الأنعام: الآية 96.
[2]- سورة آل عمران، الآية : 41.
[3]- سورة النساء، الآية: 01.
[4]- سورة ابراهيم، الآية: 22.
[5]- سورة فاطر، الآية: 43.
[6]- رسالة الغفران: 288.

و إذا ما أجرينا موازنة بين الناقدين في القضايا النقدية التي شغلتهما نجد أن ابن شهيد قد نظر إلى قضية اللفظ و المعنى بأنهما الصورة الأدبية وأي تأثير فيهما يؤثر بالصورة، و عنده الألفاظ تساوي المعاني باختيار الجيد منهما. و عنده اللفظ الرائق زائد المعنى الرفيع يساوي البيان، كما أنه يحذر من تزويق اللفظ و بهرجته لأن ذلك يذهب بأصالته. أما المعري فعنده اللفظ زائد المعنى يساوي الجودة في الإبداع، كما ينادي بمشاكلة الألفاظ للمعاني، و إسناد الصفة لموصوفها حتى يكون المعنى سليما وقريبا للفهم.

أما قضية الإلهام فإن كل من ابن شهيد و المعري قد أخذت عندهما منحى الهزل والسخرية ولكن ابن شهيد ساوى بين الكتاب و الشعراء حينما جعل التوابع لكليهما كما جعل لنفسه تابعين مخترقا بذلك الفكرة السائدة بقول تابع واحد. أما المعري فعنده العبقرية الشعرية وحدها من صنع الشاعر.

أما السرقات الشعرية فإن ابن شهيد قد جعل الأخذ الحسن ليس بسرقة كما أباح أخذ المعنى الذي تفرد به أصحابه بشرط تغيير وزنه. و قد استخدم مصطلح(أخذ) بدل (سرقة)، أما المعري فتعامل مع القضية بحذر وإنصاف و هو كذلك استخدم (أخذ) بدل (سرقة)، و لم تشمل رسالته رأيا في هذا الموضوع سوى بعض التلميحات.

و إذا ما جئنا بقضية الطبع و الصنعة فنجد ابن شهيد و المعري قد اتفقا في الآراء فنجد أن كليهما يميل إلى الطبع و السرقة، و كلاهما اشترط بعد

الطبع الأخذ الوافر من الثقافة اللغوية وابن شهيد عنده الطبع يساوي البديع و الارتجال؛ و لا ينكر قيمة الصنعة المعتدلة. و المعري عنده الطبع إضافة للموهبة تكون شاعرا مجيدا.

و أخيرا قضية القديم و المحدث، نجد أن ابن شهيد عنده القديم و المحدث متساويان ويفصل بينهما الأسلوب الذي هو الفصاحة و العذوبة و جيد النظم.

أما المعري فيميل إلى القديم من حيث الشكل (عمود الشعر) وعند اللغة هي الفيصل بين القديم والمحدث كما يثني على المحدث من حيث التجديد في المعاني الشعرية.

هذه جل الآراء النقدية التي عالجها الرجلين فاتفقا في بعضها، و اختلفا في البعض الآخر و لكنهما أثريا النقد العربي بتلك الآراء الجليلة.

خـــاتمـــة:

تَبيّنَ لنا من خلال هذا البحث أن المُوازنة بين ناقدين كابن شهيد والمعري جديرة بالبحث و الدِّراسة لأنهما استطاعا أن يُكوِّنا مواقف نقدية متميزة وارتادا قضايا نقدية لم يسبقهما إليها أحد.

- أمـــا بالنســـبة للتشـــابه بـــين الرّســـالتين؛ و بـــين النّاقـــدين فـــإنّي لا أجـــد أيَّ تشـــابه إلاّ في بعض المواطن ، و سأذكر فيما يلي أوجه الشبه والاختلاف:

- غايـــة ابـــن شـــهيد مـــن الرّســـالة إفحـــام خصـــومه و الكيـــد لحسّـــادة، أمّـــا المعـــري فغايتـــه مناقشـــة مـــا كـــان يشـــغل بالـــه و عصـــره مـــن أمـــور دينيـــة وفلســـفية ولغويـــة و نقدية، إضافة إلى الرّد على منتقديه الذين اتهموه بالزندقة.

- أمـــا مصـــدر رســـالة التوابـــع و الزوابـــع فهـــو التـــراث الثقـــافي العربـــي القـــائم علـــى الأســـطورة القائلـــة بشـــياطين الشـــعراء، أمـــا مصـــدر رســـالة الغفـــران فهـــو التـــراث الـــديني و القـــرآن الكـــريم و الأحاديـــث النبويـــة و حادثـــة الإســـراء والمعراج.

- و التشـــابه كـــان فـــي الفكـــرة العامـــة التـــي تـــدور حـــول الرحلـــة إلـــى العـــالم الغيبي كما تناولا في رحلتيهما قضايا أدبية و نقدية.

- و بالنســـبة لتـــأثير الأحـــوال السياســـية عليهمـــا، فـــالمعري أثّـــرت فيـــه ســـلبًا ففضَّـــل العزلـــة و راح ينتقـــد أوضـــاع بـــلاده نقـــدًا صـــريحًا، أمّـــا ابـــن شـــهيد فلـــم يكن بصدق المعرّي ، بل كان يواكب عصره طمعا في بقاء لذته.

أما بالنسبة لشخصية كل منهما:

- فـــالمعري عـــاش حياتـــه كلهـــا زاهـــدا، ولـــم يتـــزوج، و حـــرّم علـــى نفســـه أكـــل اللّحـــوم ، و كـــان يصـــوم الـــدّهر ، و لـــم يلـــبس إلاّ الخشـــن مـــن الثيـــاب ، أمـــا ابـــن شـــهيد فكـــان نقيضـــه ، فقـــد عـــاش حيـــاة بـــذخ و تـــرف و اعتـــاد اللّهـــو والخـــيلاء في الملبس و المأكل.

- فالمعري كان شديد التواضع، أما ابن شهيد فكثير التفاخر.

- أما بالنسبة للقضايا النّقدية فنجد أن ابن شهيد قد نظر إلى قضية اللّفظ والمعنى بأنّها الصّورة الأدبية ، أمّا المعري فينادي بمشاكلة الألفاظ والمعاني.

أما قضية الإلهام فقد أخذت عندهما منحنى الهزل و السّخرية فقد ساوى ابن شهيد بين الكُتَّاب و الشّعراء حينما جعل التوابع لكليهما؛ أما المعري فعنده العبقرية الشعرية من صنع الشاعر وحده.

- أما السرقات الشعرية فجعل ابن شهيد الأخذ الحسن ليس بسرقة ، أما المعري فتعامل مع القضية بحذر و إنصاف.

- كلاهما يميل إلى الطبع و السليقة و كلاهما اشترط بعد الطبع الأخذ الوافر من الثقافة اللغوية.

- أما نظرتهما إلى معلّم اللّغة ، فكانت نظرة سلبية، إذ لا ثقة في عمل معلم اللغة كما رمام المعري بإفساد الشعر .

- أما قضية القديم و المحدث فنجد ابن شهيد يساوي بين القديم والمحدث ويفصل بينهما بالأسلوب الذي هو الفصاحة و العذوبة و جيد النظم ، أما المعري فيميل إلى القديم من حيث الشكل (عمود الشعر).

- و في النهاية فإن التشابه بين الرّسالتين مقتصر على الصياغة الأدبية وعلى الأسلوب الحواري الذي يجمع الخيال و الفكاهة و إنطاق الجن والحيوان ، و كلاهما قد أتى بالجديد إما في الصياغة أو الأفكار ، ولكن

بأســلوب مختلــف عــن الآخــر ، لأن لكــل كاتــب أســلوبه المتشــبع بثقافــة عصــره وبيئته.

قائمة المصادر و المراجع

* القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع
قائمة المصادر و المراجع

المصـــــادر:

01- رسالة التوابع و التوابع
02- رسالة الغفران

المراجـــــع:

01- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، للضبي/1.
02- البيان و التبيين، أبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام حمد هارون، القاهرة، 1949م/1
03- التقريب لحد المنطق، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959م.
04- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر، دار الكتاب المصري ، القاهرة، 1403هـ- 1983م.
05- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1412هـ-1992م.
06- دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، دار المنار، مصر، ط4، 1367هـ.
07- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، 1395هـ، 1/1.
08- رسائل أبي العلاء المعري، شاهي عطية
09- رسالة التوابع و الزوابع، لابن شهيد الأندلسي، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، 1400هـ- 1980م.
10- رسالة الغفران بين التصريح و التلميح، فوزي محمد أمين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،1993م.
11- الشعر و الشعراء، لأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ج1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1414هـ-1994م.
12- الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، ابن بشكوال، ج2، لجنة إحياء التراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
13- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي،
14- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1402 هـ- 1982م.
15- العمدة في صناعة الشعر و نقده، أبي علي الحسن ابن رشيق القيرواني، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ- 1983م.
16- عيار الشعر، ابن طباطبا،
17- الفصول و الغايات، أبي العلاء المعري، تحقيق: محمود زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
18- كتاب البديع، ابن المعتز، تعليق: إغناطيوس كراتشوقوفسكي، ط2، مكتبة المثنى، بغداد، 1399هـ، 1979م.
19- كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب، لبنان، ط3، 1969م.
20- اللزوميات، أبو العلاء المعري، بيروت، دار صادر، (د،ت).
21- المثل السائر/3
22- مطمح الأنفس و مسرح التأنس في مدح أهل الأندلس، أبو النصر محمد بن خاقان، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ، 1983م.
23- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد علي بن موسى الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف،ج2، ط1، دار المعارف، بيروت، 1964م.
24- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث،ط1، القاهرة، 1425هـ-2004م.

25- منهاج البلغاء و سراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
26- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، مجلد4، دار صادر، بيروت، ط1، 1988م.
27- الوساطة بين المتنبي و خصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
28- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م/1.
29- يتيمة الدهر في حاسن أهل العصر، أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1366هـ-1947م.
30- الابداع الفني، علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1985م
31- أبو العلاء المعري (حياته، نسبه، معتقده)، أحمد تيمور، لجنة التليف و الترجمة و النشر، القاهرة، دار الكتاب.
32- أبو العلاء المعري : زوبعة الدهور، مارون عبود، دار مارون عبود، ط3، 1970م.
33- أبو العلاء المعري ناقدا، وليد محمود خالص، وزارة الثقافة ، بغداد، 1982م.
34- الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ، دار الفكر، دمشق،ط1، 1421هـ، 2000م.
35- الأدب الأندلسي بين التأثر و التأثير، محمد رجب البيومي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، 1400هـ- 1980م.
36- الأدب و فنونه، عز الدين إسماعيل، ط5، دار الفكر العربي، 1973م.
37- الأدب في موكب الحضارة الاسلامية، مصطفى الشكعة.
38- ابن شهيد و جهوده في النقد، عبد الله سالم المعطاني، منشأة المعارف، الاسكندرية
39- استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف و المرابطين، ابراهيم منصور الياسين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006م.
40- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان، 1974م.
41- تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، عليان عبد الرحيم، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ.
42- تاريخ النقد الأدبي إحسان عباس،ط1، دار الثقافة، بيروت 1391هـ-1971.
43- تراثنا النقدي دراسة في كتاب الوساطة، السيد فضل.
44- تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار،ط3 ، دار المعارف ، مصر.
45- تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1405هـ-1985م.
46- تاريخ الفكر الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، دار الشروق ،ط1، عمان، الأردن، 1997م.

47- تاريخ الفكر الأدندلسي، آنخل جنثالث بالثنيا، ترجمة: حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م.
48- تجديد ذكرى أبي العلاء، طه حسين، دار المعارف، مصر ط8، 1922م.
49- تاريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة: ابراهيم الكيلاني، بيروت، ط2، 1984م.
50- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، 1964م/1.
51- جمالية المكاتبة في الأدب العربي، عبد الله المعاوي
52- الجامع في أخبار أبي العلاء المعري و آثاره، محمد سليم الجندي، ج2، دار صادر،، بيروت، ط2، بيروت، ط2، 1412هـ، 1992م.
53- درس السيمولوجيا، رولان بارت، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء،1993م.
54- رجعة أبي العلاء، عباس محمود العقاد، دار الهلال،ط2، 1966م.
55- السخرية في الأدب العربي(حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، نعمان محمد أمين طه، ط1، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، مص، 1978م.
56- السرقات الأدبية- دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية و تقليدها، بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت، 1986م
57- ساعات بين الكتب، العقاد، ط2، مكتبة النهضة، مصر/1.

58- الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل،ط3، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، 1981م.
59- الشعر الملحمي تاريخه و أعلامه، غريب جورج، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، رقم 6، دار الثقافة، بيروت.
60- الشعر الأندلسي، إميليو غارسيا غومس، ترجمة: حسين مؤنس، (د ط)، القاهرة 1969م.
61- شروح سقط الزند، أبي العلاء المعري، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، القاهرة، 1964م.
62- شروح ديوان الحماسة، المرزوقي، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ط1371،1هـ-1951م/1.
63- الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، أحمد جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، 1979م.
64- الظواهر المسرحية عند العرب، علي عقلة عرسان.
65- الظاهرة الدرامية و الملحمية في رسالة الغفران، أبو الحسن سلام، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، 2004م.
66- ظهر الاسلام، أحمد أمين، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425 هـ، 2005م.
67- عصر الدول و الإمارات في الأندلس، شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
68- على هامش الغفران، لوس عوض،
69- عبث الوليد، أبي العلاء المعري، الشركة المتحدة، دمشق، 1978م
70- فن الرسائل في الأب الأندلسي، العيسى مصطفى،
71- الفكاهة في الأدب الأندلسي، رياض قريحة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م.

72- في الميزان الجديد، محمد مندور، دار النهضة، مصر للطبع، القاهرة، 1983م.
73- في الأدب الأندلسي: بحوث في نقد الخطاب الابداعي، أشرف محمود نجا، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، مصر، 2006م.
74- قضايا العصر في أدب أبي العلاء، عبد القادر زيدان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1986م.
75- القدرات العقلية في علم النفس، كامل محمد عويضة.
76- المعري ذلك المجهول، عبد الله العلايلي، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1981م.
77- المعارضات السردية في الأدب العربي، عبد الرحمن ابن اسماعيل السماعيل، مجلة الملك سعود، 1424هـ- 2003م.
78- المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين- أبو العلاء المعري- طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م /1 .
79- معالجة النص في كتب الموازنات التراثية، منهج و تطبيق- سعد أبو الرضا، منشأة المعارف، الاسكندرية.
80- مدخل إلى الأدب العجائبي، تزفيتان تودوروف، ترجمة: الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، المغرب، 1993م.
81- مقالات في النقد الأدبي، ابراهيم حمادة، دار المعارف مصر
82- مع المعري اللغوي ، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ- 1984م
83- النقد في العصر الوسيط و المصطلح في طبقات بن سلام، حسن عبد الله شرف، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنن، 1984م.
84- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1931م.
85- النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين، سناء خضر، دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر، الاسكندرية
86- النقد و اللغة في رسالة الغفران، أمجد طرابلسي،ط1 ، دمشق، 1951م.
87- النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء، محمد سلامة يسرى، دار المعارف،ط2، الاسكندرية، 1982م.
88- النقد الأدبي عند الجاحظ، محمود الأطرش ، ط1، مكتبة ربيع، حلب، 1979م.
89- النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمعري، هدى شوكة بهنام، ط4، دار الرائد، العربي، بيروت، 1977م.
90- النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1387هـ- 1964م.
91- النقد المنهجي عند العرب، و منهج البحث في الأدب و اللغة، محمد مندور، دار النهضة، مصر للطبع و النشر، مصر.
92- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ط4، الأنجلو مصرية، القاهرة.
93- النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، محمد مرتاض، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
94- نقد الشعر لأبي الفجر قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم، خفاجي، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1398هـ-1978م.

95- نظـرات جديـدة فـي غفـران أبـي العـلاء، عمـر موسـى باشـا، دار طـلاس، دمشـق، ط1، 1989م.
96- نثـر أبـي العـلاء المعـري،- دراسـة فنيـة، صـلاح رزق، دار غريـب، القـاهرة، 2006م.

03- المجلات و الدوريات:

1- بطولـة ابـن القـارح فـي رسـالة الغفـران ، مرسـل فـالح العجمـي، حوليـات كليـة الأداب ،جامعـة الكويـت الحوليـة السـابعة عشـر ، الرسـالة السـابعة عشـر بعـد المائـة، 1416هـ/ 1417هـ.
2- البلاغـة العربيـة فـن يخـرج النـوادر بالمزحـة الأدبيـة، السـخرية فـي البلاغـة العربية، 2010/06/16م WWW.DARADUSTOUR.COM .
3- بـين رسـالة الغفـران و الكوميـديا الإلهيـة" أحمـد عبـاس أحمـد، صـحيفة الوسـط البحرينية، المنامة، العدد 228، 1424هـ-2003م.
4- الجنـة و النـار فـي الأدب العربـي القـديم، سـيد نوفـل، مجلـة الهـلال، فبرايـر، 1974م.
5- السـخرية عنـد أبـي العـلاء المعـري، عمـاد فـواز: المحـور، قـراءات فـي عـالم الكتـب و المطبوعات، العدد 1658، 2006/08/30م.
6- الفـن القصـص فـي رسـالة الغفـران" ، أحمـد درويـش، 2008/01/25م WWW.TUNISIA.COM.
7- مجلـة التـراث العربـي، اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشـق، العـدد 90، السـنة 23، ربيـع الآخر، 1424هـ يونيو.
8- المعـري لغويـا، محمـد اسـماعيل بصـل، مجلـة جامعـة تشـرين للدراسـات و البحـوث، العلمية سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية، المجلد27، العدد2، 2005م.
9 الموازنـة فـي النقـد العربـي، مـراد فطـوم شـرفات، جريـدة ثقافيـة فنيـة، نصـف شـهرية، تصدر عن وزارة الثقافة سوريا، دمشق، العدد 71.
10- النقـد الجمـالي.. و الأحاديـث.. و رسـالة الغفـران، مراجعـات لمآخـذ اللهـب علـى كتـاب : النقـد العربـي القـديم، وليـد قصـاب، المجلـة الثقافيـة، الجزيـرة، العـدد206، الإثنين جمادى الثانية 1428هـ.

4- الرسائل الجامعية:

1- المعنى النقدي في رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، نقد الشعر دراسة وتحليلا ، حاج ميمون نسيمة ، رسالة الماجستير ، اشراف محمد زمري ، جامعة تلمسان ،2008/2007

فهرس الموضوعات

المقدمة.....(أ- د)

المدخل : الموازنات في تاريخ النقد الأدبي.....(1-15)

الفصل الأول: الموازنة الفنية.....(16- 97)

المبحث الأول: التعريف بالرسالتين.....(16-33)

المبحث الثاني: بين التوابع و الزوابع و رسالة الغفران(عملية التأثير و التأثر).....(33-47)

المبحث الثالث: الأبعاد الجمالية في رسالة التوابع و الزوابع و رسالة الغفران.....(47-97)

الفصل الثاني: الموازنة التاريخية.....(98-160)

المبحث الأول: الصفات الخَلقية و الخُلقية.....(98-111)

المبحث الثاني : عامل الوراثة.....(111-145)

المبحث الثالث: دور معلم اللغة.....(145-160)

الفصل الثالث: الموازنة النقدية .....(161-227)

المبحث الأول: الآراء النقدية لابن شهيد و المعري.....(161-215)

المبحث الثاني: التفرد و التجديد في القضايا النقدية.....(215-227)

خاتمة.....(227-229)

قائمة المصادر و المراجع.....(229-236)

فهرس الموضوعات.....(237)

الملخـــــص

الهـــدف مـــن هـــذه الأطروحـــة هـــو إجـــراء موازنـــة بـــين رســـالة التوابـــع والزوابـــع و رســـالة الغفـــران و الوقـــوف علـــى تضـــمنتاه مـــن مواقـــف نقديـــة. هـــذه الموازنـــة قـــد أفـــرزت أوجـــه تشـــابه و اخـــتلاف؛ فكـــان التشـــابه مقتصـــرا علـــى الصـــياغة الأدبيـــة و علـــى الأســـلوب الحـــواري الـــذي يجمـــع الخيـــال و الفكاهـــة وإنطـــاق الجـــن و الحيـــوان فكلاهمـــا قـــد أتـــى بالجديـــد، إمـــا فـــي الصـــياغة أو الأفكـــار أو القضـــايا النقديـــة، و لكـــن بأسلوب مختلف عن الآخر. و هذا راجع إلى اختلاف البيئة والثقافة.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي، الموازنة، الأسلوب الحواري، الصياغة الأدبية.

Résumé

Cette étude mètrera en œuvre une approche essentiellement littéraire basée sur une méthode critique ou il s'agit de confronter les ouvres littéraires notamment « Risalet El-tawabea et Risalet El-Ghufran ». D'un point de vue comparatif, cette étude rassemble des similarités et les différances. Les ressemblances constatées – sont le style littéraire et le dialogue dramatique regroupant l'imagination, la comédie et l'interrogatoire des démons et les animaux. Il est perceptible que les deux ouvres justifient nouveautés avec des styles différant : soit au niveau de la structure, les idées ou bien au niveau de la critique, et ceci est du a des divergences spacio-culturelles.

Abstract

This present study is, in fact, a comparative an analysis made between two distinct literary novel, namely " Risalet El-tawabea and Rissalet El Ghofran " the study reveals many similarities and discrepancies. The likenesses are restricted in the literary style and the dramatic dialogue. These resemblances combine imagination, comedy and the interrogation of demons and animals. Thus, it is an obvious fact that the two literary pieces bring newness in their structures, ideas and criticisms; however, their spacio-cultural dimension is diverse.

Key words: literary criticisms, comparative literature, dramatic dialogue, stylistics.